



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تالیف

شیخ الاسلام علامہ محمد رفیع الدین قادری صاحب دہلی

۶۶۱ ۷۲۸۰

راجع نصوصہ وخرج احادیثہ وعلق علیہ

علامہ محمد رفیع الدین قادری صاحب دہلی

دارالافتاء دارالاحیاء التراث العربی

بومبای . الہند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْأَمِينِ

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى ١٩٨٦ م

١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م

الدَّارُ السَّلَافِيَّةُ

٦/٨ - أ - حضرت تيريس

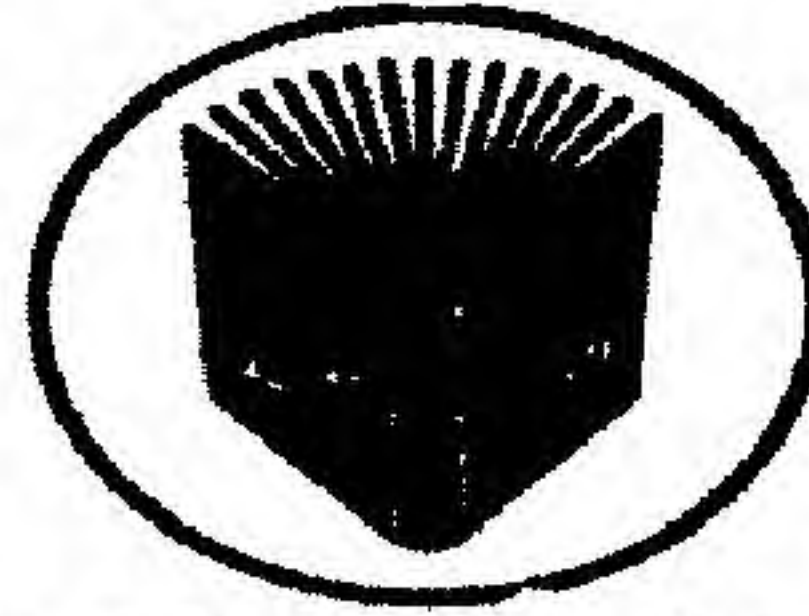
شارع شيخ حفيظ الدين

بومباي ٨٠٠٠٠٨ - الهند

هاتف : ٣٧٧٧٥٥ / ٣٩٦٧٤٧

تلكس : ٧٦٨٣٢ - ١١ - سلفان

برقيا « السلفية »



AL-DARUSSALAFIAH

5/8-A, HAZRAT TERRACE ANNEXE,
SHAIKH HAFIZUDDIN ROAD,
BYCULLA BRIDGE, BOMBAY 400 008.

TELEX : 01176832 Salf IN.

GRAM : ALSALAFIAH MANDVI, BOMBAY 3.

الاهداء

الى العلامة الجليل والداعية الكبير الشيخ المحترم عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز - تولاہ الله بحفظه ورعايته - الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، بالمملكة العربية السعودية - والموجه الديني للحركة السلفية في العالم ، تتشرف الدارالسلفية باهداء هذا الكتاب - الذي هو اول منشوراتها بعد التطوير - تقديرا لجهوده المباركة في نشر تعاليم الاسلام الصحيحة وتوعية عامة المسلمين في امور الدين ، وتعبيرا عن امتناننا البالغ وشكرنا الخالص على تعاونه المستمر وتعاطفه الدائم مع الدارالسلفية ، وتشجيعه لاصحابها القيمة في مجال خدمة العلم واحياء التراث . فجزاه الله احسن الجزاء ، ووفقه لمزيد من الاعمال النافعة للاسلام والمسلمين ، وجعلها خالصة لوجه الكريم . انه على كل شئ قدير - آمين .

الدارالسلفية

الدارالسلفية في سطور

١:- اسست في مدينة بومبائي في عام ١٩٧٥ م واكتسبت شهرة عالمية في فترة قصيرة .

٢:- وهي اول دار للطباعة والنشر في الهند مجهزة باحدث الالات والماكينات للطباعة العربية .

٣:- دعوتها الاساسية الرجوع الى الكتاب والسنة والتخلي عن العصبية المذهبية واتباع الاهواء والاراء الشخصية .

٤:- هي اول مؤسسة للطباعة والنشر في الهند عكفت على نشر التراث الاسلامي بالتحقيق العلمي، واحياء السنة النبوية واخماد البدع الشيطانية. كما انها تعمل دوما على ترويج الفكرة السلفية، وتحرير العقول والاذهان من رواسب العقائد الوثنية والعادات والتقاليد الجاهلية .

٥:- صدر منها اكثر من ٧٠ كتابا باللغات المختلفة، ومن اهم مطبوعاتها باللغة العربية :

١ - المصنف في الاحاديث والاثار لابي بكر بن ابي شيبة العبي (م ٢٣٥ هـ) في ١٥ جزء .

٢ - فهارس المصنف في جزئين .

٣ - التبصرة في القراءات السبع لمكي بن حموش (م ٤٣٧ هـ) .

٤ - كتاب الامثال (في الحديث) لأبي الشيخ الاصبهاني (م ٣٦٩ هـ).

٥ - امثال الحديث لابي محمد الرامهرمزي (م ٣٦٠ هـ) .

٦ - كتاب فيه ذكر الدنيا والزهد فيها لابي بكر بن ابي
عاصم النبيل (م ٢٨٨ هـ) .

٧ - رسالة في الرد على الرافضة لابي حامد المقدسي (م ٨٨٨ هـ) .

٨ - مناسبات تراجم ابواب البخاري لابن جماعة (م ٧٣٣ هـ) .

وغير ذلك .

٦:- يجري العمل حاليا في تحقيق الجامع المصنف في شعب الايمان للامام
ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨ هـ) ؛ وسيصدر الجزء الاول منه قريبا
انشاء الله .

☆☆☆

كلمة الناشر

يسر الدار السلفية ان تقدم للقراء كتاب « تفسير سورة اخلاص » لشيخ الاسلام ، اوحيد الانام ، علم الاعلام تقى الدين ، ابى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ابن تيمية ، الحرافى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، فى سلسلة احياء التراث الاسلامى ، اسهاما فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وخدمة الدين الاسلامى ، وسبق ان اصدرت الدار عددا من كتب التراث الاسلامى تم طبعها لأول مرة ، ولكن عدم توفر الوسائل الحديثة للطباعة حال دون اخراج هذه الكتب بالطريقة التى ترضى القراء ، وتوافق رغبة المسئولين فى الدار ، وكانت امنية الحصول على المطابع الحديثة تراود افكارهم ، وتجول فى خواطرم منذ فترة ، ولم يكن من السهل تحقيقها ، ولكن الله تعالى سهلها للنيات الصادقة والرغبات الخالصة التى كانت وراء الحصول عليها . ولما توفرت الوسائل ، وكان العمل مستمرا على قدم وساق فى تحقيق السفر الجليل « الجامع المصنف فى شعب الايمان » لخاتمة المحدثين الامام ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، اتفقت آراء المسئولين على ان يتم بدء العمل فى المطبعة الجديدة بكتاب الله العزيز ، ثم يبدأ بطبع « الجامع المصنف » . وتم اختيار « تفسير سورة الاخلاص » لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث انه يتضمن الكلام على السورة التى تحتوى على زبدة ما قرره القرآن فى التوحيد ولذلك « عدلت بثلاث القرآن » والدار السلفية تصرف عنايتها الى

تقرير مبدأ التوحيد ، وأصدرت مؤلفات عديدة في هذا المجال ايمانا من اصحابها بانه اساس الدين وعموده الجذرى ، فالاخلال بهذا المبدأ يودى بكل ما يعمل به المرء من اعمال حسنة كما اشار اليه النبي ﷺ حينما سألته عائشة عن ابن جده ان الذى كان يقوم باعمال الخير والبر للناس هل ينفعه ذلك ؟ فقال : عليه الصلاة والسلام : لا ، لأنه لم يقل يوما قط ، رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين .

اى انه لم يقر بالتوحيد ، ولم يعترف بالوهمية الاله الواحد القهار ، ويتوجه اليه مخلصا لوجهه الدين ، وسأله المغفرة .

كما لاحظنا ان مبدأ الاخلال بالتوحيد في كثير من الاحيان — بخاصة عند الطوائف التي تدعى الايمان بالله وبرسوله — هو عدم فهم هذا الركن الاساسى من الدين . ووجدنا ان خير من يقرر هذا المبدأ ويشرحه احسن تفسير ، بالاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة ، هو زعيم المنهج السلفى ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، الذى نادى بضرورة أخذ مبادئ الدين الاساسية من الكتاب والسنة الصحيحة ، وعدم الخوض في المسائل الكلامية على طريقة المتكلمين . فالقرآن والسنة يشتملان على قواعد واضحة ، ومبادئ قيمة لما يجب على المرء في مجال العقيدة والعبادات والمعاملات وغير ذلك من جوانب الحياة .

ولذلك قررنا ان تكون بداية اعمالنا بعد تطوير وسائل الطباعة برسالة شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص .

وكان هذا القرار تاكيدا لمنهجنا الذى نتمسك به في دعوتنا وهو منهج السلف الصالح من الرجوع الى الكتاب والسنة في كل ما يعرض الامة من مشاكل واحداث ، واللجوء الى الاجتهاد — في حالة عدم وجود نص صريح قاطع فيها — واختيار احسن وانسب الاقوال ، وترك ما سواه ، بناء على قول مالك — رضى الله عنه — كل واحد يوخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، وأشار الى قبر النبي ﷺ .

لهذه الاسباب كان اختيارنا لهذه الرسالة النافعة لكي تكون اول مطبوعاتنا بعد التطوير ، والاعمال بالنيات ، كما قال الصادق والمصدوق ﷺ « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » .

ونرجو من اخواننا القراء واساتذة الجامعات ان لا يضمنوا بما لديهم من الاقتراحات او الملاحظات ، بل يفيدوننا بها لكي تتمكن من اصلاح ما يمكن ان صدر منا من الأخطاء ، وتسديد مناهجنا وتغيير برامجنا حسب الضروة . كما نريد ان نؤكد باننا نحاول — اقصى ما يمكن — ان تقدم الى المكتبة الاسلامية من كتب التراث ما يزيدنا ثراء وغنى . وهدفنا هو خدمة العلم والمشتغلين به .

وندعو الله عزوجل ان يوفقنا ، ويسدد خطانا ، ويسلك بنا الصراط المستقيم ، ويجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وينفع بها الامة الاسلامية . ويجعلها وسيلة النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من اتى الله بقلب سليم .
وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على النبي الكريم .

☆☆☆

مختار احمد الندوى
الرئيس العام للدار السلفية
بومباى — الهند

١ / شعبان سنة ١٤٠٦ هـ
الموافق ١١ / ابريل سنة ١٩٨٦ م

ترجمة المؤلف

هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ، ابن تيمية ، الحراني ،
الدمشقي ، شيخ الاسلام ، تقى الدين ، ابو العباس . الامام ، علم الاعلام ،
المجاهد ، القدوة ، اوجد زمانه في العلم والاطلاع ، ومعرفة الاحكام ، واستنباط
المسائل مع الزهد في الدنيا ، والعكوف على العبادة ، والتوكل على الله ، والاهتمام
باصلاح المجتمع .

ولد في سنة احدى وستين وستمائة في حرّان ، وانتقل به ابوه الى دمشق سنة
٦٦٧ هـ بعد استيلاء التتر على حرّان . وكانت سنّه اذ ذاك ست سنوات .
وتركت هذه الحادثة وما جرى فيها من اغتصاب اراضي المسلمين ، وسفك
الدماء ، وهتك الاعراض ، اثارا سيئة ، وذكريات مفعجة في نفس ابن تيمية
الطفل ، ولعله قضى سنوات في قلق واضطراب لمعرفة الاسباب التي ادت الى
ضعف كيان الامة الاسلامية ، وتوهين قواها ، ولما شب وترعرع ، وقرأ وتعلم ،
وشاهد ما كان يجري في البلاد الاسلامية ، وما كان عليه المسلمون من الفساد
السياسي ، والخلقي والديني ، ادرك ان السبب الرئيسي في تخلف المسلمين ،
وعجزهم عن التصدي لأعدائهم والدفاع عن بلادهم ، هو انحرافهم عن الصراط
المستقيم الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ . فعزم على الجهاد والكفاح ضدّ
المنحرفين والمبتدعين وكشف دسائسهم واباطيلهم التي بها كانوا يسيطرون على
عقول عامة الناس ، وصمم في الوقت نفسه — على اعداد العدة للوقوف في وجه
تيار الزحف التتري ، الذي كان يكتسح البلاد الاسلامية في ذلك الوقت . وكان
له في ذلك مواقف بطولية ياتي ذكرها فيما بعد .

توسع شيخ الاسلام ابن تيمية في تحصيل العلوم — العقلية والنقلية — حتى بلغ فيها مبلغا لا يدرك شأوه ، واصبح بحرا لا يدرك قعره . عكف على قراءة القرآن ومعرفة معانيه ، حتى بلغ فيه الغاية ، ونقل عنه انه قال : « انى وقفت على مائة وعشرين تفسيرا ، استحضر من الجميع الصحيح الذى فيها » .

وهذا مكنه من الكلام على آراء المفسرين ، وتقد اقوالهم حيث يرى انها لا توافق ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الصحيح . وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، لم يكن يعرف له نظير ، يستمر فى تفسير آية واحدة يومين او اكثر ، ياتى بمعانى بديعة ، ويستخرج دقائق خفية ، ونكات بارعة لم تخطر على بال أحد ، كل ذلك بعبارات حلوة سهلة ، واسلوب مقنع مفهم . وكان يرجع فى اثبات رائه — اولا — الى القرآن ، يسرد منه آية بعد آية فى الاستشهاد للمسئلة التى يوردها ، لم يكن احد اسرع منه فى انتزاع الآيات القرآنية والاستدلال بها . ونجد امثله من ذلك فى هذا الكتاب .

وبقيت علاقته القوية بكتاب الله الى آخر عمره . يقول : وهو فى السجن الذى توفى فيه :

« قد فتح الله علىّ فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن ، ومن اصول العلم اشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمتُ على تضييع اكثر اوقاتي فى غير معانى القرآن » .

ولم يمكن علمه بالحديث بأقل من معرفته للقرآن ، فقد حفظ من المتون ما يعجز عنه اكثر العلماء ، يستحضر الاحاديث وقت المناقشة ويعزوكل حديث الى مخرجه ، ويبين درجته من الصحة والضعف ، وبلغ فى ذلك درجة لم يبلغها احد فى عصره بحيث يصدق عليه ان يقال :

« كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث »

وكذلك علمه بالفقه ومعرفته بمذاهب الفقهاء ، لم يكن يجاريه فى ذلك احد من علماء عصره ، ولكنه لم يكن ملتزما بمذهب معين — كعادة العلماء فى ذلك الوقت — بل كان يتبع ما يقوم عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة ويفق به ، لا يخاف فى ذلك لومة لائم .

واما اصول الدين ، ومعرفة اقوال الفرق الضالة من الخوارج ، والروافض ،
والمعتزلة ، والمبتدعة ، ووجوه الرد عليها ، فكان لا يشق فيها غباره .

هذا مع ما كان يتمتع من خلق حسن وسيرة طيبة من الكرم البالغ ،
والشجاعة المفرطة ، والزهد في الدنيا .

وصفه الذهبي فقال :

« كان قَوَّالاً بالحق ، نَهَاءً عن المنكر ، ذاسطوة ، واقدام ، وعدم مداراة » .

ويقول — معترفا بالعجز عن استيعاب سيرته :

« وهو اكبر من ان ينبّه على سيرته مثلى . فلو حلفت بين الركن والمقام
لحلفت : انى ما رأيت بعينى مثله ، وانه ما رأى مثل نفسه » .

وافاد الناس بكل ما علم وتعلم ، وادرك وحصل ، والف كتباً ورسائل مفيدة
نافعة . ولم يقتصر نشاطه في مجال العلم والفتيا والتأليف والتصنيف ، بل شارك
فعلاً في الجهاد ضد التتر ، وشجع الامراء والسلاطين على الحرب ضدهم ، والدفاع
عن حمى الاسلام ، وسافر لأجل ذلك من دمشق الى مصر ، وكلم السلطان بجرأة
نادرة ، وقال له انه اذا تخاذل عن نصر رعاياه في دمشق فسوف يستبدل به الله
رجلاً آخر يودى هذه الفريضة ، لأن الله اعلن في كتابه :

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

وكان من نتيجة وعظه ان تقدم السلطان بجيشه الى دمشق . وقد
حيرت تلك الجرأة علماء مصر — ومنهم الشيخ ابن دقيق العيد .
ولكنه الايمان الكامل بالله ، والتوكل عليه . فالذين يخافون الله
لا يخافون غيره .

ومن مظاهر قوة ايمانه انه ذهب ليقابل ملك التتر — ذلك
الرجل الذى كان يخاف من اسمه سلاطين العصر — وكلمه كلاماً شديداً
ووعظه موعظة بليغة ، وامره بالنصح للمسلمين ، والكف عن اذاهم .
وكان لذلك تاثير حسن في نفس الملك

وكان في ايام القتال مع الجاهدين ، يتلو عليهم آيات من الذكر الحكيم لرفع معنوياتهم ، ويلقى عليهم موعظة بليغة للحض على الجهاد .

ومن امثلة اعلانه بالحق دون خوف انه سئل في كيفية قتال التتر من اى قبيل هو ؟ فسانهم يظهرون الاسلام ، وليسوا بفاعة على الامام ، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه .

فاجاب : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ورأوا انهم احق بالامر منها ، وهؤلاء يزعمون انهم احق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو اعظم منه باضعاف مضاعفة .

وكان يقول للناس :

« اذا رأيتوني من ذلك الجانب ، وعلى راسي مصحف فاقتلونى » .

واما دفاعه عن الاسلام ضدا هواء المخرفين وضلالات المبتدعين فقد ضرب فيه مثلا رائعا ، وترك نموذجا مثاليا يجب ان يقتدى به كل من تحدثه نفسه بالاصلاح الدينى . فقد شن هجوما عنيفا — لاهوادة فيه — على المبتدعين من الصوفية والقبوريين الذين شوّهوا تعاليم الاسلام ، وحرفوا الكلم عن مواضعه للمنفعة العاجلة ، والمصالح الشخصية فقام شيخ الاسلام ضدهم ، وردّ على دعاويهم ومفترياتهم ، ودك حصونهم ومعقلهم ، فلما لم يجدوا منفذا ، ورأوا ان دسائسهم قد انكشفت ، ومحاولاتهم لخداع الناس قد ظهرت ، لجأوا الى الحكام والسلاطين ، وأغروهم ضده ، فلاقى منهم اذى كبيرا ، وأوذى ، وسجن عدة مرات في دمشق وفي القاهرة لكن ذلك لم يوتر في نشاطه ، ولم يمنعه من الجهر بالحق .

ساومه الفقراء الاحمدية ، وسألوا نائب السلطنة في دمشق بحضرة الامراء ان يكفّ الشيخ امارته عنهم ، وان يسلم لهم حالهم فقال لهم الشيخ :

« هذا ما يمكن . لا بد لكل احد ان يدخل تحت الكتاب والسنة قولا وفعلًا . ومن خرج عنها وجب الانكار عليه » .

وهؤلاء كلما وجدوا فرصة ، تجمعوا ضده ، وآلبوا العامة والخاصة عليه ، ودبروا له مكاييد ، وحاولوا قتله ، اما هو فكان يتأسى بأكرم الناس واحلم الناس ، سيد الأنبياء محمد ﷺ . فكلما غلب عليهم وقدر . عفا وصفح وغفر . طلب منه الملك ان يفر في قتل القضاة الذين تكلموا فيه ، واغراه قائلا :

« انهم قاموا عليك ، وأذوك » .
لكن الشيخ منعه من ذلك وقال :

« اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم » .
فقال الملك :

« انهم آذوك ، وارادوا قتلك مرارا » .
فقال : « من آذاني فهو في حل . ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه وانا لا انتصر لنفسي » .
ومازال بالسلطان حتى حلم عنهم وصفح .
وهذا الموقف المثالي دفع القاضي ابن مخلوف المالكي — وهو احد اعدائه — الى ان يقول :

« ما رأينا مثل ابن تيمية ، حرضا عليه فلم تقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا » .

هذا اعتراف بعلو شأن الشيخ وكال درجته في الحلم والعفو عند المقدرة ، اعترف به احد العلماء في مصر ، ولكن قرنائه في دمشق لم يتعلموا من ذلك ، فاستمروا في تدبير المكيدة له ، والوشاية ضده لدى السلطان . فسجن ، واستمر في جهاده من داخل السجن يكتب ويفق ، ويطلق قنابل على رؤوس المتبدعين ، حتى منعوه من الكتابة وانتزعوا منه ما كان لديه من وسائل الكتابة وبقي في السجن الى ان توفي سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله تعالى وارضاه ، واسكنه دار رضوانه .

وكانت جنازته اكبر شاهد على صدقه وامانتة ، فلم ير مثل ذلك الجمع على رجل قبله ، وحضر الصلاة عليه اصحاب القرى المجاورة ولم ير احد الا باكيا وناعيا . وصدق احمد بن حنبل حين قال :

« قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز » .

فالبدعي يموت وربما لا يشعر بموته احد . اما المجاهد في سبيل احياء السنة ، فموته يحدث ضجة في العالم .

وقال ابن القيم سمعت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :

« ما يصنع اعدائي بي ؟ انا جنتي وبستاني في صدري . اين رحلتُ فهي معي ، لا تفارقني . انا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجي من بلدى سياحة » .

قال ابن القيم : وعلم الله ما رأيت احدا اطيب عيشا منه ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاف . وهو مع ذلك اطيب الناس عيشا ، واشرحهم صدرا ، وافواهم قلبا ، واسرّم نفسا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه . وكنا اذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضائق بنا الارض ، اتيناه . فا هو الا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله ، وينقلب انشراحا ، وقوة ، ويقينا ، وطمانينة .

صدق الله العظيم .

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

☆☆☆

اهم المصادر لترجمة ابن تيمية

- ١ - تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٩٦/٤) :
حيدرآباد ١٩٧٠ م .
- ٢ - الوافي بالوفيات للصفي (١٥/٧ - ٣٣) :
فيسبادن ١٩٨٢ م .
- ٣ - فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (٧٤/١ - ٨٠) :
دار صادر / بيروت ١٩٧٣ م .
- ٤ - البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/١٤ - ١٣٩) :
مکتبة المعارف / بيروت ١٩٧٧ م .
- ٥ - ذیل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٨٧/٢ - ٤٠٨) :
طبعة مصورة من طبعة مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ م .
- ٦ - العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام احمد بن تيمية لابن عبد
المهادي الحنبلي :
مطبعة المدنی ١٩٨٣ م .
- ٧ - الاعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية للحافظ ابي
حفص البزار .

تفسير سورة الاخلاص

هذا الكتاب الذي تقدمه للقراء هو تفسير سورة الاخلاص من ام مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية . وهو خير دليل على سعة علمه . وكثرة اطلاعه ، وتبحره في العلوم النقلية والعقلية ؛ تتجلى فيه خصائصه التي ينفرد بها من كثرة الاستشهاد بالكتاب والسنة ، وتفنيده مزاعم الفلاسفة والمتكلمين بنفس الطرق التي يستدلون بها .

استخلصنا هذا الكتاب من مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، وابنه محمد رحمهما الله تعالى — ويتقدم التفسير ردُّ على سؤال يتعلق بفضائل « قل هو الله احد » ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن .

ولشيخ الاسلام رسالة مستقلة في هذا الموضوع سماها جواب اهل العلم والايان في ان « قل هو الله احد » تعدل ثلث القرآن — موجودة في مجموع فتاواه ، وطبعت مستقلة باسم كتاب جواب اهل الايمان بتحقيق ما اخبر به رسول الرحمن من ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن في مطبعة التقدم بمصر في سنة ١٣٢٢ هـ من نسخة الشيخ محمود شكري الألوسي .

بدأ المؤلف تفسيره بالكلام على معنى « الصمد » ونقل الاثار المروية في ذلك من تفسيري ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي . كما استشهد باقوال اللغويين المعروفين . ثم دخل في البحث لاثبات « صمدية » الله تعالى و « احديته » ، وعدم تماثله لاحد من المخلوقات بوجه من الوجوه .

والكتاب وإن كان ألف في تفسير « قل هو الله احد » ، جاء كتابا مستقلا في التوحيد ، وما يجب ان يثبت لله تعالى من الصفات ، وما يجب ان ينزه —

سبحانه وتعالى — عنه . وقد جرى فيه المؤلف على طريقة السلف : وهي ان نطلق على البارئ — جلّ وعزّ — من الاسماء والصفات ما وصف هو به نفسه او ما ثبت في كلام رسوله المصطفى ﷺ . اما الالفاظ المستحدثة عند الفلاسفة والمتكلمين من « الجوهر » و« العرض » و« الجسم » و« المتحيّز » و« المركب » وما الى ذلك مما لم يرد ذكره في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان فنحن في غنى عن اثباته له ، اونفيه عنه . ويؤكد المؤلف أثناء نقاشه ان « سورة الاخلاص » تتضمن من معاني التوحيد ما لا يمكن التعبير عنه بعبارات اخرى . وفصل الكلام في معنى كونه تعالى « احداً » و« صمداً » وكونه « لم يلد ولم يولد » وبين انه يتضمن الرد على جميع انواع الشرك المعروفة لدى الامم .

واستطرد في نقاشه الى بيان خطأ العلماء المسلمين الذين انحرفوا عن المنهج السويّ وذهبوا يلتمسون الحق في غير القرآن والحديث ، كما قام بالهجوم على المبتدعين الذين يرتكبون جريمة الاشرار بالله بالتوسل والاستغاثة بالشيخ والاولياء . ويبيّن كيف ان الشيطان يلعب بعقولهم ويغويهم حتى يجرّم الى الشرك وهم لا يشعرون . ووضّح في هذا الصدد الفرق بين المساجد والمشاهد ، حيث ان الاولى مما امر الله تعالى ونبيّه ﷺ ان تعظم وتطهر من كل افعال الشرك ولذلك يجب ان لا تتخذ القبور مساجد ولا ان تُبنى المساجد على القبور ، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك .

اما المشاهد فلم يرد ذكرها في القرآن ولا في السنة ، ولا عُرف من الصحابة والتابعين لهم باحسان انهم كانوا يعظمونها ويقدّسونها ، ويتوجّهون اليها . بل الاسلام يحرم شدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجد النبي ﷺ الذي بالمدينة . يقول المؤلف :

«اما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم ، او دعائهم ، او الاقسام بهم على الله ، او ظن ان الدعاء او الصلاة عند قبورهم افضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق المسلمين » .

وقد تناول شيخ الاسلام قضية اخرى هامة في هذا الكتاب وهي :-
هل في القرآن آيات لا يعلم تفسيرها ومعناها الا الله ، لا الرسول
ولا الملائكة ولا الصحابة ولا العلماء ؟

وهذا استدرجه الى البحث في معنى « التاويل » * في قوله تعالى:

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْكِتَابِ (٧/٣)

فذكر اختلاف العلماء على وجوب الوقوف على قوله تعالى « إلا الله » . ثم
تناول كلمة « التاويل » بالبحث والتحقيق.

وملخص كلامه ان « التاويل » له معنيان فقط عند السلف.

١:- الحقيقة الموجودة في الخارج التي يؤول اليها الكلام وهي عين المخبر به اذا
وقع. وقد تكررت كلمة « التاويل » في القرآن في هذا المعنى، كقوله تعالى:

« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ » (٥٣/٧)

فوقوع هذه الاخبار يوم القيامة هو تاويل ما اخبر به القران من الوعد
والوعيد ، والجنة والنار ، وما يؤول اليه امر هؤلاء.

وتاويل اخبار القران منه ما مضى كأخبار الامم الماضية ، ومنه ما سيأتي
كأحوال القيامة والبحث

٢:- التفسير والبيان .

☆ انظر كتاب « الامام ابن تيمية و موقفه من قضية التاويل » الدكتور محمد السيد الجليند . القاهرة ١٩٧٣ م

وهناك معنى ثالث لكلمة « التاويل » يستعملها فيه المتأخرون من الفقهاء والمفسرين والاصوليين، وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المرجوح لقريضة تقتضى ذلك.

ويرد شيخ الاسلام هذا المعنى الاخير لانه لم يكن معروفها لدى السلف ويعتمد على المعنيين الاولين، وينتهي الى القول بان معنى التاويل في الاية المذكورة هو: هواقب الامور، والحقيقة الموجودة في الخارج من مدلول اللفظ، وهذه لا يعرفها الا الله، ولذلك يجب الوقف على لفظ الجلالة.

اما ما يروي من ان بعض السلف وقفوا على « الراسخون في العلم » فعلى « التاويل » عندهم يكون: التفسير والبيان، لانه من المكابرة الظاهرة ان يقال ان في القران آيات لم يكن جبريل، ولا الرسول ﷺ ولا احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان يعرف معناها. فالرسول ﷺ كانت وظيفته الأساسية التبليغ والبيان، وكيف يبلغ ويبين اذا لم يكن هو نفسه يعرف معاني الآيات التي انزلت عليه؟ وهناك دلائل قوية واثر ثابتة تدل على انه ليس في القران آية الا وتعرض السلف لبيان معناها .

هذه بعض امم مباحث هذا الكتاب القيم، وسيجد القاري فيه امثلة اخرى من البحث النفيس القائم على الاسس الصحيحة.



استخرجنا هذا الكتاب — كما ذكرنا — من مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن قميّة وجاء في الجزء السابع عشر منه من ص ٢١٤ - ٥٠٣ وقبله جواب على سؤال يتعلق بفضيلة قل هو الله احد يقع في سبع صفحات من ٢٠٦ الى ٢١٣، احببنا ادراجه في الكتاب لفائدته.

و تفسير سورة الاخلاص طبع مرات - طبع لأول مرة في المطبعة الحسينية المصرية في سنة ١٣٢٣هـ من نسخة « قرئت على الاستاذ الفاضل مرجع اهل العراق على الاطلاق آلوسي زاده السيد محمود شكري افندي متع الله بحياته

— وعني بتصحيحه السيد محمد بدرالدين ابوفراس النعساني الحلبي « كما هو مثبت على الغلاف. ثم اعاد الشيخ محمد منير الدمشقي - صاحب ادارة الطباعة المنيرية - طبعه عام ١٣٥٢هـ وحاء على غلافه:

« صححه وراجع اصوله للمرة الاولى سنة ١٣٥٢هـ »

والواقع انه لم يصححه، ولم يراجع اصوله، بل اعتمد على طبعة المطبعة الحسينية المذكورة، واعادها حرفا بحرف، باخطائها وسقطاتها.

وظهرت منه طبعات اخرى متعددة، لم استطع الاطلاع عليها، منها طبعة صدرت باعتناء الشيخ محمد حامد الفتحي رئيس انصار البهنة الحمديّة، بلغني انه تصرّف فيها بالاختصار والتهذيب، والله اعلم.

وقد ذكر الشيخ محمد ابوزهره في كتابه عن ابن تيمية الطبعتين المذكورتين فقط.

ولم يكن اخراج هذا الكتاب من براجمنا، ولكن الله - جلّ وعلا - اذ حقق رغبات اصحاب الدارالسلفية - الشيخ مختار احمد الندوي السلفي واولاده - حفظهم الله تعالى - في الحصول على احدث الآلات الطباعة العربية، و كانوا من قبل يستغيثون الله ان يحقق آمالهم في اخراج الكتب الدينية في صورة انيقة وطباعة جيدة - قرروا، اداءً لواجب الشكر واعترافاً لنعمته تعالى ان يبدأوا العمل بها في طبع كتاب يتعلق بالتوحيد - الركن الاساسي للدين الاسلامي - ووقع الاختيار على تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية - رحمه الله - حيث ان هذه السورة تحتوي على اهم معاني التوحيد ولذلك عدلت بثلاث القران. ومؤلف التفسير شيخ الاسلام ابن تيمية هو رائد الفكرة السلفية وحامل راية الدعوة بالرجوع الى الكتاب والسنة في عصور التقليد والجمود الفكري . فاختر كتابه للطبع اعلان عن المبدأالذي تمسك به الدارالسلفية : وهو تحكيم الكتاب والسنة في كافة شئون الحياة دون اتباع للاهواء والاراء الشخصية.

ولما تقرر اختيار الكتاب ولم يكن عندنا الا مجموع الفتاوى، قررنا اخذ التفسير منه، وبعد ان تم اعداده، وصل السيد اكرم مختار - عضو الدارالسلفية -

الطالب بالدراسات العليا بكلية دارالعلوم، جامعة القاهرة بالنسختين المذكورتين، وقابلنا مسودتنا بهما، ووجدنا ان ما اعددناه اصحّ واكمل من النسختين المطبوعتين. وبما ان الكتاب كان تم تصفيف حروفه للطباعة، اضطررنا الى اثبات الفروق بين النسخ في استدراقات وتصويبات في اخر الكتاب.

ولانستطيع ان ندعي ان هذه طبعة محققة تحقيقا علميا، لان تحقيق كتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية يحتاج الى وقت طويل لما في مؤلفاته من مناقشات علمية متنوعة، وبحوث متشابكة، ولم يتوفر لنا مثل هذه الفرصة . ولكننا نستطيع ان نقول ان ما تقدمه للقراء هو اصح ما طبع من هذا الكتاب حتى الان. بذلنا اقصى جهودنا في اقامة النص وكانت النسخ المطبوعة تحتوي على اخطاء في الايات القرآنية ايضا، فقمنا بتصحيحها واشرنا الى الاخطاء في الهامش. كما اشرنا الى مواضع الايات ورقها في السورة. ومنهجنا في ذلك ان نذكر السورة ورقها ورقم الاية المذكور.

وقمنا بتخريج الاحاديث والاثار مع بيان درجتها من الصحة والضعف وترجمة من احتاج الى التعريف من الرواة. ولم نستوعب تخريج الاحاديث النبوية بل اكتفينا - في الغالب - بعزوها الى الصحاح الست ومسند احمد، اذا وجد الحديث فيها او في احدها.

ويلاحظ القاري ان شيخ الاسلام قلما يشير - في كتابه هذا - الى درجة الحديث او الاثر، واورد في مواضع احاديث ضعيفة، بل منها ما عدّه بعض العلماء من الموضوعات. كما انه لم يلتزم الدقة في سرد المتون فيعزو الحديث الى الصحيحين ويميل منها الى مسند الامام احمد فيسرد لفظه. وقد اشرنا الى هذا في تعليقاتنا .

ومجد القاري احيانا كلمة الاصل في التعليقات. والمراد منه « مجموع الفتاوى » الطبعة الاولى الصادرة من الرياض في سنة ١٣٨٢ هـ ، حيث انه هو الاصل الذي اعتمدنا عليه في بداية الامر.

واود ان اشكر كل الاخوة والاصدقاء الذين ساهموا في اعداد الكتاب وطبعه
واخص بالذكر من بينهم السيد اسلم مختار - المدير العام - للدارالسلفية والسيد
خورشيد انور اللذين قاما باعداد الكتاب بالتصنيف على الكمبيوتر، وتصحيح
الاططاء الموجودة في المسودة . فجزاها الله احسن الجزاء .

وندعوا الله عز وجل ان يقبل عملنا هذا، وينفع به المسلمين، ويجعله خالصا
لوجه الكريم. وآخره دعوانا ان الحمد لله رب العلمين، وصلى الله على النبي الكريم .



كتبه الراجي رحمة ربه.

عبدالعلي عبدالحميد

مدير

٤ / شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

الموافق ١٥ / ابريل سنة ١٩٨٦م

قسم التحقيق والبحث العلمي

في الدارالسلفية بومبائي الهند

و سئل شيخ الاسلام

ومفتى الانام : تقى الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية — رضى الله عنه — عن فتيا صورتها :

ما تقول السادة العلماء فى تفسير قول النبى ﷺ فى سورة الاخلاص : « إنها تعدل ثلث القرآن » فكيف ذلك مع قلة حروفها ، وكثرة حروف القرآن ؟ يئنوناً لنا ذلك بيانا مبسوطا شافيا ، وأفتونا مأجورين — إن شاء الله تعالى —

فأجاب — رضى الله عنه — بما صورته :

الحمد لله : الأحاديث الماثورة عن النبى ﷺ فى فضل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وأنها تعدل ثلث القرآن من أصح الأحاديث وأشهرها ، حتى قال طائفة من الحفاظ كالدارقطنى : لم يصح عن النبى ﷺ فى فضل سورة من القرآن أكثر مما صح عنه فى فضل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وجاءت الأحاديث بالالفاظ كقوله : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القرآن » وقوله : « من قرأ قل هو الله

(١) جاء هذا اللفظ من حديث ابى الدرداء عند مسلم فى كتاب صلاة المناسمين (٥٥٦/١) وأحرقه ايضا الدارمى (٨٥٦) والسائى فى عمل اليوم والليلة رقم (٧٠١)

ومن حديث ابى هريرة عند الترمذى فى مسائل القرآن (١٦٨/٥) رقم (٢٨٩٩) واس ماجة (١٢٤٤/٢) رقم (٣٧٨٧) والحاكم (٥٦٧)

وكذا من حديث اس عباس أحرجه الترمذى (١٦٦/٥) رقم (٢٨٩٤) ورواه الحاكم (٥٦٦/١) وروى نحوه عن ابى سعيد أحرجه البخارى فى مسائل القرآن (١٠٥/٦) وفى الامان والدور (٢٢١/٧) وفى التوحيد (١٦٤/٨)

ورواه فى مسائل القرآن وفى التوحيد عن ابى سعيد عن قتادة بن النعمان وحديث ابى سعيد أحرجه ايضا ابوداود (١٥٢/٢) رقم (١٤٦١) والسائى فى مسه (١٧١/٢) وفى عمل اليوم والليلة (٦٩٨) وعنه عن قتادة (٧٠٠)

واحمد فى مسده (٤٣، ٣٥، ٢٢، ١٥/٢) ومالك فى الموطا (٢٠٨) .

وعن ابى ايوب أحرجه السائى فى المحتق (١٧٢/٢) وفى عمل اليوم والليلة (٦٨٦) والدارمى (٨٥٧) واحمد (٤١٨/٥) - (٤١٩)

وعن اس أحرجه اس ماجة فى مسه (١٢٤٤/٢) رقم (٣٧٨٨)

وعن ابى مسعود الانصارى أحرجه اس ماجة رقم (٣٧٨٩) واحمد فى مسده (١٢٢/٤) والسائى فى عمل اليوم والليلة (٦٩٣)

وعن ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط أحرجه احمد (٤٠٤/٦) والسائى فى عمل اليوم والليلة (٦٩٥)

(٢) مسه السيوطى فى الدر المنثور (٦٧٦/٨) للحافظ ابى عماد المرقندى فى «مسائل قل هو الله احد»

أَحَدَ مَرَّةً فَكَأَنَّا قَرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّا قَرَأَ ثَلَاثِي الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثًا فَكَأَنَّا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ » وَقَوْلُهُ لِلنَّاسِ^(٣) : « احْتَشِدُوا حَتَّى أَقْرَأَ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، فَحَشِدُوا حَتَّى قَرَأَ عَلَيْهِمْ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ .

وَأَمَّا تَوْجِيهِ ذَلِكَ : فَقَدْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : إِنَّ الْقُرْآنَ بِإِعْتِبَارِ مَعَانِيهِ ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٌ : ثَلَاثُ تَوْحِيدٍ ، وَثَلَاثُ قِصَصٍ ، وَثَلَاثُ أَمْرٍ وَنَهْيٍ . وَ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هِيَ صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَنَسْبِهِ ، وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْكَلَامُ أَمَّا أَنْشَاءٌ وَأَمَّا إِبْخَارٌ ، فَالْأَنْشَاءُ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ كَالْإِبْخَارَةِ وَنَحْوِهَا وَهُوَ الْأَحْكَامُ ، وَالْإِبْخَارُ : أَمَّا إِبْخَارٌ عَنِ الْخَالِقِ ، وَإِمَّا إِبْخَارٌ عَنِ الْمَخْلُوقِ ، فَالْإِبْخَارُ عَنِ الْخَالِقِ هُوَ التَّوْحِيدُ ، وَمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، وَالْإِبْخَارُ عَنِ الْمَخْلُوقِ هُوَ الْقِصَصُ ، وَهُوَ الْخَبَرُ عَمَّا كَانَ وَعَمَّا يَكُونُ ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْخَبَرُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْمَهُمْ ، وَمَنْ كَذَّبَهُمْ ، وَالْإِبْخَارُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . قَالُوا : فِيهِذَا الْإِعْتِبَارُ تَكُونُ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ، لَمَّا فِيهَا مِنَ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ ثَلَاثُ مَعَانِي الْقُرْآنِ .

بَقِيَ أَنْ يُقَالَ : فَإِذَا كَانَتْ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا كَانَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْتَفِيَ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْقُرْآنِ .

فَيُقَالُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّهَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ » وَعَدْلُ الشَّيْءِ — بِالْفَتْحِ — يَقَالُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٤) : ﴿ هُوَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صَيَّامًا ﴾ فَجَعَلَ الصِّيَامَ عَدْلَ كِفَارَةِ ، وَهِيَ جِنْسَانُ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ الثَّوَابَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ وَيَلْتَذُّ بِهِ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَنْكُوحٍ وَمَشْمُومٍ هُوَ مِنَ الثَّوَابِ ، وَأَعْلَاهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِذَا كَانَتْ أَحْوَالُ الدُّنْيَا لِاخْتِلَافِ مَنَافِعِهَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلِّهَا ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا يَعْدِلُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ فِي الصُّورَةِ ، كَمَا أَنَّ الْفِ دِينَارًا تَعْدِلُ مِنَ الْفِضَّةِ وَالطَّعَامِ

(٣) أَحْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (٥٥٧/١) وَكَذَا التِّرْمِذِيُّ (١٦٩/٥) رَقْمُ (٢٩٠٠) وَاحِدٌ فِي مُسْنَدِهِ (٤٢٩/٢) .

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ (٩٥/٥) .

والثياب وغير ذلك ما هو اكبر منها ، ثم من ملك الذهب فقد ملك ما يعدل مقدار ألف دينار من ذلك ، وان كان لا يستغنى بذلك عن سائر انواع المال التي ينتفع بها ؛ لأن المساواة وقعت في القدر لا في النوع والصفة ، فكذلك ثواب : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وان كان يعدل ثواب ثلث القرآن في القدر ، فلا يجب ان يكون مثله في النوع والصفة ، وأما سائر القرآن ففيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ما يحتاج اليه العباد ، فلهذا كان الناس محتاجين لسائر القرآن ، ومنتفعين به منفعة لا تغنى عنها هذه السورة ، وان كانت تعدل ثلث القرآن .

فهذه المسألة مبنية على اصل : وهو ان القرآن هل يتفاضل في نفسه ، فيكون بعضه أفضل من بعض ؟ وهذا فيه للمتأخرين قولان مشهوران ، منهم من قال : لا يتفاضل في نفسه ؛ لأنه كله كلام الله ، وكلام الله صفة له قالوا : وصفة الله لا تتفاضل . لا سيما مع القول بأنه قديم ، فان القديم لا يتفاضل ، كذلك قال هؤلاء في قوله تعالى : ﴿ مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ قالوا فخير انما يعود الى غير الآية ، مثل نفع العباد وثوابهم .

والقول الثاني : ان بعض القرآن أفضل من بعض ، وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف ؛ فان النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح في الفاتحة : « انه لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا القرآن مثلهما » فنفي ان يكون لها مثل ، فكيف يجوز ان يقال : انه مماثل ؟ وقد ثبت عنه في الصحيح^(٦) انه قال لأبي بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدرى أى آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فضرب بيده في صدره وقال له ليهنك العلم أبا المنذر » فقد بين أن هذه الآية أعظم آية في القرآن ، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض .

السورة (١٠٦/٢)

(٦) اخرج مالك في الموطأ عن عامر بن كريب (٨٢) وكذا الحاکم (٥٥٧/١) ورواه احمد (١١٤/٥) والسائي (١٣٩/٢) والحاکم (٥٥٧/١) عن ابي بن كعب واهرحه الترمذی من حديث ابي هريرة (١٥٥/٥) رقم (٢٨٧٥)

(٧) اخرج مسلم في صلاة المسافرين (٥٥٦/١) وابوداود في ابواب الوتر (١٥١/٢) رقم (١٤٦٠) واحمد (١٤٢/٥) والحاکم (٣٠٤/٣)

وايضا فان القرآن كلام الله والكلام يشرف بالتكلم به ، سواء كان خبرا أو أمرا ، فالخبر يشرف بشرف الخبر ، وبشرف الخبر عنه ، والأمر يشرف بشرف الأمر ، وبشرف المأمور به ، فالقرآن وإن كان كله مشتركا ، فان الله تكلم به ، لكن منه ما أخبر الله به عن نفسه ، ومنه ما أخبر به عن خلقه ، ومنه ما أمرهم به ، فمنه ما أمرهم فيه بالايان ، ونهاهم فيه عن الشرك ، ومنه ما أمرهم به بكتابة الدين ، ونهاهم فيه عن الربا .

ومعلوم ان ما أخبر به عن نفسه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أعظم مما أخبر به عن خلقه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وما أمر فيه بالايان . وما نهى فيه عن الشرك أعظم مما أمر فيه بكتابة الدين ونهى فيه عن الربا ، ولهذا كان كلام العبد مشتركا بالنسبة الى العبد ، وهو كلام لتكلم واحد ، ثم انه يتفاضل بحسب التكلم فيه ، فكلام العبد الذى يذكر به ربه ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر أفضل من كلامه الذى يذكر فيه خلقه ، ويأمر فيه بمباح أو محظور ، وانما غلط من قال بالاول ؛ لأنه نظر الى إحدى جهتي الكلام ، وهى جهة التكلم به ، وأعرض عن الجهة الأخرى وهى جهة التكلم فيه ، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتماثل .

قالوا ومن اعاد التفاضل الى مجرد كثرة الثواب أو قلته من غير ان يكون الكلام فى نفسه أفضل ، كان بمنزلة من جعل عملين متساويين وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر ، مع ان العاملين فى أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية ، بل كدرهم ودرهم تصدق بهما رجل واحد فى وقت واحد ومكان واحد على اثنين متساويين فى الاستحقاق ونيته بهما واحدة ، ولم يتميز أحدهما على الآخر بفضيلة ، فكيف يكون ثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر ، بل تفاضل الثواب والعقاب دليل على تفاضل الأعمال فى الخير والشر . وهذا الكلام متصل بالكلام فى اشتغال الأعمال على صفات بها كانت صالحة حسنة ، وبها كانت فاسدة قبيحة . وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

وقول من قال : صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك : قول لا دليل عليه ، بل هو مورد النزاع ، ومن الذى جعل صفته التى هى الرحمة لا تفضل على صفته

التي هي الغضب ، وقد ثبت عن النبي ﷺ :^(٨) « ان الله كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي — وفي رواية — تسبق غضي » وصفة الموصوف من العلم والارادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين :

أحدهما : أن بعض الصفات أفضل من بعض ، وأدخل في كمال الموصوف بها ، فانا نعلم ان اتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة افضل من اتصافه بضد ذلك ؛ لكن الله تعالى لا يوصف بضد ذلك ، ولا يوصف الا بصفات الكمال ، وله الاسماء الحسنی يدعى بها ، فلا يدعى الا باسمائه الحسنی ، وأسمائه متضمنة لصفاته ، وبعض اسمائه أفضل من بعض ، وأدخل في كمال الموصوف بها ؛ ولهذا في الدعاء المأثور^(٩) : « اسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر » ، و« لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » وأمثال ذلك ، فتفاضل الاسماء والصفات من الأمور البينات .

والثاني : أن الصفة الواحدة قد تتفاضل ، فالأمر بأمور يكون أكمل من الأمر بأمور آخر ، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عن دونهم ، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم ، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض ، وكذلك سائر هذا الباب ، وكما ان اسماءه وصفاته متنوعة ، فهي ايضا متفاضلة ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع مع العقل ، وانما شبهة من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها ، وذلك يرجع الى نفى الصفات . كما يقوله الجهمية لما ادعوه من التركيب ، وقد بينا فساد هذا مبسوطا في موضعه .



(٨) احرجه البخارى ومسلم وغيرهما - راجع شعب الايمان

(٩) لم احده - وقد ورد من حديث عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اني اسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي اذا دعيت به اجبت الحديث احرجه ابن ماجة (١٢٦٨/٢) رقم (٢٨٥٩) وفي اساده مقال

(١٠) جاء من حديث اس احرجه ابوداود (١٦٧/٢) رقم (١٤٩٥) وابن ماجة (١٢٦٨/٢) رقم (٢٨٥٧) والسائي (٢٥٢/٣) واحد (٢٦٥، ٢٤٥، ١٥٨، ١٢٠/٣) والحاكم (٥٠٤) ومن حديث بريدة احرجه الترمذی (٥١٥/٥) رقم (٢٤٧٥) وابن ماجة رقم (٢٨٥٦) واحد (٣٥٠، ٣٤٩/٥) والحاكم (٥٠٤/١)

و سئل :

عن يقرأ القرآن . هل يقرأ ﴿ سورة الاخلاص ﴾ مرة او ثلاثا ؟ وما السنة في ذلك ؟ .

فأجاب : اذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة ، هكذا قال العلماء ؛ لثلا يزداد على ما في المصحف . وأما اذا قرأها وحدها ، او مع بعض القرآن فانه اذا قرأها ثلاث مرات عدلت القرآن . والله اعلم .

☆☆☆

و قال شيخ الاسلام قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له . و من يضل فلا هادي له . و نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . و نشهد أن محمدا عبده و رسوله ، ﷺ تسليما .

فصل

في تفسير ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

والاسم ﴿ الصَّمَدُ ﴾ فيه للسنة ، أتوا متعدة قد يظن أنها مختلفة ، و ليست كذلك ، بل كلها صواب ، و المشهور منها قولان :

أحدهما : أن الصمد هو الذي لا جوف له .

والثاني . أنه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ، والاول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين و طائفة من أهل اللغة . والثاني قول طائفة من السلف والخلف ، و جمهور اللغويين ، والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة ، و في كتب السنة و غير ذلك ، و قد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا كثيرا بأسناده فيما تقدم^(١) .

(١) راجع الصاوي ١٤٣/١٧

و تفسير ﴿ الصَّمَدُ ﴾ بأنه الذي لا جوف له معروف عن ابن مسعود^(٢) موقوفاً ومرفوعاً ، وعن ابن عباس^(٣) ، والحسن البصري^(٤) ، ومجاهد^(٥) ، وسعيد بن^(٦)

(٢) ابن مسعود ، هو عبد الله بن مسعود بن عامر ، ابو عبد الرحمن الهذلي ، وكان يسب الى امه احيانا فيقال له ابن ام عبد

من السابقين الاولين ، اسلم قديما وهاجر المحترمين ، ولازم النبي ﷺ وهو اول من جهر بالقرآن عكة كان من احفظ الصحابة لكتاب الله ﷻ وكان رسول الله ﷺ يحث ان يسمع منه القرآن ، و يحرص غيره على ذلك وهو احد الصحابة الذين روى عنهم قدر كبير من تفسير القرآن . حل تفسيره اهل الكوفة لوحوده بينهم - توفي سنة ٣٢ هـ انظر ترجمته في التفسير والمفسرون لمحمد حسين الدهلي (١/٨٨٨٢) و راجع الاصابة (٢/٣٦٠-٣٦٢) الاستيعاب (٢/٣٠٨-٣١٦) طبقات ابن سعد (٣/١٥٠ ، ٦/١٢) سير اعلام النبلاء (٤٦١-٥٠٠) تذكرة الحفاظ (١/١٦١-١٦٢) حلية الاولياء لابي نعيم (١/١٢٤-١٢٩)

ولم احد حديثه المرفوع في تفسير « الصمد » و كذلك قوله اشار اليه ابن كثير في تفسيره (٤/٥٧٠) ولم يجرحه الطبري ، لاسب اليه ابن الجوري و القرطبي و الحارث في تفسيرهم

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ الملقب بالخضر و البحر و ترجمان القرآن و كان النبي ﷺ دعاله بالمعنى في الدين و تاويل الكتاب و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكرمه و يحلسه - مع صغر سبه - مع كبار الصحابة تقديرًا لمهمه معاني الآيات و قال ابن عمر فيه « ابن عباس اعلم امة محمد بما نزل على محمد »

و كان يرجع في فهم معاني الكلمات العربية التي وردت في القرآن الى الشعر العربي القديم ويستشهد به - قيل انه هو الذي اندع الطريقة اللغوية في التفسير

و قد وصلت اليها اقواله في التفسير من طرق كثيرة اقرها الى القول طريق معاوية بن صالح عن علي بن طلحة عن ابن عباس

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١/٦٥ - ٨٢)

و راجع طبقات المفسرين للداودي (١/٢٣٩) والاصابة (٢/٣٢٢ - ٣٢٦) الاستيعاب (٢/٣٤٢ - ٣٤٩) طبقات ابن سعد (٢/٣٦٥ - ٣٧٢) سير اعلام النبلاء (٢/٣٣١ - ٣٥٨) التذكرة (١/٤٠ - ٤١) حلية الاولياء (١/٣١٤ - ٣٢٩) تاريخ الترات لعواد سركين (١/٦٣ - ٦٨)

و سيدكر المؤلف - رحمه الله - تفسيره و تفاسير غيره فيما بعد باسايدها

(٤) الحسن بن ابي الحسن يشار اليه بالصري ، ابو سعيد

كان من العلماء الربانيين ، فقيها ، ثقة مأمونا ، كبير العلم ، عرير المعرفة ، واسع الفهم لمعاني كتاب الله ﷻ روى عنه في التفسير تنوع كثير - توفي عام ١١٠ هـ

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١/١٢٤) و طبقات الداودي (١/١٥٠) و راجع طبقات ابن سعد (٧/١٥٧ - ١٧٨) السير (٤/٥٦٣ - ٥٨٨) التذكرة (١/٧١) تهذيب التهذيب (٢/٢٦٣ - ٢٧٠) حلية الاولياء لابي نعيم (٢/١٣١ - ١٦١) تاريخ الترات العربي (١/٧٢)

(٥) مجاهد بن حمر المكي ، ابو الحجاج

احد الاعلام الاتات ، و اوثق الرواة عن ابن عباس في التفسير ، و لذلك اعتمد على تفسيره البخاري و الشافعي و غيرها و قيل انه كان يعطى عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو طاهرها بعيدا ، توفي سنة ١٠٤ هـ

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١/١٠٤ - ١٠٧) طبقات الداودي (٢/٣٠٥ - ٣٠٨) طبقات ابن سعد (٥/٤٦٦) والسير (٤/٤٤٩ - ٤٥٧) التذكرة (١/٩٢) حلية الاولياء (٢/٢٧٩ - ٣١٠) تاريخ الترات (١/٧٠)

(٦) سعيد بن حنبل بن همام ، ابو محمد ،

كان حنبل الاصل ، ابيض الحصال وهو من كبار التابعين ومتقدميهم في التفسير ، سمع التفسير من ابن عباس ، و روى عنه الائمة كثيرا توفي سنة ٩٥ هـ قتله الحجاج صرا

راجع ترجمته في التفسير والمفسرون (١/١٠٢ - ١٠٣) و طبقات الداودي (١/١٨٨) طبقات ابن سعد (٦/٢٥٦ - ٢٦٧) السير (٤/٣٢١ - ٣٤٢) التذكرة (١/٧٦) الحلية (٤/٢٧٢ - ٣٠٩) تاريخ الترات (١/٦٩)

جبر ، و عكرمة^(٧) ، والضحاك^(٨) ، والسدى^(٩) ، وقتادة^(١٠) ، وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب^(١١) قال : « هو الذي لا حشو له » .

وكذلك قال ابن مسعود : « هو الذي ليست له احشاء » .

(٧) عكرمة البربري ، ابو عبد الله المدني - مولى ابن عباس .
كان من بھور العلم ، كان ابن عباس يضع الكبل في رجليه لتعليم القرآن و السنن ،
قال الشعبي : ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة . وقد تكلم بعض الائمة في تفسيره و اهتموه بانه كان يدعي معرفة كل شيء في القرآن ، ولكن وثقه غير واحد من كبار الائمة . توفي سنة ١٠٤ هـ .
انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١٠٧/١ - ١١٢) و طبقات الداودي (٣٨٦/١) طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥ - ٢٩٣) السير (١٢/٥ - ٣٦) الحلية (٢٢٦/٣ - ٢٤٧) .
وقوله اخرجہ ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٥/٣٠) وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٨/٩) وكذا ابن كثير (٥٧٠/٤) .

(٨) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ابو القاسم الخراساني .
صاحب التفسير . قال الذهبي : ليس بالجهود لحديثه و هو صدوق في نفسه روى التفسير عن ابن عباس . و كان شعبة ينكر ان يكون الضحاك لقي ابن عباس قط . و روى عن عبد الملك بن ميسرة قال : لم يلق الضحاك ابن عباس . انما لقي سعيد بن جبر بالري فاخذ عنه التفسير .
انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦ - ٣٠٢) السير (٥٩٨/٤ - ٦٠٠) ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢) .

(٩) السدي هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة ، ابو محمد الحجازي ثم الكوفي ، و يعرف بالسدي الكبير ، توفي سنة ١٢٧ هـ .
روى التفسير عن ابن عباس ضعفه ابن معين و لينه ابو زرعة ، و قال ابو حاتم : يكتب حديثه ، و وثقه احمد ، و قال العجلي : عالم بتفسير القرآن ، راوية له . راجع ثقات العجلي (ص ٦٦) .
انظر ترجمته في السير (٢٦٤/٥) ميزان الاعتدال (٢٣٦/١) تهذيب الكمال (١٣٢/١ - ١٣٧) تهذيب التهذيب (٣١٣/١) .
وتفسيره اخرجہ البيهقي في الاسماء والصفات (٧٩) وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) وكذا ابن الجوزي (٢٦٨/٩) .

(١٠) قتادة بن دعامة السدوسي ، ابو الخطاب البصري .
كان على مبلغ عظيم من العلم ، قوى الحافظة ، واسع الاطلاع في الشعر العربي مشهورا بمعرفته بالتفسير . وكان يستعين في فهم نصوص القرآن بالادب العربي القديم . توفي سنة ١١٧ هـ .
راجع التفسير و المفسرون (١٢٥/١ - ١٢٧) طبقات الداودي (٤٧/٢) طبقات ابن سعد (٢٢٩/٧ - ٢٣١) السير (٢٦٩/٥ - ٢٨٢) التذكرة (١٢٢/١) تهذيب التهذيب (٣٥١/٨ - ٣٥٦) الحلية (٣٣٣/٢ - ٣٤٥) .
ذكر قوله ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٨/٩) .

(١١) سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب الخزومي ، ابو محمد .
عالم اهل المدينة ، و سيد التابعين في زمانه ، كان ممن برز في العلم و العمل ، قال علي بن المديني : لا اعلم في التابعين احدا اوسع علما من ابن المسيب . قال يحيى بن سعيد : سئل سعيد بن المسيب عن آية ، فقال : لا اقول في القرآن شيئا .
ولذلك قل ما نقل عنه في التفسير . توفي سنة ٩٤ هـ .
انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١١٩/٥ - ١٤٣) السير (٢١٧/٤ - ٢٤٦) التذكرة (٥٤/١ - ٥٦) تهذيب التهذيب (٨٨ - ٨٤/٤) الحلية (١٦١/٢ - ١٧٥) .

وكذلك قال الشعبي^(١٢) : « هو الذى لا ياكل ولا يشرب » .

وعن محمد بن كعب القرظي^(١٣) ، وعكرمة : « هو الذى لا يخرج منه شيء » .

وعن مسيرة^(١٤) قال : « هو المصمت » . قال ابن قتيبة^(١٥) : « كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء ، والصمت من هذا^(١٦) » .

قلت : لا إبدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر و سنيين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق ، و اللغة .

وفي الحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد في المسند^(١٧) وغيره من حديث أبي سعد الصفاني : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن اسر ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب^(١٨) : (ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :

(١٢) عامر بن تراحيل الشعبي ، ابو عمرو الكوفي

تأمنى حالي . كان واحد رمانه في مئون العلم قال اس عبيدة علماء الناس ثلاثة ، اس عاس في رمانه ، والتعنى في رمانه ، و الثورى في رمانه ، كان شديد النقد على من لا يراه اهلا لتفسير القرآن كاتى صالح والسدى توفى سنة ١٠٤ هـ

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١٢٩/١ - ١٢٤) طبقات اس سعد (٢٤٦/٦ - ٢٥٦) السير (٢٩٤/٤ - ٣١٩) التذكرة (٧٩/١ - ٨٨) حلية الاولياء (٣١٠/٤ - ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٦٥/٥ - ٦٩)

(١٣) محمد بن كعب القرظي ، ابو حمزة ، او ابو عبد الله المدني

تأمنى ، ثقة ، روى عن ابي بن كعب بالواسطة ، واحد عنه التفسير قال اس عون ما رأيت احدا اعلم بتاويل القرآن من القرظي ، واقواله في التفسير مدونة في كتب التفسير ، توفى سنة ١١٨ هـ ترجمته في التفسير والمفسرون (١١٦/١) السير (٦٥/٥ - ٦٨) الحلية (٢١٢/٣ - ٢٢١) تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩ - ٤٢٢)

(١٤) مسيرة هو اس يعقوب الطهوي صاحب راية على رضى الله عنه ، قال اس ححر في التقريب مقبول ، من الثالثة وقوله احرجه اس الى عاصم في السنة (٣٠١/١) من رواية عطاء عنه ، و هو اس السائب و كان احتلط ، و لاحله صعب الالفاظ الاثر

(١٥) اس قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديوري ، ابو محمد

العلامة . الكاتب ، دولمسون و صاحب التصانيف السائرة ، كان راسا في علم اللسان العربي له « عريب القرآن » و عريب الحديث و متكل القرآن و مشكل الحديث ، توفى سنة ٢٧٦ هـ انظر ترجمته في وفيات اس حلكا (٤٢/٣ - ٤٤) السير (٢٩٦/١٣ - ٣٠٢) اساه الرواة (١٤٣/٢ - ١٤٧) لسان الميراث (٣٥٩ - ٣٥٧/٣)

(١٦) تفسير عريب القرآن (٥٤٢)

(١٧) راجع المسد (١٣٤/٥) و احرجه الترمذي (٤٥١/٥) و رجع ارساله و احرجه البيهقي في شعب الايمان (رقم ٩٨) مسد حس و راجع تحريجه هناك ، و سياق الحديث بعد قليل سياق اتم

(١٨) ابي بن كعب بن قيس ، ابو المدر الانصاري الحررحي

تهمد العقبة و اندرا ، و كان سيد القراء قال له النبي ﷺ ان الله امرني ان اقرأ عليك فقال ابي الله سماني لك قال نعم فحمل ابي يكي

و كان من اعلم الصحابة بكتاب الله ، و قد روى عنه قدر كبير من التفسير

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (٩١/١ - ٩٣) و طبقات اس سعد (٣٤٠/٢ - ٣٤١) (٤٩٨/٣ - ٥٠٢) الاصابة (٣١٠ - ٣٢) الاستيعاب (٢٧/١ - ٣٠) الحلية (٢٥٠/١ - ٢٥٦) السير (٣٨٩/١ - ٤٠٢)

إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ إلى آخر السورة قال : الصمد الذي لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سموت ، ليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله لا يموت ولا يورث .

و اما تفسيره بانه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج فهذا أيضاً مروى عن ابن عباس^(١٩) موقوفاً و مرفوعاً ، فهو من تفسير الوالي^(٢٠) عن ابن عباس . قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ السيد الذي كمل في سؤدده .

وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة^(٢١) قال : « هو السيد الذي انتهى سؤدده » .

و عن أبي اسحق الكوفي^(٢٢) عن عكرمة^(٢٣) : « الصمد الذي ليس فوقه أحد » . و يروى هذا عن علي .

و عن كعب الاحبار : « الذي لا يكافئه من خلقه أحد » .

(١٩) و سياق قريباً موقوفاً . اما المرفوع فذكره ابن الجوزي في تفسيره ان ابن عباس رواه عن رسول الله ﷺ و لم اجد من خرجه . و ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد موقوفاً في قصة سؤال نافع بن الازرق عبد الله بن عباس عن معاني كلمات القرآن واستشهاده باشعار العرب . وقال : رواه الطبراني وفي اسناده جويبر وهو متروك . (٣٠٨/٦) .

(٢٠) علي بن ربيعة الوالي ، ابو المغيرة الكوفي . من العلماء الثقات الاثبات . اخرج له الجماعة . راجع طبقات ابن سعد (٢٢٦/٦) السير (٤٨٩/٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠/٧) .

(٢١) ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي . الكوفي . مخضرم من التابعين ، ادرك النبي ﷺ وما رآه . تعلم القرآن في شهرين وكان من اعلم اهل الكوفة بحديث ابن مسعود . و عنه اخذ التفسير توفي سنة ٨٢ هـ . ترجمته في طبقات ابن سعد (٩٦/٦ - ١٠٢) السير (١٦١/٤ - ١٦٦) الحلية (١٠١/٤ - ١١٢) تهذيب التهذيب (٣٦١/٤ - ٣٦٣) . و سياق اثره قريباً .

(٢٢) لعنه ابو اسحاق الشيباني . الكوفي و اسمه سليمان بن ابي سليمان . او ابو اسحاق السبيعي و اسمه عمرو بن عبد الله . و كلاهما يروى عن عكرمة و هما ثقتان الا ان السبيعي يدلّس . و لم اجد من خرجه هذا الاثر . و قال ابو عبيدة في مجاز القرآن (٣١٦/٢) . في معنى الصمد : الذي ليس فوقه احد . و العرب كذلك تسمى اشرافها . و قل في لسان العرب : هو من الرجال الذي ليس فوقه احد .

(٢٣) ابو اسحق كعب بن ماتع الحميري . المعروف بكعب الاحبار . ادرك الجاهلية و اسلم في خلافة ابي بكر . و كان من قبل على دين اليهود . و لقد نقل عنه في التفسير و غيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و الثقافة الاسلامية . وقد طعن فيه بعض العلماء في العصر الحديث . راجع التفسير و المفسرون (١٨٧/١ - ١٩٤) . و انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) تهذيب التهذيب (٤٣٨/٨) الحلية (٣٦٤/٥ - ٣٩١) . (٤٨ - ٣/٦) . و سياق هذا التفسير من قول قتادة .

وكذلك قال الشعبي^(١٢): « هو الذى لا ياكل ولا يشرب » .

وعن محمد بن كعب القرظي^(١٣)، وعكرمة : « هو الذى لا يخرج منه شيء »

وعن ميسرة^(١٤) قال : « هو المصمت » . قال ابن قتيبة^(١٥) : « كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء ، والمصمت من هذا »^(١٦) .

قلت : لا إبدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر و سنيين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق ، واللغة .

وفي الحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد في المسند^(١٧) وغيره من حديث أبي سعد الصفاني : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب^(١٨) : (ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :

(١٢) عامر بن تراحيل الشعبي ، ابو عمرو الكوفي

تأني حال . كان واحد زمانه في فصول العلم قال ابن عيينة علماء الناس ثلاثة ، ابن عباس في زمانه ، والتأني في زمانه ، والثوري في زمانه ، كان شديد النقد على من لا يراه اهلاً لتفسير القرآن كافي صالح والسدي توفي سنة ١٠٤هـ

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (١٢٩/١ - ١٢٤) طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦ - ٢٥٦) السير (٢٩٤/٤ - ٣١٩) التذكرة (٧٩/١ - ٨٨) حلية الاولياء (٣١٠/٤ - ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٦٥/٥ - ٦٩)

(١٣) محمد بن كعب القرظي ، ابو حمزة ، او ابو عبد الله المدني

تأني ، ثقة ، روى عن ابي بن كعب بالواسطة ، واحد عنه التفسير قال ابن عوف ما رأيت احدا اعلم بتأويل القرآن من القرظي ، واقواله في المفسر مدونة في كتب التفسير ، توفي سنة ١١٨هـ ترجمته في التفسير والمفسرون (١١٦/١) السير (٦٥/٥ - ٦٨) الحلية (٢١٢/٣ - ٢٢١) تهذيب التهذيب (٤٢٠/٩ - ٤٢٣)

(١٤) ميسرة هو ابن يعقوب الطهوي صاحب راية على رضى الله عنه ، قال ابن حجر في التقرير مقبول ، من الثالثة وقوله اخرج ابن ابي عمير في السنة (١/١ - ٣) من رواية عطاء عنه ، وهو ابن السائب وكان احتلط ، ولاحله ضعف الالباني الاثر

(١٥) ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديوري ، ابو محمد

العلامة ، الكاتب ، دواوين وصاحب التصانيف السائرة ، كان راساً في علم اللسان العربي له ، عريب القرآن و عريب الحديث و متكل القرآن و مشكل الحديث توفي سنة ٢٧٦هـ انظر ترجمته في وفيات ابن حنبل (٤٢/٣ - ٤٤) السير (٢٩٦/١٣ - ٣٠٢) اسام الرواة (١٤٣/٢ - ١٤٧) لسان الميراث (٣٥٧/٣ - ٣٥٩)

(١٦) تفسير عريب القرآن (٥٤٢)

(١٧) راجع المسند (١٣٤/٥) و اخرج الترمذي (٤٥١/٥) و راجع ارساله و اخرج البيهقي في شعب الايمان (رقم ٩٨) مسند حسن و راجع تحريجه هناك ، و سياق الحديث بعد قليل سياق اتم

(١٨) ابي بن كعب بن قيس ، ابو المدر البصري الحرشي

شهد العقبة و تدرا ، و كان سيد القراء قال له النبي ﷺ ان الله امرني ان اقرأ عليك فقال ابي الله سألني لك ، قال نعم فعمل ابي يني

و كان من اعلم الصحابة بكتاب الله ، و قد روى عنه قدر كبير من التفسير

انظر ترجمته في التفسير والمفسرون (٩١/١ - ٩٣) و طبقات ابن سعد (٣٤٠/٢ - ٣٤١) (٤٩٨/٣ - ٥٠٢) الاصابة (٣١٠ - ٣٢) الاستيعاب (٢٧/١ - ٣٠) الحلية (٢٥٠/١ - ٢٥٦) السير (٣٨٩/١ - ٤٠٢)

إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ إلى آخر السورة قال : الصمد الذي لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سموت ، ليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله لا يموت ولا يورث .

و اما تفسيره بانه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج فهذا أيضاً مروى عن ابن عباس^(١٩) موقوفاً ومرفوعاً ، فهو من تفسير الوالي^(٢٠) عن ابن عباس . قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ السيد الذي كمل في سؤده .

وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة^(٢١) قال : « هو السيد الذي انتهى سؤده » .

و عن أبي اسحق الكوفي^(٢٢) عن عكرمة^(٢٣) : « الصمد الذي ليس فوقه أحد » . و يروى هذا عن علي .

و عن كعب الاحبار : « الذي لا يكافئه من خلقه أحد » .

(١٩) و سياقاً قريباً موقوفاً ، اما المرفوع فذكره ابن الجوزي في تفسيره ان ابن عباس رواه عن رسول الله ﷺ ولم اجد من خرجه - و ذكره الحافظ الميمني في مجمع الزوائد موقوفاً في قصة سؤال نافع بن الازرق عبد الله بن عباس عن معاني كلمات القرآن واستشهاده بأشعار العرب . وقال : رواه الطبراني وفي اسناده جوير وهو متروك . (٣٠٨/٦) .

(٢٠) علي بن ربيعة الوالي ، ابو المغيرة الكوفي . من العلماء الثقات الاثبات . اخرج له الجماعة . راجع طبقات ابن سعد (٢٢٦/٦) السير (٤٨٩/٤) تهذيب التهذيب (٣٢٠/٧) .

(٢١) ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي ، الكوفي . مخضرم من التابعين ، ادرك النبي ﷺ وما رآه . تعلم القرآن في شهرين وكان من اعلم اهل الكوفة بحديث ابن مسعود - و عنه اخذ التفسير توفي سنة ٨٢ هـ . ترجمته في طبقات ابن سعد (٩٦/٦ - ١٠٢) السير (١٦١/٤ - ١٦٦) الحلية (١٠١/٤ - ١١٢) تهذيب التهذيب (٣٦١/٤ - ٣٦٢) - و سياقاً اثره قريباً .

(٢٢) لعنه ابو اسحاق الشيباني ، الكوفي واسمه سليمان بن ابي سليمان . او ابو اسحاق السبيعي واسمه عمرو بن عبدالله - و كلاهما يروى عن عكرمة و هما ثقتان الا ان السبيعي يدلس . و لم اجد من خرج هذا الاثر . وقال ابو عبيدة في مجاز القرآن (٣١٦/٢) : في معنى الصمد : الذي ليس فوقه احد . والعرب كذلك تسمى اشرافها . و قل في لسان العرب : هو من الرجال الذي ليس فوقه احد .

(٢٣) ابو اسحاق كعب بن ماته الحميري . المعروف بكعب الاحبار . ادرك الجاهلية و اسلم في خلافة ابي بكر . و كان من قبل على دين اليهود . و لقد نقل عنه في التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الاسلامية - وقد طعن فيه بعض العلماء في العصر الحديث . راجع التفسير والمفسرون (١٨٧/١ - ١٩٤) . و انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) تهذيب التهذيب (٤٢٨/٨) الحلية (٣٦٤/٥ - ٣٩١ ، ٣/٦ - ٤٨) . و سياقاً هذا التفسير من قول قتادة .

و عن السدى أيضاً : « هو المقصود اليه في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب »^(٢٤)

و عن ابي هريرة رضى الله عنه : « هو المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد »^(٢٥)

و عن سعيد بن جبير أيضاً : « الكامل في جميع صفاته و أفعاله » .

و عن الربيع^(٢٦) : « الذي لاتعتريه الآفات » .

و عن مقاتل بن حيان^(٢٧) : « الذي لا عيب فيه » .

و عن ابن كيسان^(٢٨) : « هو الذي لا يوصف بصفته أحد » .

(٢٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) .

(٢٥) ذكره القرطبي ايضاً .

(٢٦) الربيع بن انس البكرى ، الحراساني .

سمع انس بن مالك و ابا العالية الرياحي و اكثر عنه ، و اخذ عنه التفسير ، قال ابو حاتم : صدوق . و هو من رجال السنن - توفي سنة ١٤٠ هـ .

انظر طبقات ابن سعد (٣٦٩/٧) تهذيب التهذيب (٢٣٨/٣) السير (١٦٩/٦) و لم اجد من خرج قوله .

(٢٧) مقاتل بن حيان ، ابو بسطام الحزاز .

يروى عن مجاهد . و عكرمة . و الضحاك ، والشعبي - صدوق خرج له الجماعة الا البخاري .

ترجمته في طبقات الداودي (٣٢٩/٢) السير (٢٤٠/٦) تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠ - ٢٧٩) ميزان الاعتدال (١٧١/٤ - ١٧٢) . و ذكر قوله القرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) .

(٢٨) عبد الرحمن بن كيسان ، ابو بكر الاصم .

معتزلي ، كان من اخص النجاشي ، و اورعهم و افقهم ، له تفسير ، استفاد منه التعلبي كثيرا . توفي بعد سنة ٢٠٠ هـ .

راجع تاريخ التراث العربي لفيود سركين (٦١/٤) طبقات الداودي (٢٧٤/١) ميزان الاعتدال (٤٢٧/٣) "فهرست لابين النديم" (٢١٤) .

قال ابو بكر الأنباري^(٢٩) : « لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم و امورهم » .

وقال الزجاج^(٣٠) : « هو الذي ينتهي اليه السؤدد ، فقد صمد له كل شيء أي قصد قصده » ، وقد أنشدوا في هذا بيتين مشهورين أحدهما :

ألا بكر الناعي بخيرى بنى أسد بممرو بن مسمود وبالسيد الصمد

وقال الآخر^(٣١) :

علوته بحسامى ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد

(٢٩) هو الامام الحافظ اللغوى ابو بكر محمد بن القاسم بن شار ، ابن الانباري . المقرئ ، النحوى ، ذوالفنون ، الف الدواوين الكبار مع الصدق والدين ، وسعة الحفظ . قال ابو على القالى : كان شيخنا ابو بكر يحفظ - فيما قيل - ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن . قال الذهبي : هذا يجيء في اربعين مجلدا . وقيل : ان من جملة محفوظه عشرين ومائة تفسير باسانيدها . من جملة مؤلفاته كتاب « مشكل القرآن » توفي سنة ٣٢٨ هـ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٨١/٣ - ١٨٦) انباء الرواة للقنطري (٢٠١/٣ - ٢٠٨) وفيات ابن خلكان (٢٤١/٤ - ٢٤٢) تذكرة الحفاظ (٨٤٢/٣ - ٨٤٤) السير (٢٧٤/١٥ - ٢٧٩) تاريخ الادب لبروكلمن (٢١٤/٢ - ٢١٦) وذكر قوله ابن الجوزي في تفسيره (٢٦٨/٩) .

(٣٠) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري ، الزجاج ، البغدادي . امام وقته في النحو واللغة ، صنف كتاب « معاني القرآن » . وله تاليف جمة . توفي سنة ٣١١ هـ . انظر ترجمته في انباء الرواة (١٥٩/١ - ١٦٦) وفيات ابن خلكان (٤٩/١ - ٥٠) الوافي بالوفيات (٣٤٥/٥ - ٣٥٠) السير (٣٦٠/١٤) تاريخ بغداد (٨٩/٦ - ٩٣) تاريخ بروكلمن (١٧١/٢ - ١٧٣) . وذكر ابن الجوزي قوله في تفسيره (٢٦٨/٩) .

(٣١) اورده ابن الجوزي في تفسيره وفيه «لقد بكر» . والبيت لسيرة بن عمرو الاسدي . وهو في مجاز القرآن لابي عبيدة (٣١٦/٢) وسمط اللآلى (ص ٩٣٢) و تفسير الطبري (٢٤٧/٣٠) والقرطبي (٢٤٥/٢٠) واللسان « صمد » .

(٣٢) راجع اللسان ، والقرطبي (٢٤٥/٢٠) .

وقال بعض أهل اللغة : « الصمد هو السيد المقصود في الحوائج » ، تقول العرب : صمدت فلاناً أصمده - بكسر الميم - و اصمّده - بضم الميم - صمداً - بسكون الميم - إذا قصدته ، والمصود صمد كالتقبض بمعنى المقبوض ، والنقض بمعنى المنقوض ، ويقال بيت مصود و مصمد إذا قصده الناس في حوائجهم قال طرفة :

وان يلتق الحى الجميع تلاقى الى ذروة البيت الرفيع المصمد

وقال الجوهري^(٢٣) : « صمده يصمده صمداً إذا قصده » ، والصمد بالتحريك السيد لأنه يصمد اليه في الحوائج ، ويقال بيت مصمّد بالتشديد أى مقصود .

وقال الخطابي^(٢٤) : « أصح الوجوه انه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له » ، فان أصل الصمد القصد ، يقال : اصمد صمداً فلان أى اقصد قصده ، فالصمد السيد الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .

وقال قتادة^(٢٥) : « الصمد الباقي بعد خلقه » .

(٢٣) ابو نصر اسماعيل بن حماد التركي ، الجوهري .
امام اللغة ، صنف « الصحاح » في اللغة ، قال الذهبي : وفي الصحاح اوهام قد عمل عليها جواش . وهو مطبوع .

راجع انباء الرواة (١٩٤/١ - ١٩٨) معجم الادباء لياقوت (١٥١/٦ - ١٦٥) السير (٨٠/١٧ - ٨٢) لسان الميزان (٤٠٠/١ - ٤٠٢) تاريخ بروكلمن (٢٥٩/٢ - ٢٦٣) . و راجع لقوله لسان العرب .

(٢٤) ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب ، البُنقي ، الخطابي .
الامام ، العلامة ، الحافظ ، اللغوى ، صاحب التصانيف الجليلة . منها « غريب الحديث » و « معالم السنن » في شرح سنن ابى داود و « شرح الاسماء الحسنى » وغير ذلك . توفي سنة ٣٨٨ هـ .
انظر ترجمته في يتيمة الدهر (٢٣٤/٤ - ٢٣٦) معجم ياقوت (٢٤٦/٤ - ٢٦٠ ، ٢٦٨/١٠ - ٢٧٢) انباء الرواة (١٢٥/١) وفيات ابن خلكان (٢١٤/٢ - ٢١٦) السير (٢٢/١٧ - ٢٦) تذكرة الحفاظ (١٠١٨/٢) تاريخ التراث (٤٢٧/١ - ٤٢٩) .

و نقل عنه قوله ابن الجوزى في تفسيره (٢٦٨/٩) والبيهقى في الاسماء والصفات (ص ٨٠) .
وقال الراغب الاصبهاني في معرقاته (٢٩٤) .

﴿ الصمد ﴾ : السيد الذى يصمد اليه فى الامر . و صَمَدٌ صَمَدَةٌ : قَصْدٌ معتدا عليه قَصْدُهُ .
وقيل : ﴿ الصمد ﴾ : الذى ليس باجوف . والذى ليس باجوف شيان :
احدهما لكونه ادون من الانسان كالجنادات ؛
والثانى اعلى منه ، و هو البارى والملائكة .

والتقص بقله « الله الصمد » تنبيه انه بخلاف من اثبتوا له الالهية .

(٢٥) و سياتى قريباً .

وقال مجاهد ، ومعمّر^(٣٦) : « هو الدائم » .

(٣٨) وقد جعل الخطابي و أبو الفرج ابن الجوزي^(٣٧) الاقوال فيه اربعة : هذين
والذين تقدما . و سنيين ان شاء الله أن بقاءه و دوامه من تمام الصدية . وعن
مرة الحمداني^(٣٩) « هو الذي لا يبلى و لا يفنى » . و عنه ايضاً قال : « هو الذي يحكم
ما يريد ، و يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ، و لا راد لقضائه^(٤٠) » .

وقال ابن عطاء^(٤١) : « هو المتعالي عن الكون و الفساد » .

(٣٦) معمّر بن راشد ، أبو عروة الأزدي .
مؤرخ ، محدث ، مفسر ، كان من اوعية العلم مع الصدق والتحرى ، والورع والجلالة و حسن التصنيف .
اخذ عنه عبد الرزاق التفسير والحديث ، توفي سنة ١٥٤ هـ .
راجع طبقات ابن سعد (٥٤٦/٥) السير (٥٧/١٨) التذكرة (١٩٠/١ - ١٩١) تاريخ التراث (٩١/٢ - ٩٣) .
و رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٢/١) عن الحسن و قال الالباني سنده ضعيف للاتقطاع بين معمّر
والحسن . و رجاله ثقات .

(٣٧) عبد الرحمن بن علي بن محمد ، أبو الفرج ابن الجوزي .
الامام العلامة ، حافظ العراق ، و واعظ الآفاق ، صاحب التصانيف المشهورة في انواع العلوم من التفسير ،
و الحديث ، و الفقه ، و الوعظ ، و الزهد ، و التاريخ و غيرها .
له تفسير « زاد المسير في علم التفسير » و كتب اخرى في علوم القرآن . و قد اعتمد عليه المؤلف في التفسير .
توفي سنة ٥٩٧ هـ .
انظر طبقات الداودي (٢٧٥/١ - ٢٨٠) التذكرة (١٣٤٢/٤) وفيات ابن خلكان (١٤٠/٣) السير (٣٦٥/٢١ - ٣٨٤)
معجم المؤلفين لكحالة (١٥٧/٥ - ١٥٨) .

(٣٨) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٦٨/٩) .
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) .
قال الحافظ ابو القاسم الطبراني في « كتاب السنة » له بعد ايراده كثيرا من هذه الاقوال في تفسير
﴿ الصمد ﴾ .
« و كل هذه صحيحة ، و هي صفات ربنا عز وجل ، و هو الذي يصمد اليه في الحوائج ، و هو الذي قد
انتهى سؤده ، و هو الصمد الذي لا جوف له ، و لا ياكل و لا يشرب ، و هو الباقي بعد خلقه » .
وقال البيهقي نحو ذلك .

(٣٩) مرة بن شراحيل ، الحمداني ، ابو اسماعيل ، الكوفي .
كان يلقب بمرة الطيب ، و مرة الخير ، لعبادته ، و شدة ورعه ، و كثرة صلاحه . اخذ التفسير عن ابن
مسعود ، و توفي سنة ٧٦ هـ .
ترجمته في التفسير والمفسرون (١٢١/١) طبقات الداودي (٣١٧/٢) طبقات ابن سعد (١١٦/٦) السير (٧٤/٤)
التذكرة (٦٧/١) الحلية (١٦١/٤ - ١٧١) .

(٤٠) ذكره القرطبي في تفسيره عن الحسين بن الفضل (٢٤٥/٢٠) .

(٤١) واصل بن عطاء المعتزلي ، ابو حذيفة ، المعروف بالفزال .
متكلم ، اديب ، بليغ ، درس على الحسن البصري ثم اعتزل عنه ، و عمل على نشر مذهب الاعتزال . و كوّن
فرقة تسمى الواصلية . من آثاره « معاني القرآن » توفي سنة ١٣١ هـ .
راجع وفيات ابن خلكان (٧/١ - ١١) السير (٤٦٤/٥) معجم ياقوت (٢٤٣/١٩) لسان الميزان (٢١٤/٦)
تاريخ التراث (١٨/٤ - ١٩) .

وعنه ايضاً قال : « الصمد الذي لم يتبين عليه اثر فيما اظهر » ، يريد قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُفُوفٍ ﴾ (ق ٣٨/٥٠)

وقال الحسين بن الفضل^(٤٢) : « هو الأزلي بلا ابتداء » .

وقال محمد بن علي الحكيم الترمذي^(٤٣) : « هو الاول بلا عدد و الباقي بلا أمد ، والقائم بلا عمد » .

وقال أيضاً « الصمد الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه الافكار ، ولا تبلغه الاقطار ، وكل شيء عنده بمقدار » .

وقيل : « هو الذي جل عن شبه المصورين » .

وقيل : « هو بمعنى نفى التجزي والتأليف عن ذاته » وهذا قول كثير من اهل الكلام .

وقيل : « هو الذي أيست العقول من الاطلاع على كفيته » .

و كذلك قيل : « هو الذي لا تدرك حقيقة نعوته وصفاته ، فلا يتسع له اللسان ، ولا يشير إليه البنان » .

وقيل : « هو الذي لم يعط خلقه من معرفته إلا الاسم والصفة » .

وعن الجنيد^(٤٤) قال : « الذي لم يجعل لاعدائه سبيلاً إلى معرفته » .

(٤٢) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، الكوفي ، ابو علي النيسابوري .

المفسر ، الاديب ، امام عصره في معاني القرآن . توفي سنة ٢٨٢ هـ .

انظر طبقات الداودي (١٥٩/١) السير (٤١٤/١٣ - ٤١٦) لسان الميزان (٣٠٧/٢ - ٣٠٨) .

(٤٣) ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الحكيم الترمذي .

متصوف معروف ، درس في شبابه التفسير ، والحديث ، والفقه ، ثم مال الى التصوف . وكان ذا رحلة و معرفة وله مصنفات كثيرة من اشهرها « ختم الاولياء » و « نواذر الاصول في معرفة اخبار الرسول » .

انظر تاريخ التراث (١٤٣/٤ - ١٥٤) الحلية (٢٣٣/١٠ - ٢٣٥) السير (٤٣٩/١٣ - ٤٤٢) التذكرة (٦٤٥/٢) لسان الميزان (٣٠٨/٥ - ٣١٠) .

(٤٤) ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الحزاز ، القواريري .

صوفي مشهور ، كان ابن اخت ابي الحسن السري السقطي وتلميذه ، كما تتلمذ في التصوف على الحارث المحاسبي ، و ابي يزيد البسطامي . وكان يلقب « بسيد الطائفة » و « طاووس العلماء » . وله مشاركة في علم الكلام . توفي سنة ٢٩٨ هـ .

راجع تاريخ بغداد (٢٤١/٧ - ٢٤٩) وفيات ابن خلكان (٣٧٣/١ - ٣٧٥) الحلية (٢٥٥/١٠ - ٢٨٧) السير (٦٦/١٤) تاريخ التراث (١٣١/٤ - ١٣٥) .

(٤٥) ونحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدھا . فروى ابن أبي حاتم في تفسيره قال : « ثنا أبي ، ثنا محمد بن موسى بن نفع الحارثي^(٤٦) ، ثنا عبد الله بن عيسى يعني أبا خلف الخزاز ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ الصَّدُ ﴾ قال : « الصمد الذي تصد إليه الأشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء » .

(٤٧) حدثنا أبو زرعة ، ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن ابراهيم ، قال : « الصمد الذي يصمد العباد إليه في حوائجهم » .

(٤٨) حدثنا أبي ، ثنا عبد الرحمن بن الضحاك ، ثنا سويد بن عبد العزيز ، ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، قال : « الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له » .

(٤٥) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر ، التيمي ، الحنظلي ، الرازي . كان عالما بالقراءات والتفسير والحديث ، له معرفة واسعة بعلم الحديث وخبرة في معرفة الرجال . كان احد مشاهير محدثي في عصره . صنف « الجرح والتعديل » وله « تفسير » ينقل منه ابن كثير كثيرا . توفي سنة ٣٢٧ هـ .
راجع طبقات الداودي (٢٨٥/١ - ٢٨٧) التذكرة (٨٢٩/٣ - ٨٣٢) السير (٢٦٣/١٣ - ٢٦٨) لسان الميزان (٤٣٢/٣ - ٤٣٣) تاريخ التراث (٣٥٢/١ - ٣٥٤)
وابوه أبو حاتم احد الائمة الحفاظ الاثبات ، كان مشهورا بعلمه برواة الحديث ، مذكورا بالفضل توفي سنة ٢٧٧ هـ .
ترجمته في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٤٩ - ٣٧٢) التذكرة (٥٦٧/٢ - ٥٦٩) تاريخ بغداد (٧٣/٢ - ٧٧) تاريخ التراث (٢٩٨/١) .

(٤٦) محمد بن موسى بن نفع الحارثي (بفتح المهملة والراء ثم شين معجمة) و ورد في الاصل « الجرشى » بالجيم ، وهو خطأ .

قال الحفاظ في التقريب : لين .
وشيوخه أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز ، ضعيف .
فالآثر ضعيف . ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٧٠/٤) و راجع القرطبي (٢٤٥/٢٠) .

(٤٧) أبو زرعة هو الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو ، الامام الثقة . والآثر سنده حسن ، محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي صدوق . وسعيد بن أبي عروبة ثقة ، كثير التدليس و كان اختلط ، وقد عنعن ، ولكن أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٣/١) عن محمد بن سواء عن أبي معشر - بدون ذكر سعيد بن أبي عروبة . وقال الالباني : اسناده جيد .

(٤٨) اسناده ضعيف .
عبد الرحمن بن الضحاك - قال أبو حاتم : محله الصدق .
أما شيخه سويد بن عبد العزيز فليتن الحديث .

حدثنا أبي ، ثنا نصر بن علي ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : « الصمد الباقي بعد خلقه » وهو قول قتادة .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن غير ، عن الأعمش ، عن شقيق في قوله : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ ^(٥٠) قال : « السيد الذي قد انتهى سؤدده » .

حدثنا أبي ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة .
عن ابن عباس في قوله : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ قال : السيد الذي قد كل في سؤدده ،
والشريف الذي قد كل في شرفه ، والعظيم الذي قد كل في عظمته ، والحليم
الذي قد كل في حلمه ، والعليم الذي قد كل في علمه ، والحكيم الذي قد كل في
حكيمته ، وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسؤدد ، هو الله سبحانه وتعالى
هذه صفته لا تنبغي لأحد إلا له ليس له كفؤ ، وليس كمثل شيء سبحانه الله
الواحد القهار ^(٥١) .

حدثنا كثير بن شهاب المذحجي القزويني ، ثنا محمد بن سعيد بن سابق ،
ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ ^(٥٢) قال : الذي لم
يلد ولم يولد . حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن
سعيد هو ابن أبي عروبة وهو أثبت الناس في قتادة .

وقد أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠١/١) عن نصر بن علي به .
وقال الالباني إسناده صحيح .

وأخرجه البيهقي في الاسماء والصفات (٧٩) من وجه آخر عن يزيد بن زريع به . وذكره ابن الجوزي ، و
ابن كثير في تفاسيرهما .

(٥٠) ذكره البخاري في صحيحه من قول أبي وائل تعليقا - وقال الحافظ ابن حجر : وصله الفريابي من طريق
الأعمش عنه . وجاء أيضا من طريق عاصم عن أبي وائل بذكر ابن مسعود فيه . (فتح الباري ٧٤٠/٨) .
قلت : كذا أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٩٩/١) وقال الالباني إسناده حسن ، وأخرجه أيضا من قول
أبي وائل من رواية ابن غير عن وكيع ، وابن إدريس عن الأعمش عنه . ورجال إسناده رجال الصحيحين . و
أخرجه الطبري (٣٤٦/٣٠) البيهقي في الاسماء والصفات من وجه آخر عن الأعمش عنه (٧٩) ورجالها أيضا
ثقات .

(٥١) وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٦/٣٠) عن علي بن داود القنطري ، والبيهقي في الاسماء والصفات (٧٨) من
طريق عثمان بن سعيد الدارمي كلاهما عن أبي صالح به ، وسنده لا بأس به .
وذكره ابن كثير في تفسيره بدون سند (٥٧٠/٤) .

(٥٢) أبو جعفر الرازي هو عيسى بن أبي عيسى ماهان الرازي ، صدوق سيء الحفظ .
وأخرجه الطبري (٣٤٦/٣٠) بنحوه عن الربيع عن أبي العالية .

(٥٣) ابن علية = اسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، ثقة .
وأبو رجاء هو البصري ، محمد بن سيف الأزدي الحُدثاني - قال الحافظ في التقریب ، ثقة . وأخرجه ابن أبي
عاصم في السنة عن أبي بكر عن ابن علية عن أبي رجاء عن عكرمة ، ومن طرق أخرى عن أبي رجاء عن عكرمة
وضعه الالباني فقال إن أبا رجاء - اسمه مطر بن طهمان - فيه ضعف من قبل حفظه . (٢٩٩/١) .

عكرمة في قوله ﴿ الصمد ﴾ قال : الذي لم يخرج منه شيء . حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا أبو أحمد ، ثنا مندل بن علي ، عن أبي روق عطية بن الحارث ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عبد الله بن مسعود قال : ﴿ الصمد ﴾ الذي ليس له احشاء وروى عن سعيد بن المسيب^(٥٥) مثله .

- حدثنا أبي ، ثنا محمد بن عمر بن عبد الله الرومي ، ثنا عبيد الله بن سعيد قائد الأعشى ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، قال لا أعلمه إلا قد رفعه قال : ﴿ الصمد ﴾ الذي لا جوف له . وروى عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود في إحدى الروايات ، والحسن وعكرمة وعطية وسعيد بن جبير ، ومجاهد في إحدى الروايات ، والضحاك مثل ذلك . حدثنا أبي ثنا قبيصة ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال : الصمد المصمت الذي لا جوف له .^(٥٨)

- حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، ثنا حفص بن عمر العدني ، ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : ﴿ الصمد ﴾ قال : ﴿ الصمد ﴾ الذي لا يطعم .^(٥٩) حدثنا أبي ، ثنا علي بن هاشم بن مرزوق ، ثنا هشيم عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي أنه قال : ﴿ الصمد ﴾ الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب .^(٦٠)

ولكن الطبري أحرجه في تفسيره (٣٤٦/٣٠) عن ابن شاذان قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي رحاء محمد بن يوسف (كذا في المطبوعة وصحته سيف) فسمى أبا رحاء وهو محمد بن سيف وهو ثقة صدوق ، فالسند لا بأس به

وأحرجه الطبري أيضا عن يعقوب بن أبي عليته (٣٤٥/٣٠) أساده ضعيف ، مندل بن علي العنزي ضعيف

(٥٥) و سياق قريبا

(٥٦) سنده ضعيف محمد بن عمر بن عبد الله الرومي لئس الحديث . وعبيد الله بن سعيد ضعيف وكذا صالح بن حيان القرشي الكوفي

وأحرجه الطبري في تفسيره من طريق محمد بن عمر ابن الرومي (٣٤٥/٣٠) ونقله عنه ابن كثير في تفسيره وقال هذا غريب جدا ، والصحيح أنه موقوف على ابن بريدة (٥٧٠/٤) . ورواه الطبري ، وقال الهيثمي في مجمع الروايات (١١٤/٧) ضعيف فيه صالح بن حيان .

(٥٧) ستاق رواياتهم قريبا

(٥٨) أساده صحيح ، وأحرجه الطبري في تفسيره من طرق (٣٤٤/٣٠) و سياق وكذا ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٠/١) وليس عنده «المصمت»

(٥٩) ضعيف لاجل حفص بن عمر العدني ، أما تلميذه أبو عبد الله الطهراني فهو محمد بن حماد ثقة - وشيخه الحكم بن أبان العدني صدوق له أوهام

(٦٠) أساده صحيح وأحرجه الطبري (٣٤٥/٣٠) و سياق وابن أبي عاصم في السنة (٣٠٢/١) واليهي في الاسماء والصفات (٧٩)

حدثنا أبي و ابو زرعة قالوا ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن ميسر — يعني أباسعد -
الصفاني — ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن
كعب في قوله : ﴿ الْقَمَدُ ﴾ قال : ﴿ الْقَمَدُ ﴾ الذي لم يلد ولم يولد ؛ لأنه
ليس شيء يلد إلا يموت ، وليس شيء يموت إلا يورث ، وإن الله لا يموت ، ولا
يورث ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قال لم يكن له شبه ولا عدل ،
وليس مثله شيء .^(٦١)

حدثنا علي بن الحسين ، ثنا محمود بن خدّاش ، ثنا أبو سعد الصفاني . ثنا
أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي بن كعب : « إن
المشركين قالوا : إنسب لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة . »^(٦٢)

حدثنا ابو زرعة ثنا العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة
﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قال : إن الله لا يكافئه من خلقه احد .^(٦٣)

حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو عبد الله الحرثي ، ثنا أبو خلف عبد الله بن
عيسى ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « إن اليهود
جاءت الى النبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف ، وحيي بن اخطب ، وجدي بن
اخطب ، فقالوا : يا محمد ! صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله : ﴿ قُلْ
هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ﴾ فيخرج منه الولد ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فيخرج
من شيء »^(٦٤)

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره^(٦٥) : حدثنا أحمد بن منيع المروزي . و
محمود بن خدّاش الطالقاني فذكر مثل اسناد ابن ابي حاتم عن أبي بن كعب سؤال
المشركين للنبي ﷺ « إنسب لنا ربك فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . »
^(٦٦) وقد مر برواية أحمد ، وأخرجه البيهقي في شعب الايمان (٩٨) وانظر تخريجه هناك .

^(٦٧) ضعيف ، أبو سعد الصفاني ، واسمه محمد بن ميسر ، ضعيف ، وأبو جعفر الرازي ، صدوق ، سيء الحفظ ، وقد
مر .

أخرجه الواحدى في اسباب النزول عن أحمد بن منيع عن ابي سعد الصفاني به .
و سياق برواية ابن جرير الطبري - وأخرجه الذهبي في الميزان (٥٢/٤) في ترجمة ابي جعفر .

^(٦٨) اسناده صحيح .

^(٦٩) سنده ضعيف ، أبو عبد الله الحرثي واسمه محمد بن موسى بن نعيم : لين ، وقد مر . وأبو خلف عبد الله بن
عيسى ضعيف .

^(٧٠) راجع تفسير الطبري (٣٤٢/٣٠) .

حدثنا ابن حميد ، ثنا يحيى بن واضح ، ثنا الحسين بن يزيد ، عن عكرمة
ان المشركين قالوا : لرسول الله ﷺ «أخبرنا عن صفة ربك ما هو ؟ و من أى
شيء هو ؟ فأنزل الله هذه السورة .^(٦٦)

ورواه ايضا عن ابى العالية وعن جابر بن عبد الله حدثنا سريج ، ثنا
اسماعيل بن مجالد عن مجالد : عن الشعبي ، عن جابر فذكره قال : وقيل : هو
من سؤال اليهود .^(٦٧)

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن اسحق ، عن محمد بن سعيد قال : « أتى
رهط من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟
فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضباً لربه فجاءه جبريل فسكنه ،
وقال اخفض عليك جناحك يا محمد ، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه
قال : يقول الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إلى آخرها فلما تلاها عليهم النبي ﷺ
قالوا له : صف لنا ربك كيف خلقه كيف عضده ؟ كيف ساعده ؟ وكيف
ذراعه ؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الاول ، و ساورهم فأتاه جبريل فقال
له : مثل مقالته الاولى وأتاه بجواب ما سأله فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ .^(٦٨)

١٥

(٦٦) راجع الطبرى (٣٠٠/٣٤٢ - ٣٤٣) .

و سنده ضعيف ، شيخ الطبرى محمد بن حميد الرازى ، ضعفه غير واحد .

(٦٧) الطبرى ايضا (٣٠ - ٣٤٢) و سنده ضعيف ايضا .

(٦٨) جاء فى الاصل « حدثنا شريح ، ثنا اسماعيل بن مجاهد عن الشعبي » و التصحيح من تفسير الطبرى .
فقد رواه عن محمد بن عوف حدثني شريح قال ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر به .
و شريح تصحيف من سريج (بالمهملة و آخره جيم) و هو ابن يونس ، ثقة ، واسماعيل بن مجالد صدوق ،
يخطئ و ابوه مجالد بن سعيد ليس بالقوى .
فالحديث ضعيف .

و اخرجه ابو يعلى والطبرانى فى الاوسط راجع مجمع الزوائد (١٤٦/٧) كما اخرجه ابونعيم فى الحلية (٣٣٥/٤) .
حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سريج ، ثنا اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي ، عن جابر فذكره .
قال وقيل هو من سؤال اليهود ..

(٦٩) سورة الزمر (٦٧/٣٩) .

والحديث ضعف - لضعف ابن حميد ، وكون محمد بن اسحاق مدلسا ، و قد روى به ، و شيخه هو محمد بن
ابى محمد ، مولى زيد بن ثابت مدنى قال الذهبي فى الميزان (٢٦/٤) لا يعرف .
و فى الاصل « عن محمد بن سعيد » و صححناه من تفسير الطبرى .
راجع (٣٤٢/٣) و نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٦٧١/٨) الى ابن المنذر ايضا .

و روى الحكم بن معبد^(٧٠) في كتاب الرد على الجهمية قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا يحيى بن عبد الله ، ثنا ضرار ، عن أبان ، عن انس ، قال : « أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، و آدم من حمأ مسنون ، و إبليس من هب النار ، و السماء من دخان ، و الارض من زبد الماء ، فاخبرنا عن ربك ؟ قال : فلم يجبهم النبي ﷺ فأقاه جبريل فقال يا محمد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس له عروق يتشعب إليها . ﴿ الصَّمَدُ ﴾ ليس بأجوف و لا ياكل و لا يشرب ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ليس له ولد و لا والد ينسب إليه ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ليس شيء من خلقه يعدل مكانه يمسك السموات و الارض ان تزولا^(٧١) . الحديث .

و قال ابن جرير : ثنا عبد الرحمن بن الاسود ، ثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور ، عن عطية عن ابن عباس قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي ليس بأجوف^(٧٢) ، حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان عن منصور ، عن مجاهد ﴿ الصَّمَدُ ﴾ المصمت الذي لا جوف له^(٧٣) .

حدثنا أبو كريب ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور مثله سواء .

حدثنا الحارث ، ثنا الحسن ، ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ، حدثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا الربيع بن مسلم عن الحسن قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له^(٧٤) .

(٧٠) الحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد الخزاعي ، أبو عبد الله .

فقيه ، محدث ، أديب من أهل أصفهان ، كان من كبار الحنفية و ثقافتهم توفى سنة ٢٩٥ هـ .
راجع شذرات (٢١٨/٢) أخبار أصفهان لأبي نعم (٢٩٨/١) الجواهر المضيئة (٢٢٢/١) .

(٧١) سنده ضعيف ، يحيى بن عبد الله البسبلي ضعيف ، و أبان ، الراوى عن انس - اذا كان ابن أبي عياش فهو ضعيف ايضا ، و لم اعرف ضرار .
والحديث نسبه السيوطى فى الدر المنثور (٦٧٠/٨) الى أبى الشيخ فى العظمة و أبى بكر المرقندى فى فضائل « قل هو الله احد » .

(٧٢) سنده ضعيف لاجل سلمة بن سابور و شيخه عطية و هو ابن سعد بن جنادة العوفى .
و راجع تفسير الطبرى (٣٤٤/٣٠) .

و أخرجه ايضا ابن أبى عاصم فى السنة (٣٠١/١) و البيهقى فى الاسماء و الصفات (٧٨) .

(٧٣) سنده صحيح ، و قد مرّ برواية ابن أبى حاتم و هو عند الطبرى فى تفسيره (٣٤٤/٣٠) .

(٧٤) سنده صحيح ، و هو فى تفسير الطبرى (٣٤٥/٣٠) و أخرجه ابن أبى عاصم بسند صحيح ايضا (٣٠١/١) .

و بهذا الاسناد عن إبراهيم بن ميسرة قال : « أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبير أسأله عن ﴿ أَلْصَمَدُ ﴾ فقال : الذي لا جوف له ^(٧٥) » .

حدثنا ابن بشار ، ثنا يحيى ، ثنا اسمعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : ﴿ أَلْصَمَدُ ﴾ الذي لا يطعم الطعام ^(٧٦) » .

ورواه يعقوب عن هشيم عن إسماعيل عنه قال : « لا يأكل الطعام و لا يشرب الشراب » .

حدثنا ابن بشار و زيد بن أخزم قالوا : ثنا ابن داود عن المستقيم بن عبد الملك ، عن سعيد بن المسيب قال : ﴿ أَلْصَمَدُ ﴾ الذي لا حشوله ^(٧٧) .

حدثنا الحسين ، ثنا أبو معاذ ، ثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول : ﴿ أَلْصَمَدُ ﴾ الذي لا جوف له ^(٧٨) .

و روى عن ابن بريدة فيه حديثاً مرفوعاً لكنه ضعيف ^(٧٩) .

قال : وقال آخرون هو الذي لا يخرج منه شيء .

حدثنا يعقوب بن أبي عليّة ، عن أبي رجاء ، سمعت عكرمة قال في قوله : ﴿ أَلْصَمَدُ ﴾ لم يخرج منه شيء : لم يلد و لم يولد ^(٨٠) » .

(٧٥) أساده صحيح ، و راجع الطبري (٣٤٥/٣٠) و أحرجه ابن أبي عاصم عن إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن حير ، و قال الألباني سنده ضعيف (٣٠٢/١)

(٧٦) صحيح الأساد - و هو في تفسير الطبري (٣٤٥/٣٠) و قد مرّ برواية ابن أبي حاتم

(٧٧) سنده فيه ضعف المستقيم بن عبد الملك و اسمه عثمان ، ليس الحديث و ابن داود هو عبد الله بن داود الحريشي ، ثقة عائد

و الحديث عند الطبري (٣٤٥/٣٠) و أحرجه ابن أبي عاصم (٣٠١/١)

(٧٨) ضعيف ، الحسين بن العرج الحياطي ، ضعيف ، كدسه ابن معين و هو لس من تبويع الطبري بل يروى عنه بواسطة عدنان بن محمد المروزي ، و كثيرا ما يسقطه فيقول : حَدَّثْتُ « عن الحسين - كما جاء في تفسير الطبري في هذا الخبر راجع (٣٤٥/٣٠)

و أبو معاذ هو الفصل بن خالد الحوي ، ذكره ابن أبي حاتم في كتابه و لم يذكر فيه حرجا و لاتعدلا و عبيد هو ابن سليمان الباهلي - لا بأس به - و أحرجه ابن أبي عاصم بأساده جيد (٣٠٣/١)

(٧٩) و هو راجع الطبري (٣٤٥/٣٠) و قد مرّ برواية ابن أبي حاتم

(٨٠) راجع الطبري (٣٤٥/٣٠) و راجع مسلم (٢٠١٦/٣)

حدثنا ابن بشار ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي رجاء محمد بن^(٨١) يوسف ، عن عكرمة قال : ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ الذي لا يخرج منه شيء .

وقال آخرون لم يلد ولم يولد ، وذكر حديث أبي بن كعب الذي رواه ابن أبي حاتم ، والذي فيه : انه سبحانه لا يموت ولا يورث .

قال : وقال آخرون : هو السيد الذي انتهى في سؤده .

قال : وثنا أبو السائب ، ثنا أبو معاوية ، عن الاعمش ، عن شقيق ، قال : ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ هو السيد الذي انتهى في سؤده .^(٨٢)

حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الاعلى قالوا : ثنا وكيع عن الاعمش عن أبي وائل قال : ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ السيد الذي انتهى في سؤده .

حدثنا ابن حميد ، ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الاعمش ، عن أبي وائل مثله حدثنا ابو صالح ، ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ قال السيد الذي قد كمل في سؤده ، وذكر مثل الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم كما تقدم .

قلت : الاشتقاق يشهد للقولين جميعاً: قول من قال : ان ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ الذي لا جوف له ، وقول من قال انه السيد ، وهو على الاول ادل ؛ فان الاول أصل للثاني ، ولفظ ﴿ اَلصَّمَدُ ﴾ يقال على ما لا جوف له في اللغة .

قال يحيى بن أبي كثير: الملائكة صمد والآدميون جوف .^(٨٤)

وفي حديث آدم ان ابليس قال عنه انه أجوف ليس بصمد .^(٨٥)

(٨١) كذا في تفسير الطبري وصحته « محمد بن سيف » وهكذا ورد اسمه في تهذيب التهذيب فيمن روى عنهم شعبة . وراجع الكنى للدولابي (١٧٣/١) .

(٨٢) انظر تفسير الطبري (٣٤٦/٣٠) .

(٨٣) راجع المصدر المذكور (٣٤٦/٣٠) وقد مر برواية ابن أبي حاتم .

(٨٤) يحيى بن أبي كثير ، ابو نصر الطائي .

من صغار التابعين ، احد الاعلام الحفاظ . قال احمد : هو من اثبت الناس انما يعد مع الزهري و يحيى بن سعيد . توفي سنة ١٢٩ هـ .

انظر طبقات ابن سعد (٥٥٥/٥) السير (٢٧/٦ - ٣٠) الحلية (٦٦/٣ - ٧٥) التذكرة (١٢٩/١) .

(٨٥) جاء في حديث طويل أخرجه ابن جرير الطبري (٢٠٢/١) و البيهقي في الاسماء والصفات (٤٥٧) عن ابن مسعود وابن عباس - وسنده ضعيف .

وقال الجوهري : المصد لغة في المصت^(٨٦) وهو الذي لا جوف له ، قال
والصمد عفاص القارورة ، وقال : الصمد المكان المرتفع الغليظ قال أبو النجم^(٨٧) :

« يغادر الصمد كظهر الاجزل »

و اصل هذه المادة الجمع والقوة ، ومنه يقال يصمد المال : أي يجمعه ، و
كذلك « السيد » أصله سيود اجتمعت ياء و واو و سبقت احداها بالسكون
فقلبت الواو ياء و ادغمت . كما قيل ميت و أصله ميوت . والمادة في السواد و
السودد تدل على الجمع ، و اللون الاسود هو الجامع للبصر . و قد قال تعالى^(٨٨) :
﴿ وَ سَيِّدًا وَ حَصُونًا ﴾ .

قال اكثر السلف ﴿ سَيِّدًا ﴾ حلياً^(٨٩) ، و كذلك يروى عن الحسن ، و سعيد
بن جبير ، و عكرمة و عطاء ، و أبي الشعثاء و الربيع بن أنس ، و مقاتل ، و
قال : أبو روق عن الضحاك انه الحسن^(٩٠) الخلق . و روى سالم عن سعيد بن جبير
انه التقى^(٩١) ، و لا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً .

(٨٦) راجع اللسان « صمد » .

(٨٧) أبو النجم الراجز و اسمه الفضل بن قدامة العجلي .
من اكابر الرجاز ، و من احسن الناس انشادا للشعر . توفي سنة ١٣٠ هـ .
انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٤٠٠ - ٤٠٤) الاغانى (الدا) (١٥٠/١٠) .
و شطره في اللسان (صمد) .

(٨٨) آل عمران (٣٩/٣) .

(٨٩) كذا جاء حلياً (باللام) و هو الصواب . و ذكر ابن الجوزى (٣٨٣/١) ثمانية اقوال في معنى السيد منها الحلیم
التقى . روى عن ابن عباس و قال به الضحاك .
و منها الحكيم (بالكاف) و نسبه للحسن ، و سعيد بن جبير ، و عكرمة ، و عطاء ، و ابى الشعثاء ،
و الربيع و مقاتل ، و يبدوا هذا تحريفاً ، فلم يذكر الطبرى في تفسيره عن احد انه فر السيد بالحكيم و لا نقل
السيوطى ذلك عن احد .
راجع الطبرى (٢٥٤/٣) و الدر المنثور (١٨٩/٢) و ابن كثير (٣٦١/١) و اللسان « سود » .

(٩٠) ذكره ابن الجوزى في تفسيره (٣٨٣/١) و اخرجه احمد في الزهد (٩٠) و الخرائطى في مكارم الاخلاق قاله
السيوطى في الدر المنثور (١٩٠/٢) .
و سنده لا بأس به . أبو روق هو عطية بن الحارث الهمداني ، الكوفي ، قال الحافظ في التقریب : صدوق .

(٩١) اخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره (٢٥٤/٣) بسند ضعيف .

وقال عبد الله بن عمر : ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية !
ف قيل له : ولا أبو بكر ، ولا عمر ، قال : كان أبو بكر وعمر خيراً منه ، وما
رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية^(٩٢) ! قال أحمد بن حنبل : يعنى به
الحليم ، أو قال : الكريم ولهذا قيل :

٥ إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة فبالحلم سد لا بالتسرع والشم

ولهذا فسر طائفة من السلف السيد بأنه سيد قومه في الدين ، وقال ابن
زيد : هو الشريف ، وقال الزجاج : الذي يفوق قومه في الخير . وقال ابن
الانباري : السيد هنا الرئيس ، والامام في الخير ، وعن ابن عباس ومجاهد :
هو الكريم على ربه ، وعن سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقد تقدم أنهم^(٩٤)
يقولون لعفاس القارورة : صام ، قال الجوهري : العفاس جلد يلبسه رأس
القارورة ، وأما الذي يدخل في فيه فهو الصمام وقد عفست القارورة شددت
عليها العفاس .

(قلت) : وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في اللقطة : « ثم اعرف عفاصها
و وكاءها » والمراد بالعفاص^(٩٦) : ما يكون فيه الدرهم كالحرقعة التي تربط فيها
الدرهم ، والوكاء^(٩٨) : مثل الخيط الذي يربط به ، وهذا من جنس عفاص

(٩٢) ذكره ابن الأثير في النهاية (٤١٨/٢) وقال قيل أراد اسحق واعطى للمال وقيل احلم منه

(٩٣) نقل هذه الأقوال ابن الخوري في تمزيه (٣٨٣/١) و راجع اللسان « سود »

(٩٤) احرجه ابن حريز في تمزيه (٢٥٤/٣)

(٩٥) احرجه ابن حريز وفي اساده نقيه وفيه كلام

(٩٦) احرجه البخاري في اللقطة (٩٣/٢ - ٩٥) وفي العلم (٣١/١) وفي الترتب والمساقاة (٧٩/٣) وفي الطلاق (١٧٤/٦) وفي
في الادب (٩٨/٧)

و مسلم في اللقطة (١٣٤٦/٢ - ١٣٤٩) من حديث زيد بن خالد الجهني وهو عند ابن داود في اللقطة (٣٣١/٣)
والترمذي في الاحكام (٢٩٥/٢ - تحفة) وابن ماجة في اللقطة (٨٣٦/٢) رقم ٢٥٠٤ ٨٣٨٠ رقم ٢٥٠٧
واحرجه مالك في الموطأ (٧٥٧) .

واحمد في مسنده (١١٦٤ - ١١٧ - ١٩٣/٠)

(٩٧) وفي نسخة في السجدة (٢٦٣/٣) بعض الوعا الذي تكون فيه الفتحة من جلد او حرقعة او غير ذلك ، من
بعض ، هو سبي وعطف ، و به سمي الجلد الذي يعمل على رأس القارورة عفاصها
و راجع لسان بعض

(٩٨) راجع لسان « وفي »

القارورة . و لفظ العفص والسد والصد والجمع والسؤدد معانيها متشابهة ، فيها الجمع والقوة ، و يقال طعام عفص، وفيه عفوصة ؛ أى تقبض ، ومنه العفص الذي يتخذ منه الخبر .

وقد قال الجوهري : هو مولد ليس من كلام أهل البادية ، وهذا لا يضر ؛ لأنه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم ، لكن التسمية به جارية على أصول كلام العرب ، و كذلك تسميتهم لما يدخل في فمها صام ، فان هذه المادة فيها معنى الجمع والسد .

قال الجوهري : صام القارورة سدادها ، والحجر الأصم : الصلب المصمت ، و الرجل الأصم : هو الذى لا يسمع ، لانسداد سمعه ، والرجل الصمة : الشجاع ، و الصمة : الذكر من الحيات ، و صميم الشيء : خالصة ، حيث لم يدخل اليه ما يفرقه و يضعفه ، يقال صميم الحر ، و صميم البرد ، و فلان من صميم قوميه ؛ و الصمصام : الصارم القاطع ، الذى لا ينثنى ، و صمم فى السير و غيره أى مضى ، و رجل صمم : أى غليظ .

و منه فى الاشتقاق الأكبر الصوم ، فان الصوم هو الامساك .

قال ابو عبيدة^(٩٩) : كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم ، لأن الامساك فيه اجتماع ، والصائم لا يدخل جوفه شيء ، و يقال صام الفرس إذا قام فى غير اعتلاف . قال النابغة^(١٠٠) :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج، وأخرى تعلقك اللججا

و كذلك السد والسداد والسؤدد والسواد ، و كذلك لفظ الصد فيه الجمع ، والجمع فيه القوة ، فان الشيء كلما اجتمع بعضه إلى بعض ، و لم يكن فيه خلل كان أقوى مما إذا كان فيه خلل ، ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع : صمد ،

(٩٩) ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي .

من أئمة اللغة ، العلامة ، النحوى ، صاحب التصانيف الكثيرة منها « محار القران » و « غريب الحديث » توفي

سنة ٢٠٩ هـ .

انظر تاريخ بغداد (٢٥٢/١٣) معجم ياقوت (١٥٤/٩) اساء الرواة (٢٧٦/٣) تاريخ الادب العربى لبرو كلان

(١٤٢/٢ - ١٤٥) وفيات ابن حلكان (٢٣٥/٥) السير (٤٤٥/٩) طبقات الداودى (٣٢٦/٢) .

راجع محار القران لابي عمارة (٢٠٣) واسباب فى المسائل لعماد السمرقندى (٢٠٣) .

لقوته وتماسكه ، واجتماع أجزائه ، والرجل الصمد هو السيد المصمود ، أى المقصود ، يقال قصدته ، وقصدت له ، وقصدت إليه ، وكذلك هو مصمود ، ومصمود له وإليه ، والناس إنما يقصدون فى حوائجهم من يقوم بها ، وإنما يقوم بها من يكون فى نفسه مجتمعا قويا ثابتا ، وهو السيد الكريم ، بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق و يقلق و يتمزق من كثرة حوائجهم و ثقلها ، فان هذا ليس بسيد صمد يصمدون إليه فى حوائجهم .

فهم انما سمو السيد من الناس صمدا ؛ لما فيه من المعنى الذى لأجله يقصده الناس فى حوائجهم ، فليس معنى السيد فى لغتهم معنى اضافى فقط — كلفظ القرب والبعد — بل هو معنى قائم بالسيد ؛ لأجله يقصده الناس ، والسيد من السؤدد والسواد ، وهذا من جنس السداد فى الاشتقاق الأكبر فان العرب تعاقب بين حرف العلة ، والحرف المضاعف ، كما يقولون : تقضى البازى ، و تقضض . والساد^(١٠١) هو الذى يسد غيره ، فلا يبقى فيه خلو ، ومنه سداد القارورة ، و سداد الثغر بالكسر فيها ، وهو ما يسد ذلك ، ومنه السداد بالفتح : وهو الصواب ، ومنه القول السديد . قال الله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

قالوا قصدا حقا . وعن ابن عباس : صوابا . وعن قتادة ومقاتل : عدلا . وعن السدى : مستقيا . وكل هذه الاقوال^(١٠٢) صحيح ، فان القول السديد هو المطابق الموافق . فان كان خبرا كان صدقا مطابقا لخبره ، لا يزيد ولا ينقص ، وان كان أمرا كان أمرا بالعدل الذى لا يزيد ولا ينقص ، ولهذا يفسرون السداد بالقصد ، والقصد بالعدل .

قال الجوهري : التسديد التوفيق للسداد ، وهو الصواب ، والقصد فى القول والعمل ، و رجل مسدد إذا كان يعمل بالسداد ، والقصد ، والمسدد : المقوم ،

(١٠١) راجع اللسان " سد " .

(١٠٢) الإعراب (٣٣ / ٧٠)

(١٠٣) ذكر هذه الاقوال ابن الجوزى فى تفسيره (٤٢٧/٦) .

وقول ابن عباس نسبة السيوطى فى الدر المنثور (٦٦٧/٦) الى الطبق فى مسائله .

وقول قتادة أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٥٣/٢٢) ونسبه السيوطى فى الدر (٦٦٨/٦) .

الى عبد بن حميد وابن ابى حاتم ايضا .

وسدد رمحله ، وأمر سديد وأسد أى قاصد ، وقد استند الشيء استقام . قال الشاعر^(١٠٤) :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استند ساعده رماي

وقال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء ، و تعبيرهم عن السداد بالقصد يدل على أن لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة ، والقصد : العدل كما أنه السداد ، والصواب ، وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص ، وهذا هو الجامع المطابق . ومنه قوله تعالى^(١٠٥) ﴿ وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أى السبيل القصد . وهو السبيل العدل : أى إليه تنتهى السبيل العادلة ، كما قال تعالى^(١٠٦) ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أى الهدى اليها هذا اصح الأقوال فى الآيتين . وكذلك قوله تعالى^(١٠٧) ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ومنه فى الاشتقاق الاوسط : الصدق ، فان حروفه حروف القصد ، فنه الصدق فى الحديث لمطابقته مخبره ، كما قيل فى السداد . والصدق^(١٠٨) بالفتح الصلب من الرماح و يقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل ولا عوج ، و الصندوق واحد الصناديق ، فانه يجمع ما يوضع فيه .

ومما ينبغى أن يعرف فى باب الاشتقاق انه إذا قيل هذا مشتق من هذا فله معنيان :

أحدهما : ان بين القولين تناسبا فى اللفظ والمعنى ، سواء كان أهل اللغة تكلموا بهذا بعد هذا او بهذا بعد هذا ، وعلى هذا فكل من القولين مشتق من الآخر ، فان المقصود انه مناسب له لفظا ومعنى كما يقال : هذا الماء من هذا الماء ، وهذا الكلام من هذا الكلام ، وعلى هذا فاذا قيل : ان الفعل مشتق من المصدر ، او المصدر مشتق من الفعل ، كان كلا القولين صحيحا ، وهذا هو الاشتقاق الذى يقوم عليه دليل التصريف .

(١٠٤) الس فى اللسان سدد و حلت الأقوال فى وثله

(١٠٥) سورة الحل (٩/١٦)

(١٠٦) الليل (١٢/٩٢) .

(١٠٧) الحجر (٤١/١٥) .

(١٠٨) راجع اللسان «صدق» وفيه «الصدق» (بالفتح) الصلب من الرماح وغيرها و رمح صدق : مستو ، وكذلك سيف صدق .

وأما المعنى الثانى فى الاشتقاق وهو أن يكون أحدهما أصلاً للآخر، فهذا إذا
عنى به أن أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يقم على هذا دليل فى أكثر المواضع ، و
ان عنى به أن أحدهما متقدم على الآخر فى العقل لكون هذا مفرداً و هذا مركباً
فالفعل مشتق من المصدر .

والاشتقاق الأصغر اتفاق القولين فى الحروف و ترتيبها ، والأوسط اتفاقهما فى
الحروف لا فى الترتيب ، والأكبر اتفاقهما فى أعيان بعض الحروف ، و فى الجنس
فى الباقى ، كاتفاقهما فى كونها من حروف الحلق ، إذا قيل حزر وعزر وازر ،
فان الجميع فيه معنى القوة و الشدة و قد اشتركت مع الراء و الزاى و الحاء ، فى
ان الثلاثة حروف حلقية ، و على هذا فاذا قيل : الصمد بمعنى المصمت ، و انه
مشتق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح ، فان الدال أخت التاء ؛ فان الصمت
السكوت ، و هو إمساك ، و إطباق للهم عن الكلام .

قال ابو عبيد^(١٠٩) : المصمت الذى لا جوف له ، و قد أصمته أنا ، و باب مصمت
قد أبهم اغلاقه ؛ و المصمت من الخيل ؛ البهيم أى لو كان لا يخالط لونه لون آخر ، و
منه قول ابن عباس^(١١٠) : إنما حرم من الحرير المصمت ، فالمصمد والمصمت متفقان فى
الاشتقاق الأكبر ، و ليست الدال منقلبة عن التاء ، بل الدال أقوى ، والمصمد
أكمل فى معناه من المصمت ، و كلما قوى الحرف كان معناه أقوى ، فان لغة
العرب فى غاية الاحكام و التناسب ، و لهذا كان الصمت امساکاً عن الكلام مع
امكانه ، و الانسان أجوف يخرج الكلام من فيه لكنه قد يصمت بخلاف الصمد
فانه إنما يستعمل فيما لا تفرق فيه ، كالصمد و السيد و الصمد من الارض و صماد
القارورة ، و نحو ذلك . فليس فى هذه الألفاظ المتناسبة أكمل من ألفاظ
الصمد ، فان فيه الصاد والميم و الدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لها مزية على
ما يناسبها من الحروف ، والمعانى المدلول عليها بمثل هذه الحروف أكمل .

(١٠٩) راجع اللسان «صمت» .

(١١٠) أخرجه ابو داود فى اللباس (٣٢٩/٤) و احمد فى مسنده (٢١٨/١ ، ٣١٣ ، ٣٢١)

ومما يناسب هذه المعاني (الصبر) فان الصبر فيه جمع وامساك ، ولهذا قيل : الصبر حبس النفس عن الجزع ، يقال صبر وصبرته أنا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾^(١١١) وكذلك معنى السيد الصمد خلاف معنى الجزوع النوع ، ومنه الصبرة من الطعام فانها مجتمعة مكومة ، والصبارة الحجارة ، وصبر الشيء غلظه ؛ وضده (الجزع) ، وفيه معنى التقطع والتفرق ، يقال جزع له^(١١٢) جزعة من المال أي قطع له قطعة ، والجزوعة القطعة من الغنم ، واجتزعت من الشجر عوداً أي اقتطعته ، واكتسرت ، وجزعت الوادي إذا قطعتة عرضاً ، و الجزع منعطف الوادي ، ومنه الجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه بياض و سواد ، وكذلك جزع البسر تجزيعاً إذا أرطب نصفه (أو) ثلثاه ، وهو خلاف قولهم مصمت للون الواحد لما في ذلك من الاجتماع ، وفي هذا من التفرق .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾^(١١٣) .

قال الجوهري : الهلع : أفحش الجزع ، وقال غيره : هو في اللفظة أشد الحرص ، وأسوأ الجزع ، ومنه قول النبي ﷺ : « شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ شَحٌّ هَالِعٌ وَجَبْنٌ خَالِعٌ » .

و ناقة هلواع إذا كانت سريعة السير خفيفة ، وذئب هلع بلع ، والهلع من الحرص ، والبلع من الابتلاع ، ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني ، فروى عن ابن عباس قال : هو الذي إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً^(١١٤) .

(١١١) راجع تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤٧) وانظر اللسان «صبر» .

(١١٢) سورة الكهف (٢٨/١٨) .

(١١٣) راجع اللسان «جزع» .

(١١٤) المعارج (١٩/٦٠ - ٢١) .

(١١٥) وقال الطبري في تفسيره : الهلع : شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر (٧٨/٢٩) .
و راجع اللسان «هلع» .

(١١٦) رواه ابو داود و احمد و البيهقي في شعب الايمان — وانظر تخريجه فيه .

(١١٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٨/٢٩) .

و روى عنه انه قال : هو الحريص على ما لا يحل له ^(١١٨).

و عن سعيد بن جبير ^(١١٩) : شحيحا . و عن عكرمة : ضجورا . و عن جعفر : حريصا ، و عن الحسن والضحاك : بخيلا ، و عن مجاهد : شرها ، و عن الضحاك أيضا : الهلوع الذى لا يشبع ، و عن مقاتل : ضيق القلب ، و عن عطاء : عجولا .

و هذه المعانى كلها تنافى الثبات و القوة والاجتماع ، والامساك والصبر ، وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

و هذا و إن كان قد قيل ان المراد به أنها تنصدع فيموتون ، فإنه كما قيل : في مثل ذلك : قد انصدع قلبه ، و قد تفرق قلبي ، و قد تشتت قلبي ، و قد تقسم قلبي ، و منه يقال للخوف : قد فرق قلبه و يقال : بازاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب ، مجموع القلب .



(١١٨) و نقل في اللسان «هلوع» عن المبرد رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير و لا شر حتى يفعل في كل واحد منها غير الحق .

(١١٩) راجع الطبرى (٧٨/٢٩) و في سنده يحيى بن يمان و هو صدوق يخطئ كثيرا و اشعث بن اسحاق صدوق و جعفر بن ابى مغيرة صدوق بهم .
و انظر هذه الاقوال في تفسير ابن الجوزى والدر المنثور (٢٨٤/٨) و راجع القرطبي (٢٨٩ / ١٨ - ٢٩٠) .

(١٢٠) سورة براءة (١١٠/٩)

فصل

- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ فادخل اللام في الصمد ، ولم يدخلها في أحد ؛ لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الاثبات مفرداً غير مضاف إلا الله تعالى ؛ بخلاف النفي وما في معناه : كالشرط والاستفهام فإنه يقال : هل عندك أحد ؟ وان جاءني أحد من جهتك أكرمته ، و إنما استعمل في العدد المطلق ، يقال : أحد ، اثنان . و يقال : احد عشر . و في اول الأيام يقال : يوم الأحد ، فان فيه — على أصح القولين — ابتداء الله خلق السموات والارض ، وما بينهما . كما دل عليه القرآن والاحاديث الصحيحة ، فان القرآن أخبر في غير موضع : أنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته : (أن آخر المخلوقات كان آدم ، خلق يوم الجمعة)^(١٢١) و إذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة .

(١٢١) حديث ان آدم كان آخر الخلق جاء في رواية مسلم الذي قال المؤلف انه معلول و اما حديث ان آدم خلق يوم الجمعة فقد رواه مسلم (٥٨٥/١) و ابو داود (٦٣٤/١) و الترمذى (٣٥٩/١) والنسائى (٩٠/٢) ومالك في الموطاء (١٠٨) و احد في مسنده (٥٤٠، ٥١٢، ٥٠٤، ٤١٨/٢) عن ابى هريرة و روى عن غيره من الصحابة .

وأما الحديث الذي رواه مسلم^(١٢٢) في قوله : « خلق الله التربة يوم السبت » فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره ، قال البخاري : الصحيح انه موقوف^(١٢٣) على كعب ، وقد ذكر تعليقه البيهقي أيضاً ، وبينوا انه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، وهو مما أنكر الحذاق على مسلم إخرجه إياه ، كما أنكروا عليه إخراج أشياء يسيرة ، وقد بسط هذا في مواضع آخر ، .

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي^(١٢٤) في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ قال ابن عباس^(١٢٥) : خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين ، وبه قال عبد الله بن سلام^(١٢٦) والضحاك^(١٢٧) ومجاهد^(١٢٨) وابن جريج والسدي^(١٢٩) والاكثرون ، وقال مقاتل في يوم الثلاثاء والاربعاء .

وقال : وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة « خلق الله التربة يوم السبت » . قال : وهذا الحديث مخالف لما تقدم ، وهو أصح فصحيح هذا لظنه صحة الحديث ، إذ رواه مسلم ، ولكن هذا له نظائر روى مسلم أحاديث^(١٣٠) قد عرف أنها غلط ، مثل قول أبي سفيان لما أسلم : أريد أن أزوجه أم حبيبة ، ولا خلاف بين الناس أنه تزوجها قبل اسلام أبي سفيان ، ولكن هذا قليل جدا ، ومثل

(١٢٢) ولفظه « خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر الى الليل

أخرجه مسلم في المناققين (٢١٤٩/٢١٥٠) والبيهقي في الاسماء والصفات (٤٨٦ - ٤٨٧) وقال : زعم بعض اهل العلم بالحديث انه غير محفوظ لخالفته ما عليه اهل التفسير واهل التواريخ .
وأخرجه ايضا الدولابي في الكنى (١٧٥/١) وابن منده في كتاب التوحيد (١٨٣ رقم ٥٨) .
وصححه الالباني وتكلم عليه في الصحيحة (١٨٣٣) .

(١٣٣) راجع تفسير ابن كثير (٩٤/٤) .

(١٣٤) راجع تيسيره (٢٤٣/٧) .

(١٣٥) أخرجه الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي (٥٤٣/٢) وابن جرير في تفسيره (٩٤/٢٤) .

(١٣٦) نبه السيوطي في الدر المنثور (٣١٥/٧) الى ابن المنذر .

(١٣٧) راجع تفسير الطبري (٢٠٥/٨) .

(١٣٨) أخرجه ابن جرير (٩٤/٢٤) .

(١٣٩) أخرجه في فضائل أبي سفيان من كتاب فضائل الصحابة (١٩٤٥/٢) .

و راجع تعليق النووي على هذا الحديث (٦٣/١٦) .

ما روى في بعض طرق حديث صلاة الكسوف انه صلاها بثلاث ركوعات و أربع^(١٣٠)، والصواب انه لم يصلها الا مرة واحدة بركوعين ، ولهذا لم يخرج البخاري إلا هذا ، وكذلك الشافعي ، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، و غيرها ، و البخاري سلم من مثل هذا ؛ فانه اذا وقع في بعض الروايات غلط ذكر الروايات المحفوظة التي تبين غلط الغالط ، فانه كان أعرف بالحديث و علله ، وأفقه في معانيه من مسلم و نحوه . .

و ذكر ابن الجوزي^(١٣١) في موضع آخر أن هذا قول ابن اسحاق قال : وقال ابن الانباري : وهذا إجماع أهل العلم .

و ذكر قولاً ثالثاً في ابتداء الخلق : أنه يوم الاثنين . وقال : قاله ابن اسحاق ، و هذا تناقض . و ذكر أن هذا قول أهل الانجيل ، والابتداء بيوم الأحد قول أهل التوراة ، و هذا النقل غلط على أهل الانجيل . كما غلط من جعل الأول إجماع أهل العلم من المسلمين . و كأن هؤلاء ظنوا ان كل امة تجعل اجتماعها في اليوم السابع من الايام السبعة التي خلق الله فيها العالم ، و هذا غلط ؛ فان المسلمين انما اجتماعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم ، و هو يوم الجمعة ، كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة .

والمقصود هنا : أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الاعيان الا الله وحده ، و انما يستعمل في غير الله في النفي ، قال اهل اللغة : تقول لا احد في الدار ، ولا تقول فيها أحد . ولهذا لم يجيء في القرآن إلا في غير الموجب ، كقوله تعالى^(١٣٢) ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ .

و كقوله^(١٣٤) ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

و قوله^(١٣٥) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ .

و في الاضافة كقوله^(١٣٦) ﴿ قَابَعْتُوْاْ أَحَدَكُمْ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾^(١٣٧) .

(١٣٠) حديث ثلاث ركوعات في ركعة أخرجه عن عبيد بن عمير عن عائشة (١/٢٢٠ - ٢٢١) و عن جابر (١/٢٢٢) و حديث أربع ركوعات أخرجه من حديث جابر (١/٢٢٢) و من حديث ابن عباس (١/٢٢٧) و راجع النووي (١٩٨/٦ - ١٩٩) .

(١٣١)	راجع تفسيره (٣/٢١١)	(١٣٢)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٣)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٤)	الاحزاب (٣٣/٣٢)
(١٣٢)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٣)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٤)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٥)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)
(١٣٥)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٦)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٧)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)	(١٣٨)	سورة المذبح (٧٠/٤٧)

و أما اسم ﴿ الصَّمَدُ ﴾ فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين . كما تقدم . فلم يقل الله صمد ، بل قال : ﴿ الله الصَّمَدُ ﴾ فبين أنه المستحق ؛ لأن يكون هو الصمد دون ما سواه ، فانه المستوجب لغايته على الكمال ، والمخلوق و ان كان صمداً من بعض الوجوه ؛ فان حقيقة الصمدية منتفية عنه ؛ فانه يقبل التفرق والتجزئة ، وهو أيضاً محتاج الى غيره ، فان كل ما سوى الله محتاج اليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد اليه كل شيء ولا يصمد هو الى شيء الا الله تبارك وتعالى ، وليس في المخلوقات الا ما يقبل أن يتجزأ ، و يتفرق ، و يتقسم ، و ينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكلها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمدية بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الاشياء بوجه من الوجوه ، كما قال في آخر السورة : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ استعملها هنا في النفي أي ليس شيء من الاشياء كفوا له في شيء من الأشياء لأنه أحد .

وقال رجل للنبي ﷺ : أنت سيدنا فقال^(١٣٨) : (السيد الله) . ودل قوله . (الاحد ، الصمد) ، على انه لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ؛ فان الصمد هو الذي لا جوف له ولا احشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا ياكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال^(١٣٩) : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ . وفي قراءة الاعمش وغيره ولا يُطْعَمُ بالفتح .

وقال تعالى^(١٤١) ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ .

ومن مخلوقاته الملائكة ، وهم صمد لا يأكلون ولا يشربون ، فالخالق لهم جل جلاله أحق بكل غنى و كمال جعله لبعض مخلوقاته ، فلهذا فسر بعض السلف الصمد بأنه الذي لا ياكل ولا يشرب ، والصمد : المصمد الذي لا جوف له ، فلا يخرج منه عين من الاعيان ، فلا يلد .

(١٣٨) أخرجه ابوداود في الادب من سننه (١٥٤/٥) و احمد في مسنده (٢٤/٤ - ٢٥) و البيهقي في الاسماء والصفات (٣٩) وسنده صحيح .

(١٣٩) سورة الاعمال (١٢/٦) (١٤٠) راجع غدير ابن الحورى (١١/٣) (١٤١) للداريات (٥١/٥١ - ٥١)

ولذلك قال من قال من السلف : هو الذي لا يخرج منه شيء ، ليس مرادهم انه لا يتكلم ، وان كان يقال في الكلام انه خرج منه ، كما قال في الحديث : (ما تقرب العباد الى الله بشيء أفضل مما خرج منه) يعني القرآن .

وقال ابو بكر الصديق لما سمع قرآن مسيلة : ان هذا لم يخرج من إل^(١٤٣) .

فخروج الكلام من المتكلم هو بمعنى أنه يتكلم به فيسمع منه ، و يبلغ الى غيره ليس بمخلوق في غيره ، كما يقول الجهمية : ليس بمعنى أن شيئاً من الاشياء القائمة به يفارقه ، و ينتقل عنه الى غيره ، فان هذا ممتنع في صفات المخلوقين ان تفارق الصفة محلها ، و تنتقل الى غير محلها ، فكيف بصفات الخالق جل جلاله . وقد قال تعالى في كلام المخلوقين : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾^(١٤٥) .

وتلك الكلمة هي قائمة بالمتكلم و سمعت منه ، ليس خروجها من فيه ، أن ما قام بذاته من الكلام فارق ذاته ، و انتقل الى غيره ، فخرج كل شيء بحسبه ، و من شأن العلم و الكلام اذا استفيد من العالم و المتكلم ان لا ينقص من محله ، و لهذا شبه بالنور الذي يقتبس منه كل أحد الضوء ، و هو باق على حاله لم ينقص ، فقول من قال من السلف : الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء كلام صحيح ، بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه .

(١٤٢) رواه الترمذي عن ابي امامة مرفوعا و لفظه ما ادن الله لعمد في شيء افضل من ركعتين يصلّيها ، و ان التزليد على راس العمدة ما دام في صلاته ، و ما تقرب العباد الى الله بمثل ما حرج منه ، يعني القرآن و في رواية احمد «ما فصل مما حرج منه» المسند (٢٦٨/٥) و قال الترمذي هذا حديث عريب لا يعرفه الا من هذا الوجه و تكرس حيس قد تكلم ابن المبارك و تركه في آخر امره ، و قد روى هذا الحديث عن ريد بن ارمطة عن حير بن عفير عن النبي ﷺ ، و هو مرسل ٠٠٠ ثم ذكره و لفظه «انكم لن ترجعوا الى الله ما فصل مما حرج منه يعني القرآن» (١٧٦/٤ - ١٧٧) و احمد في الزهد (٣٥) و وصله الحاكم فقال عن حير بن عفير عن ابي در عن النبي ﷺ (٥٥٥/١) و صححه و اقره الذهبي و ذكره الالباني الحديثين في ضعيف الجامع الصغير (رقم ٤٩٩٥، ٢٠٤١)

(١٤٣) ذكره ابو عبيد في عريب الحديث (٢٢٩/٣ - ٢٣٠) و راجع النهاية لاس الاثير (٦١/١) واللسان «آلل»

(١٤٤) اتباعهم بن صموان (١٢٨هـ) قال بالاحبار والاضطرار الى الاعمال و انكر الاستطاعات كلها و رعى ان الحنة والبارتيدان و تميميان و قال لا محور ان يوصف الساري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيها

راجع الفرق بين الفرق للمعداني (١٩٩) والمثل والحل للشهرستاني (١٠٩/١)

(١٤٥) سورة الكهف (٥/١٨)

ولهذا امتنع عليه ان يلد و ان يولد ، و ذلك ان الولادة والتولد و كل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين ، و ما كان من المتولد عيناً قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها ، و ما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به ، فالاول نفاء بقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ ، فان الاحد هو الذي لا كفؤ له و لا نظير ، فيمتنع ان تكون له صاحبة ، و التولد إنما يكون بين شيئين ، قال تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، و بانه خالق كل شيء ، و كل ما سواه مخلوق له ، ليس فيه شيء مولود له .

والثاني : نفاء بكونه سبحانه الصمد ، و هذا المتولد من أصلين يكون مجزئين ينفصلان من الأصلين ، كتولد الحيوان من أبيه و أمه بالملق الذي ينفصل من أبيه و أمه ، فهذا التولد يفتقر الى اصل آخر ، و الى ان يخرج منها شيء ، و كل ذلك ممتنع في حق الله تعالى ، فانه احد فليس له كفؤ يكون صاحبة و نظيراً ، و هو صمد لا يخرج منه شيء ، فكل واحد من كونه احداً ، و من كونه صمداً يمنع ان يكون والداً ، و يمنع ان يكون مولوداً بطريق الأولى و الاخرى .

و كما ان التوالد في الحيوان لا يكون الا من اصلين — سواء كان الأصلان من جنس الولد ، و هو الحيوان المتوالد او من غير جنسه ، و هو المتولد — فكذلك في غير الحيوان كالنار المتولدة من الزندين ، سواء كانا خشبتين ، او كانا حجراً و حديداً ، أو غير ذلك قال الله تعالى ﴿ قَالُمُورِيَاتٍ قَدْحاً ﴾ .

و قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ ﴾ .

(١٤٦) سورة الانعام (١٠٢/٦) .

(١٤٧) سورة العاديات (٢/١٠٠) .

(١٤٨) سورة الواقعة (٧١/٥٦ - ٧٣) .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ۝﴾ .

- ٥ قال غير واحد من المفسرين^(١٥٠) هما شجرتان يقال لإحدهما : المرخ ، والاخرى: العفار . فمن اراد منها النار قطع منها غصنين مثل السواكين ، وهما خضراوان يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ — وهو ذكر — على العفار — و هو أنثى — فتخرج منها النار باذن الله تعالى ، وتقول العرب: في كل شجر نار ، واستجد المرخ والعفار . وقال بعض الناس في كل شجرة نار الا العناب ، ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾^(١٥١) فذلك زنادهم .

وقد قال أهل اللغة^(١٥٢) الجوهري وغيره : الزند العود الذي يقدح به النار ، و هو الأعلى . و الزندة السفلى فيها ثقب ، وهي الأنثى ، فاذا اجتمعا قيل زندان .

- وقال أهل الخبرة بهذا : انهم يسحقون الثقب الذي في الأنثى بالاعلى كما يفعل ذكر الحيوان في أنثاه ، فبذلك السحق و الحك يخرج منها اجزاء ناعمة تنقدح منها النار ، فتتولد النار من مادة الذكر والانثى كما يتولد الولد من مادة الرجل و المرأة ، و سحق الانثى بالذكر و قدحها به يقتضي حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تنقدح منها النار كما ان ايلاج ذكر الحيوان في انثاه بقدح و حك فرجها بفرجه ، فتقوى حرارة كل منهما ، و يتحلل من كل منهما مادة تمتزج بالاخرى ، و يتولد منها الولد ، و يقال : علقت النار في المحل الذي يقدح عليه ، الذي هو كالرحم للولد ، و هو الحراق و الصوفان ، و نحو ذلك مما يكون اسرع قبولا للنار من غيره ، كما علقت المرأة من الرجل ، و قد

(١٤٩) سورة يس (٧٨/٣٦ - ٨٠) .

(١٥٠) راجع ابن الجوزي (٤٢/٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٣٦٨) تفسير ابن كثير (٥٨٢/٣) القرطبي (٥٩/١٥ - ٦٠) .

(١٥١) سورة يس (٨٠/٣٦) .

(١٥٢) راجع اللسان «زند» .

لا تعلق النار كما قد لا تعلق المرأة ، وقد لا تنقذ نار كما لا ينزل مني ، والنار ليست من جنس الزنادين ، بل تولد النار منها كتولد حيوان من الماء والطين ، فان الحيوان نوعان متوالد كالانسان و بهيمة الانعام ، وغير ذلك مما يخلق من ابوين ، ومتولد كالذي يتولد من الفاكهة والحل ، وكالقمل الذي يتولد من وسخ جلد الانسان ، وكالفار والبراغيث وغير ذلك مما يخلق من الماء والتراب .

وقد تنازع الناس فيما يخلقه الله من الحيوان والنبات والمعدن والمطر والنار التي توري بالزناد وغير ذلك هل تحدث اعيان هذه الاجسام فيقلب هذا الجنس الى جنس آخر . كما يقلب المني علقة ثم مضغة ، أولا تحدث الا أعراض وأما الاعيان التي هي الجواهر فهي باقية بغير صفاتها بما يحدثه فيها من الاكوان الاربعة : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون ؟ على قولين :

فالقائلون بأن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، التي لا تقبل التجزي كما يقوله كثير من أهل الكلام ، و إما من جواهر لانهاية لها كما يحكى عن النظام^(١٥٣) .

فالقائلون بان الأجسام مركبة من الجواهر يقولون : ان الله لا يحدث شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما يحدث الأعراض التي هي الاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون وغير ذلك من الأعراض .

ثم من قال منهم بان الجواهر محدثة قال : إن الله أحدثها ابتداء ، ثم جميع ما يحدثه إنما هو احداث اعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر ، وهذا قول اكثر المعتزلة والجهمية والأشعرية ونحوهم ، ومن أكابر هؤلاء من يظن ان هذا مذهب المسلمين ، و يذكر اجماع المسلمين عليه ، وهو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة ، ولا جمهور الأمة ؛ بل جمهور الأمة حتى من طوائف أهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد ، وتركب الأجسام من الجواهر ، وابن كلاب^(١٥٤) امام

(١٥٣) ابو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام و يعرف اتباعه بالنظامية . من كبار المعتزلة انفرد عنهم باشياء . توفي ما بين ٢٢٠ - ٢٣٠ هـ . راجع لمعرفة آرائه الفرق بين الفرق (١١٣) الملل والنحل للشهرستاني (٦٧/١) وانظر تاريخ التراث لفواد سركين (٦٨/٤ - ٧٠) .

(١٥٤) هو ابو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب (بضم الكاف و تشديد اللام) القطان البصري . كان متكلماً و يعد من معارض المعتزلة و مع ذلك فليس هناك اتفاق على انه من اهل السنة توفي حوالي سنة ٢٤٠ هـ .

راجع الاعلام للزركلي (٩٠/٤) تاريخ التراث (٢٨/٤) السير (١٧٤/١١) لسان الميزان (٣٩٠/٣) .

اتباعه هو من ينكر الجوهر الفرد وقد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك^(١٥٥) في مصنفه الذي صنّفه في مقالات ابن كلاب، وما بينه وبين الأشعري^(١٥٦) من الخلاف، و هكذا نفى الجوهر الفرد قول المشامية والضارية^(١٥٨)، وكثير من الكرامية^(١٥٩) و النجارية أيضاً^(١٦٠).

- و هؤلاء القائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر المفردة : المشهور عنهم ؛
 بان الجواهر متاثلة ؛ بل و يقولون أو أكثرهم : ان الأجسام متاثلة ؛ لأنها مركبة
 من الجواهر المتاثلة و انما اختلفت باختلاف الاعراض ، و تلك صفات عارضة
 لها ليست لازمة ، فلا تنفي التاثل ، فان حد المثليين أن يجوز على أحدهما ما
 يجوز على الآخر ، و يجب له ما يجب له و يمتنع عليه ما يمتنع عليه . و هم
 يقولون : إن الجواهر متاثلة ، فيجوز على كل واحد ما جاز على الآخر ، و
 يجب له ما يجب له ، و يمتنع عليه ما يمتنع عليه .

(١٥٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الانصارى الاصبهاني .
 كان فيلسوفاً و لغوياً و مفسراً و فقيهاً ، اهتم بعلم الكلام و بحث في الحديث و القرآن من وجهة النظر
 الكلامية . له مؤلفات كثيرة منها كتاب «مشكل الحديث» توفي عام ٤٠٦ هـ .
 انظر انباء الرواة (١١٠/٣) وفيات ابن خلكان (٢٧٢/٤) الوافي بالوفيات (٣٤٤/٢) السير (٢١٤/١٧ - ٢١٦)
 تاريخ التراث (٥١/٤ - ٥٤) .

(١٥٦) أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق الاشعري . امام المتكلمين .
 كان تلميذاً للجبائي المعتزلي ، ثم تحول الى مذهب اهل السنة و ردّ على المعتزلة و على الطوائف الاخرى
 له تصانيف جمّة . قال الفقيه أبو بكر الصيرفي : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حق شأ الاشعري فحجروا
 في اقع السسم . توفي سنة ٣٢٤ هـ .
 راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٣٤٦/١١ - ٣٤٧) وفيات ابن خلكان (٢٨٤/٣ - ٢٨٦) السير (٨٥/١٥ - ٩٠) الملل
 والنحل للشهرستاني (١١٩/١ - ١٢٧) تاريخ التراث (٣٥/٤ - ٣٩) .

(١٥٧) المشامية من اتباع هشام بن عمرو القوطي . قال الشهرستاني و مبالغته في القدر اشد و اكثر من مبالغة
 اصحابه و كان يمتنع من اطلاق اضافات افعال الى البارئ تعالى وان ورد بها التنزيل .
 راجع التفصيل في الملل والنحل (٩١/١ - ٩٤) والفرق بين الفرق (١٤٥ - ١٥٠) .

(١٥٨) اتباع ضرار بن عمرو من كبار المعتزلة ، اختلف معهم فكفروه و طردوه . قال البغدادي : وافق اصحابنا في
 ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى و اكتساب العباد و في ابطال القول بالتولد ، و وافق المعتزلة في ان
 الاستطاعة قبل الفعل . توفي في سنة ١٩٠ هـ .
 راجع الفرق بين الفرق (٢٠١ - ٢٠٢) والملل والنحل (١١٤/١ - ١١٦) وانظر تاريخ التراث (٦١/٤) .

(١٥٩) اصحاب محمد بن كرام الذي كان يقول بان الله مستقر على العرش و انه جوهر . و ذهب الى التجسيم
 والتشبيه . توفي سنة ٢٢٥ هـ .
 انظر الفرق بين الفرق (٢٠٢ - ٢١٤) الملل والنحل (١٤٤/١) وانظر الاعلام (١٤/٧) و معجم المؤلفين
 لكحالة (١٦١/١١) لسان الميزان (٣٥٢/٥) السير (٥٢٣/١١) الوافي (٣٧٥/٤) .

(١٦٠) النجارية اتباع الحسين بن محمد النجار من متكلمي المعتزلة و له مع النظام مناظرات و له تصانيف يوافق
 اهل السنة في بعض المسائل و يوافق المعتزلة في نفى الصفات والرؤية و خلق القرآن . توفي سنة ٢٢٠ هـ .
 راجع الملل والنحل (١١٢/١ - ١١٤) الفرق بين الفرق (١٩٥ - ١٩٨) والنظر الاعلام (٢٣٥/٢) .

وكذلك الاجسام المؤلفة من الجواهر ؛ ولهذا اذا أثبتوا حكما لجسم قالوا : هذا ثابت لجميع الأجسام ، بناء على التماثل ، وأكثر العقلاء ينكرون هذا ، و حذاقهم قد أبطلوا الحجج التي احتجوا بها على التماثل ، كما ذكر ذلك الرازي^(١٦١) والآمدي^(١٦٢) وغيرهما . وقد بسط الكلام على هذا في مواضع . والأشعري في (كتاب الابانة) جعل القول بتماثل الأجسام من اقوال المعتزلة التي انكرها .

وهؤلاء يقولون : ان الله يخص أحد الجسمين المتماثلين بأعراض دون الآخر بمجرد المشيئة ، على أصل الجهمية ، أو لمعنى آخر كما تقول القدرية ،^(١٦٣) ويقولون يتمتع انقلاب الاجناس ، فلا ينقلب الجسم عرضاً ، ولا جنس من الاعراض الى جنس آخر ، فلو قالوا : إن الاجسام مخلوقة ، وإن المخلوق ينقلب من جنس الى جنس آخر ، لزم انقلاب الاجناس . فهؤلاء يقولون : ان التولد الحاصل في الرحم ، والثر الحاصل في الشجر ، والنار الحاصلة في الزناد هي جواهر كانت في المادة التي خلق ذلك منها ، وهي باقية ؛ لكن غيرت صفتها بالاجتماع والافتراق والحركة والسكون .

ولهذا لما ذكر أبو عبد الله الرازي أدلة « اثبات الصانع » ذكر أربعة طرق : امكان الذوات وحدوثها ، وامكان الصفات وحدوثها والطرق الثلاثة الاولى ضعيفة ؛ بل باطلة ؛ فان الذوات التي ادعوا حدوثها أو إمكانها أو امكان صفاتها ذكروها بالفاظ مجملة لا يتميز فيها الخالق عن المخلوق ، ولم يقيموا على ما ادعوه دليلاً صحيحاً .

(١٦١) محمد بن عمر بن الحسين ، فخرالدين الرازي ، العلامة ، ذوالفنون ، الامام المفسر ، المتكلم ، اوحده زمانه في النقول والمعقول ، له تصانيف كثيرة . توفي سنة ٦٠٦ هـ .
انظر ترجمته في وفيات ابن خلكان (٢٤٨/٤ - ٢٥٢) الوافي (٢٤٨/٤ - ٢٥٩) السير (٥٠٠/٢١) الاعلام (٣١٣/٦) معجم المؤلفين (٧٩/١١) .

(١٦٢) علي بن ابي علي بن محمد بن سالم التغلبي ، سيف الدين الحنبلي ثم الشافعي .
فقيه ، اصولي ، متكلم ، لم يكن في زمانه من يجاريه في الاصلين و علم الكلام ، سافر الى القاهرة و درس هناك الفلسفة و مصر ، و صنف التصانيف ، فقام عليه بعض الفقهاء حسدا و رموه بفساد العقيدة و التعطيل والاغلال . توفي سنة ٦٣١ هـ .
ترجمته في وفيات ابن خلكان (٢٩٣/٣ - ٢٩٤) البداية والنهاية (١٤٠/١٣ - ١٤١) السير (٣٦٤/٢٢ - ٣٦٧) الاعلام (٣٣٢/٤) معجم المؤلفين (١٥٥/٧) .

(١٦٣) القدرية اسم يطلقه اهل السنة على المعتزلة القائلين بان العبد قادر على خلق افعاله ، و يطلق المعتزلة هذا الاسم على اهل السنة بناء على انهم يقولون ان العبد مجبور لا قدرة له ، والاقدار كلها بيد الله .

وأما « الطريق الرابع » وهو الحدوث لما يعلم حدوثه فهو طريق صحيح ، وهو طريق القرآن ، لكن قصرنا فيه غاية التقصير ؛ فانهم على أصلهم لم يشهدوا حدوث شيء من الذوات ، بل حدوث الصفات ، وطريقة القرآن تبين ان كل ماسوى الله مخلوق ، وأنه آية لله ، وقد بسط الكلام على ما في القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل اليها هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة ، وان كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع .

والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول باثبات الجوهر الفرد — كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه فصاروا على قولين :

منهم من يقول بعدم الجواهر ثم تعاد . ومنهم من قال : تتفرق الأجزاء ثم تجتمع فأورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان ، وذلك الحيوان أكله انسان آخر ، فان أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا . وأورد عليهم أن الانسان يتحلل دائماً فما الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت ؟ فان قيل : بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة ، وهو خلاف ما جاءت به النصوص ، وان كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض . فادعي بعضهم أن في الانسان أجزاء أصلية لا تتحلل ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ، والعقلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ، ليس فيه شيء باق ، فصار ماذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الابدان وأجب ان صار طائفة من النظار الى ان الله يخلق بدناً آخر تعود الروح اليه .

والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره ، وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة باعادة هذا البدن ، وهو المذكور في كتب الرازي ، فليس في كتبه وكتب امثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول ، الذي بعث الله به الرسول ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة ، وبحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق ، والبعث والمبدأ ، والمعاد ، وكلا الطريقين فاسد . إذ بنوه على مقدمات فاسدة ، والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء من أن الاجسام تنقلب من حال الى حال ، انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء ؛ وهذا القول — وهو القول في خلق الله

للاجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحيلها من جسم الى جسم - هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة ، والجمهور .

ولهذا يقول الفقهاء في النجاسة هل تطهر بالاستحالة أم لا ؟ كما تستحيل العذرة رماداً ، والخنزير وغيره ملحاً ، ونحو ذلك ، والمني الذي في الرحم يقلبه الله علقه ، ثم مضغه ، وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته ، وكذلك الحبة يفلقها وتنقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة وغير ذلك ، وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى . كما خلق آدم من الطين ، فقلب حقيقة الطين فجعلها عظماً ولحماً وغير ذلك من أجزاء البدن ، وكذلك المضغة يقلبها عظاماً ، وغير عظام . قال الله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾^(١٦٤) .

وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾^(١٦٥)

فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا ، كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا ، ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا ؛ بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة الى هذا ، وبما ضمه الى هذا من مواد آخر ، وكذلك الاعادة يعيده

(١٦٤) سورة مومن (٢٣ - ١٢ - ١٣)

(١٦٥) سورة مومن (٣٦ - ١٢ - ١٣)

قال الحسين^(١٨٨) بن الفضل البجلي : الذي عندي في هذه الآية : ﴿ وَ نُنشِئُكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ .^(١٨٩)

أى اخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لاتعلمون ، كيف شئت ، وذلك أنكم علمتم النشأة الاولى ، كيف كانت في بطون الامهات ، وليست الاخرى كذلك .

ومعلوم أن النشأة الاولى كان الانسان نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة مخلقة ، ثم ينفخ فيه الروح ، وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة ، وهو يغذيه بدم الطمث الذي يربى الله به الجنين في ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، والنشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة ، ولا يغذون بدم ، ولا يكون أحدهم نطفة رجل وامرأة ، ثم يصير علقه بل ينشئون نشأة اخرى ، وتكون المادة من التراب ، كما قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ قَارَةَ أُخْرَى ﴾ .^(١٩٠)

وقال تعالى : ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ .^(١٩١)

وقال : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ .^(١٩٢)

وفي الحديث : (ان الارض تمطر مطرًا كني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات) .^(١٩٣)

كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ .^(١٩٤)

﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ .^(١٩٥)

﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٩٦)

(١٨٨) في الاصل «الحسن» والصواب «الحسين بن فضل البجلي» من أئمة المفسرين اللغويين وقد مر .
راجع تعليق رقم (٤٢) .

(١٨٩) سورة الواقعة (٦١/٥٦ - ٦٢) . (١٩٣) أخرجه الحاكم في المستدرک موقوفا على ابن مسعود (٤٩٧/٤ - ٥٩٨) .

(١٩٠) طه (٥٥/٢٠) . (١٩٤) سورة ق (١١/٥٠) .

(١٩١) الاعراف (٢٥/٧) . (١٩٥) فاطر (١/٢٥) .

(١٩٢) سورة نوح (١٧/٧١ - ١٨) . (١٩٦) الاعراف (٥٧/٧) .

فعلم أن النشاطين نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر . ولهذا جعل المعاد هو المبدأ ، وجعل مثله أيضا فباعثبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار ما بين النشاطين من الفرق فهو مثله . وهكذا كل ما أعيد . فلفظ الاعادة يقتضي المبدأ والمعاد ، سواء في ذلك اعادة الاجسام والاعراض كاعادة الصلاة وغيرها ، فان النبي ﷺ مر برجل يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة .^(١٩٧)

ويقال للرجل : أعد كلامك ، وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ، ويعيد الدرس . فالكلام هو الكلام وان كان صوت الثاني غير صوت الاول وحركته ، ولا يطلق القول عليه انه مثله ، بل قال تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ .^(١٩٨) وكان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أمحدها ثلاثا .^(١٩٩)

وان كان يسمى مثلاً مقيداً حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان ، أي مثل هذا قال ، ويقال فعل هذا عودا على بدء ، إذا فعله مرة ثانية بعد اولى ، ومنه البئر البدي ،^(٢٠٠) والبئر العادي ، فالبدي التي ابتدئت ، والعادي التي أعيدت ، وليست بنسبة الى عاد . كما قيل . ويقال استعدته^(٢٠١) الشيء فاعاده إذا سأله أن يفعله مرة ثانية ، ومنه سميت العادة ، يقال : عاد وأعتاده وتعوده أي صار عادة له : وعود كلبه الصيد فتعوده ، وهو من المعاودة ، والمعاودة الرجوع الى الأمر الأول ، ويقال الشجاع معاود ؛ لأنه لا يمل المراس . وعادوته الحمى وعادوه بالمسألة أي سأله مرة بعد مرة ، وتعاود القوم في الحرب وغيرها اذا عاد كل فريق إلى صاحبه ، والعواد بالضم ما أعيد من الطعام ، بعد ما أكل منه مرة أخرى ، وِعَوَادٍ بمعنى عُدْ مثل نزال بمعنى انزل .

(١٩٧) أخرجه ابوداود (٤٣٩/١) والترمذي (٤٤٥/١) وابن ماجه (٢٢١/١) رقم (١٠٠٤) والدارمي (٢٩٥) واحمد (٢٢٨/٤) و قال الترمذي حسن . وفي الباب عن علي بن شيبان وابن عباس .

(١٩٨) سورة الاسراء (٨٨/١٧) .

(١٩٩) رواه البخاري في العلم (٣٢/١) والترمذي في الاستئذان (٧٢/٥) واحمد في المسند (٢١٣/٣ - ٢٢١) من حديث انس بن مالك .

(٢٠٠) راجع اللسان «بدء» .

(٢٠١) اللسان «عود» .

- ففى جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة فى المرة الثانية هى الاولى ، وان تعدد الشخص ، ولهذا يقال : هو مثله ، ويقال : هذا هو هذا ، وكلاهما صحيح واعنى بالحقيقة الامر الذى يختص بذلك الشخص ، ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين ، فان من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده ، وانما يقال حاكاه وشابهه ، بخلاف ما اذا أعاد فعلا ثانيا
- مثل ما فعل أولا فانه يقال اعاد فعله ، وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ، ولا يقال لمن انشأ مثله قد أعاده ، ويقال قرئ على هذا ، واعاد على هذا ، وهذا يقرأ أى يدرس ، وهذا يعيد ، ولو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد ، وكذلك من كسر خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان ويقال لمن هدم دارا: أعدها كما كانت ، بخلاف من أنشأ أخرى مثلها ، فان هذا لا يسمى معيدا ، والمعاد يقال فيه هذا هو الاول بعينه ، ويقال هذا مثل الاول من كل وجه ، ونحو ذلك من العبارات الدالة على انه هو هو من وجه وهو مثله من وجه .

- وبهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع ، كقول من قال : الاعادة لا تكون الا مع اعادة ذلك الزمان ونحو ذلك مما يمنع اعادته فى صريح العقل ، وانما يعاد بالاتيان بمثله ، وان قال بعض المتكلمين انه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه .

- والاعادة التى اخبر الله بها هى الاعادة المعقولة فى هذا الخطاب ، وهى الاعادة التى فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ ، وهى التى يدل عليها لفظ الاعادة ، والمعاد هو الاول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ، ولوازم البداية فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثانى مباينا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ، ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم وكما انه سبحانه خلق الانسان ، ولم يكن شيئا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا وعلى هذا فالانسان الذى صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات اكله انسان آخر ، وهلم جرا ، والانسان الذى أكله انسان او حيوان ، وأكل ذلك الحيوان انسانا آخر ، ففى هذا كله قد عدم هذا الانسان وهذا الانسان ، وصار كل منهما ترابا ، كما كان قبل ان يخلق ، ثم يعاد

هذا ويعاد هذا من التراب ، وانما يبقى عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب .

وأما سائرهم فعدم ، فيعاد من المادة التي استحال اليها ، فاذا استحال في القبر الواحد ألف ميت ، وصاروا كلهم ترابا ، فانهم يعادون ويقومون من ذلك القبر ، وينشئهم الله تعالى بعد ان كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولاً بعد ان كانوا عدما محضا ، واذا صار ألف انسان ترابا في قبر ، أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج ان يخلقهم كما خلقهم في النشأة الاولى التي خلقهم منها من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغه ، وجعل نشأتهم بما يستحيل الى أبدانهم من الطعام والشراب ، كما يستحيل الى بدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان ، وكذلك لو أكل انسانا ، أو أكل حيوانا قد أكل انسانا : فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة ، بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة الى علقه الى مضغه ، ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر ما يأكله من الطعام والشراب ، فمن ظن أن الاعادة تحتاج الى اعادة الاغذية التي استحالت الى أبدانهم فقد غلط .

و حينئذ فاذا أكل انسان انسانا فانما صار غذاء له كسائر الأغذية وهو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية ، و معلوم ان الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما وشرابا ، ثم يصير كيلوسا كالثرده ثم كيوسا كالحريرة ، ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله ، و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه ، فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء: العظم عظما ، و اللحم لحما ، و العرق عرقا ، و هذا في الرزق كاستحالتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقه ، ثم مضغه . وكما انه سبحانه لا يحتاج في الاعادة الى ان ينخل احدهم نطفة ، ثم مضغه فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خبزا و فاكهة و لحما ثم يجعلها كيلوسا و كيوسا ، ثم دما ، ثم عظما و لحما و عروقا ، بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى ، لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة ، كما قال : ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

(٢٠٢) في الاصل «كلوسا» والكيلوس عصير الاطعمة المأكولة - و هي اول مراحل الهضم ، و بعدها يستحيل الطعام كيوسا .

(٢٠٣) سورة الواقعة (٥٦/٦٢) .

بعد أن يبلى كله الا عجب الذنب ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : ^(١٦٦) (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب . منه خلق ابن آدم ، ومنه يركب) .

وهو إذا أعاد الانسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه ، فان هذه كائنة فاسدة ، وتلك كائنة لافاسدة ، بل باقية دائمة ، وليس لاهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال : ^(١٦٧) (اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون وانما هو رشح كرشح المسك) .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال : ^(١٦٨) (يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾) .

فهم يعودون غلفا لا محتونين .

(١٦٦) رواه البخارى في التفسير (٣٤٦ - ٧٩) ومسلم في الفتن (٢٢٧١/٣) ولفظه في رواية : كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب .
واتفقا على لفظ «ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظمها واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» .
والحديث اخرجه ايضا ابوداود في السنة (١٠٨/٥) والنسائي في الجنائز (١١١/٤) وابن ماجه في الزهد (١٤٢٥/٢ رقم ٤٢٦٦) ومالك في الموطا (٢٣٩) واحمد في مسنده (٤٩٩،٤٢٨،٣٢٢،٣١٥/٢) .

(١٦٧) اخرجه مسلم في صفة اهل الجنة (٢١٨٠/٣ - ٢١٨١) عن جابر عن النبي ﷺ ولفظه :
ان اهل الجنة ياكلون فيها و يشربون ، ولا يتغلون ، ولا يبولون ، ولا يتمخطون .
قالوا : فما بال الطعام ؟
قال : جشاء و رشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ،
واخرجه الدارمي (٧٣١) واحمد في مسنده (٣٨٤،٣٦٤،٣٥٤،٣٤٩،٣١٦/٣) .
وله شاهد من حديث ابى هريرة اخرجه البخارى في الانبياء (١٠٢/٤) وفي بدء الخلق (٨٦/٤) ومسلم في صفة الجنة (٢١٧٩/٣) والترمذي في صفة الجنة (٦٧٨/٤) وابن ماجه في الزهد (١٤٤٩/٢ رقم ٤٢٣٣) واحمد في مسنده (٣١٦،٢٥٢،٢٣٢/٢) .

(١٦٨) سورة الانبياء (١٠٤/٢١) .
والحديث في الصحيحين ليس بهذا اللفظ بل لفظها : « انكم محشورون الى الله » .
اخرجه البخارى في الانبياء (١١٠/٤ - ١٤٢) وفي التفسير (١٩١/٥ - ٢٤٠) وفي الرقاق (١٩٥/٧) .
ومسلم في صفة الجنة (٢١٩٤/٣) من حديث ابن عباس .
وله شاهد من حديث عائشة اخرجه البخارى (١٩٥/٧) ومسلم (٢١٩٤/٣) والنسائي (١١٥/٤) وابن ماجه (١٤٢٩/٢ رقم ٤٢٧٦) واحمد (٥٣/٦ - ٩٠) .
وحديث ابن عباس اخرجه الترمذي (٦١٥/٤) والنسائي (١١٤/٤) واحمد (٢١٣/١ - ٢٢٩) وابن جرير (١٠١/١٧) بلفظ يحشر الناس .
كما اخرجه الترمذي (٤٢٢/٥) والدارمي (٧٢٢) واحمد (٢٣٥/١ - ٢٥٣) بلفظ آخر .

وقال الحسن البصري^(١٦٩) وعجاهد^(١٧٠) كما بداكم ، فخلقكم في الدنيا ولم تحوتوا شيئا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء ، وقال قتادة : بداكم من التراب ، وإلى التراب يعودون ، كما قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ قَارَةَ أُخْرَى ﴾ .^(١٧١)

وقال : ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ .^(١٧٢)

وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الأخرى بأحياء الأرض بعد موتها في غير موضع . كقوله : ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٧٣)

وقال : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾^(١٧٤) إلى قوله : ﴿ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(١٦٩) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥٧/٨) و راجع تفسير ابن الجوزي (١٨٦/٤) .

(١٧٠) راجع المصدر المذكور (١٥٨/٨) .

(١٧١) سورة طه (٥٥/٢٠) .

(١٧٢) سورة الاعراف (٢٥/٧) .

(١٧٣) نفس السورة (٥٧/٧) .

(١٧٤) سورة ق (١١ - ٧/٥٠) .

(١٧٥) سورة الحج (٦/٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ مَحَابِلًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ . (١٧٦)

وهو سبحانه مع إخباره انه يعيد الخلق ، وأنه يحيي العظام وهي رميم ، وأنه يخرج الناس من الارض تارة أخرى ، هو يخبر أن المعاد هو المبدأ . كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ . (١٧٧)

ويخبر ان الثاني مثل الاول ، كقوله تعالى : ﴿ وَ قَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ ﴾ . (١٧٨)

وقال تعالى : ﴿ وَ قَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رءُوسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ، يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . (١٧٩)

وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ . (١٨٠)

وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ لَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (١٨١)

(١٧٦) سورة فاطر (٩/٣٥)

(١٧٧) سورة الروم (٢٧/٣٠) .

(١٧٨) سورة الاسراء (١٧/٩٨ - ٩٩) .

(١٧٩) نفس السورة (١٧/٤٩ - ٥٢) .

(١٨٠) سورة يس (٨١/٣٦) .

(١٨١) سورة الاحقاف (٣٢/٤٦)

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٨٢)

والمراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على اعادةهم ، كما اخبر بذلك في قوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ لَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .^(١٨٣)

فان القوم ما كانوا ينازعون في ان الله يخلق في هذه الدار ناسا امثالهم ، فان هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن ، يخلق الولد من الوالدين ، وهذه هي النشأة الاولى ، وقد علموها ، وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .^(١٨٤)

وقال : ﴿ وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .^(١٨٥)

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَ غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ لَّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ .^(١٨٦)

ولهذا قال : ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .^(١٨٧)

(١٨٢) سورة الواقعة (٥٦/٥٨ - ٦٢) .

(١٨٣) سورة الاحقاف (٤٦/٣٢) .

(١٨٤) سورة الواقعة (٥٦/٦٢) .

(١٨٥) سورة يس (٣٦/٧٨ - ٧٩) .

(١٨٦) سورة الحج (٢٢/٦) .

(١٨٧) سورة الواقعة (٥٦/٦١) .

وقال^(٢١٢) ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝﴾ .

وقد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها . والجيب هو الطوق الذي في العنق ، ليس هو ما يسميه بعض العامة جييا ، وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدرهم ونحوها ، وموسى لما أمره الله أن يدخل يده في جيبه : هو ذلك الجيب المعروف في اللغة .

وذكر أبو الفرج^(٢١٣) وغيره قولين : هل كانت النفخة في جيب الدرع ؟ أو في الفرج ؟ فإن من قال بالاول ، قال : في فرج درعها ، وإن من قال هو مخرج الولد قال أنها كناية عن غير مذكور ، لأنه إنما نفخ في درعها ، لا في فرجها وهذا ليس بشيء ، بل هو عدول عن صريح القرآن . وهذا النقل ان كان ثابتاً لم يناقض القرآن ، وإن لم يكن ثابتاً لم يلتفت اليه ، فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع ، فراحده أنه ﷺ لم يكشف عنها ، وكذلك جبريل كان إذا أتى النبي ﷺ وعائشة متجردة لم ينظر إليها متجردة ، فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها .

والمقصود إنما هو النفخ في الفرج ، كما أخبر الله به في آيتين ، وإلا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن ، مع أنه لا تأثير له في حصول الولد ، ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف .

والمقصود هنا أن المسيح خلق من أصلين : من نفخ جبريل ومن أمه مريم ، وهذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر والجنين مضغة ؛ فإن ذلك نفخ في بدن قد خلق ، وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ، ولا كانت مريم حملت ، وإنما حملت به بعد النفخ بدليل قوله : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝﴾ . فحملته فانتبتت به مَكَانًا قَصِيًّا^(٢١٤) .

فلما نفخ فيها جبريل حملت به ، ولهذا قيل في المسيح ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ ، باعتبار هذا النفخ . وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه ، وهو

(٢١٢) انظر تفسيره (٣٨٥/٥) وانظر تفسير الطبري (١٧٢/٢٨)

(٢١٣)

مريم (١٧/١٩ - ١٩)

(٢١٤) سورة النساء (١٧١/٤) .

سورة مريم (١٩/١٩ - ٢٢)

جبريل ، هو الروح الذي خاطبها ، وقال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فقوله ﴿ قَنَقْنَاهُنَا فِيهَا ﴾ ^(٢١٦) او ﴿ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ^(٢١٧) أى من هذا الروح الذي هو جبريل ، وعيسى روح من هذا الروح ، فهو روح من الله ، بهذا الاعتبار ، ومن لا ابتداء الغاية .

و المقصود هنا : أنه قد يكون الشيء من أصلين باتقلاب المادة التى بينهما إذا التقيا كان بينهما مادة فتتقلب ، وذلك لقوة حك أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها ، وهذا مثل تولد النار بين الزنادين إذا قدح الحجر بالحديد ، او الشجر بالشجر ، كالمرخ و العفار ، فانه بقوة الحركة الحاصلة من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائها ، و يسخن الهواء الذي بينهما فيصير نارا ، و الزندان كلما قدح أحدهما بالآخر تقصت أجزاؤها بقوة الحك ، فهذه النار استحالت عن الهواء و تلك الأجزاء بسبب قدح أحد الزنديين بالآخر .

و كذلك النور الذي يحصل بسبب انعكاس الشعاع على ما يقابل المضيء ، كالشمس والنار ، فان لفظ النور و الضوء يقال تارة على الجسم القائم بنفسه : كالنار التى فى رأس المصباح ، و هذه لا تحصل إلا بمادة تنقلب نارا كالخطب و الدهن ، و يستحيل الهواء أيضا نارا ، و لا ينقلب الهواء أيضا نارا إلا بنقص المادة التى اشتعلت ، او نقص الزنديين ، و تارة يراد بلفظ النور و الضوء و الشعاع : الشعاع الذي يكون على الارض و المحيطان من الشمس ، او من النار ، فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه ، لا بد له من محل يقوم به يكون قابلا له ، فلا بد فى الشعاع من جسم مضيء ، و لا بد من شيء يقابله حتى ينعكس عليه الشعاع .

و كذلك النار الحاصلة فى ذبالة المصباح اذا وضعت فى النار ، او وضع فيها خطب ، فان النار تحيل أولا المادة التى هي الدهن او الخطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب نارا ، و إنما ينقلب بعد نقص المادة ، و كذلك الريح التى تحرك النار مثل ما تهب الريح فتشتمل النار فى الخطب ، و مثل ما ينفخ فى

(٢١٦) سورة الانبياء (٩١/٢١) .

(٢١٧) التحريم (١٢/٦٦) .

الكبر وغيره تبقى الريح المنفوخة تضرع النار لما في محل النار كالخشب و الفحم من الاستعداد لاتقلابه نارا ، و ما في حركة الريح القوية من تحريك النار الى المحل القابل له ، و قد ينقلب أيضا الهواء القريب من النار ؛ فان اللهب هو الهواء انقلب نارا ، مثل ما في ذبالة المصباح ، و لهذا إذا طفئت صار دخانا ، و هو هواء مختلط بنار كالبخار ، و هو هواء مختلط بماء ، و الغبار هواء مختلط بتراب .

و قد يسمى البخار دخانا ، و منه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ ﴾ .^(٢١٨)

قال المفسرون : بخار الماء ، كما جاءت الآثار : (ان الله خلق السموات من بخار الماء) ^(٢١٩)

و هو الدخان . فان الدخان الهواء المختلط بشيء حار ، ثم قد لا يكون فيه ماء ، و هو الدخان الصرف ، و قد يكون فيه ماء ، فهو دخان ، و هو بخار كبخار القدر . و قد يسمى الدخان بخارا ، فيقال لمن استجمر بالطيب : تبخر ، و ان كان لا رطوبة هنا ، بل دخان الطيب سمي بخارا .

قال الجوهري : بخار الماء : ^(٢٢٠) ما يرتفع منه كالدخان ، و البخور — بالفتح — ما يتبخر به ؛ لكن انما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التي انقلبت نارا ، كالخطب و الدهن ، فلم تتولد النار الا من مادة ، كما لم يتولد الحيوان الا من مادة .



(٢١٨) سورة حم سجدة (٢١ ١١)

(٢١٩) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٤٥/٧) و أخرجه الطبري عن ابن اسحاق من قوله (١٩٢/١) و روى عن ابن عباس و ابن مسعود موقوفا بنحوه (١٩٤/١) و راجع الاسماء و الصفات للبيهقي (٤٨٢) و سنده ضعيف .

(٢٢٠) راجع نفس حجر

فصل

و المقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من الاعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصلين ، و من انفصال جزء من الاصل . و اذا قيل في الشيع والري : إنه متولد ، أو في زهوق الروح و نحو ذلك من الاعراض : أنه متولد ، فلا بد في جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من أصلين ، لكن العرض يحتاج الى محل ، لا يحتاج الى مادة تنقلب عرضا ؛ بخلاف الأجسام فانها انما تخلق من مواد تنقلب أجساما ، كما تنقلب الى نوع آخر ، كاتقلاب المني علقه ، ثم مضغه ، و غير ذلك من خلق الحيوان و النبات .

و أما ما كان من أصل واحد : كخلق حواء من الضلع القصرى لآدم ، و هو وان كان مخلوقا من مادة أخذت من آدم ، فلا يسمى هذا تولدا ؛ ولهذا لا يقال : ان آدم ولد حواء ، و لا يقال انه أبو حواء ، بل خلق الله حواء من آدم ، كما خلق آدم من الطين .

و أما المسيح فيقال : انه ولدته مريم ، و يقال : المسيح بن مريم فكان المسيح جزءا من مريم ، و خلق بعد نفخ الروح في فرج مريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ لَهُ مِنْ الْقَانِتِينَ ﴾ ^(٢٢١) .
و في الأخرى : ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢٢٢) .

و لا يحتاج مع ذلك الى شيء من هذه الاستحالات التى كانت فى النشأة الاولى .

و بهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائماً فى التحلل ، فان تحلل البدن ليس بأعجب من انقلاب النطفة علقه ، و العلقه مضغة ، و حقيقة كل منهما خلاف حقيقة الاخرى .

و أما البدن المتحلل فالاجزاء الثانية تشابه الأولى و تماثلها ، و إذا كان فى الاعادة لا يحتاج الى انقلابه من حقيقة الى حقيقة فكيف باتقلابه بسبب التحلل ؟ ! و معلوم ان من رأى شخصاً و هو شاب ثم رآه و هو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الاستحالة ، و كذلك سائر الحيوان و النبات ، كمن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع ان التحلل و الاستحالة ثابت فى سائر الحيوان و النبات ، كما هو فى بدن الانسان . و لا يحتاج عاقل فى اعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى ، و ان هذه الفرس هي التى كانت عنده من سنين ، و لا أن هذا الانسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل ، و لا يخطر هذا ببال احد ، و لا يقتصر العقلاء فى قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التى لا تعرف و لا تتميز عن غيرها ، بل إنما يشيرون إلى جملة الشجرة و الفرس و الانسان ، مع انه قد يكون كان صغيراً فكبر ، و لا يقال إنما كان هو ذاك باعتبار ان النفس الناطقة واحدة كما زعمه من ادعى ان البدن الثانى ليس هو ذاك الاول ، و لكن المقصود جزاء النفس بنعيم أو عذاب ، ففى أي بدن كانت حصل المقصود ، فان هذا أيضاً باطل مخالف للكتاب و السنة و اجماع السلف ، مخالف للمعقول من الاعادة .

فانا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون : هذا الفرس هو ذاك ، و هذه الشجرة هي تلك التى كانت من سنين ، مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه و تقوم بذاتها ، و كذلك يقولون مثل هذا فى الحيوان ، و فى الانسان ، مع انه لم يخطر بقلوبهم ان المشار اليه بهذا و ذاك نفس مفارقة ؛ بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم ، فدل على ان العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذاك ، مع وجود الاستحالة ، و علم بذلك أن ما ذكر من الاستحالة لا ينافى أن يكون البدن الذي يعاد فى النشأة الثانية هو هذا البدن ، و لهذا يشهد البدن

المعاد بما عمل في الدنيا . كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَ قَالُوا لَوْلَا جُلُودُنَا لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

و معلوم ان الانسان لو قال قولا ، أو فعل فعلا ، أو رأى غيره يفعل ، أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثين سنة شهد على نفسه بما قال أو فعل ، و هو الاقرار الذي يؤخذ بموجبه ، أو شهد على غيره بما قبضه من الاموال ، و أقربيه من الحقوق ، وكانت الشهادة على عين ذلك المشهود عليه مقبولة ، مع استحالة بدنه في هذه المدة الطويلة ، و لا يقول عاقل من العقلاء : إن هذه الشهادة على مثله أو على غيره . و لو قدر أن المعين حيوان أو نبات ، و شهد ان هذا الحيوان قبضه هذا من هذا ، و ان هذا الشجر سلمه هذا إلى هذا : كان كلاما معقولا مع الاستحالة ، و اذا كانت الاستحالة غير مؤثرة ، فقول القائل : يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمنه أو هزاله أو غير ذلك جهل منه فان صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة ، حتى يقال : ان الصفات هي المغيرة : إذ ليس هناك استحالة ، و لا استفراغ ، و لا امتلاء ، و لا سمن ، و لا هزال ، و لا سماء أهل الجنة اذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة أبيهم آدم : طول أحدهم ستون ذراعا ، كما ثبت في الصحيحين^(٢٠٦) و غيرها^(٢٠٧) و روى أن عرضه سبعة أذرع ، و هم لا يبولون^(٢٠٨) و لا يتغوطون ، و لا يبصقون ، و لا يتخطون .

(٢٠٤) سورة يس (٦٥/٣٦) .

(٢٠٥) سورة حم سجدة (٢٠/٤١ - ٢١) .

(٢٠٦) راجع البخارى في الانبياء (١٠٢/٤) و في الاستئذان (١٢٥/٧) و مسلم في الجنة (٢١٨٤/٣) و رواه احمد في مسنده (٣١٥/٢) .

(٢٠٧) رواه احمد (٥٣٥/٢) و في مسنده على بن زيد بن جدعان و ضعفه غير واحد .

(٢٠٨) قد مر آنفا .

ولست تلك النشأة من اخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها بعضاً ، كما في هذه النشأة ، ولاطعامهم مستحيلاً ، ولاشرابهم مستحيلاً من التراب و الماء والهواء ، كما هي أطعماتهم في هذه النشأة ، ولهذا أبقي الله طعام^(٢٠٩) الذي مر على قرية و شرابه مائة عام لم يتغير ، ودلنا سبحانه بهذا على قدرته ، فاذا كان في دار الكون و الفساد يبقى الطعام الذي هو رطب و عنب أو نحو ذلك ، و الشراب الذي هو ماء أو ما فيه ماء مائة عام لم يتغير ، فقدرته سبحانه و تعالى على أن يجعل الطعام والشراب في النشأة الاخرى لا يتغير بطريق الأولى والاخرى ، وهذه الامور لبسطها موضع آخر .



(٢٠٩) راجع القصة في سورة البقرة (٢٥٩/٢) .

فصل

والمقصود هنا : أن التولد لا بد له من أصلين ، و إن ظن ظان ان نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل ناراً بسخوته من غير مادة تخرج منها تنقلب ناراً فقد غلط ، و ذلك لأنه لا تخرج نار إن لم يخرج منها مادة بالحك ، و لا تخرج النار بمجرد الحك .

و ايضاً فانهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان و الحراق فتنزل النار عليه ، و إنما ينزل الثقيل ، فلولاً أن هناك جزءاً ثقيلاً من الزناد الحديد و الحجر لما نزلت النار ، و لو كان الهواء و حده انقلب ناراً لم ينزل ، لأن الهواء طبعه الصعود لا الهبوط ، لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة ناراً قد ينقلب الهواء القريب منها ناراً : أما دخاناً و إما لهيباً .

و المقصود أن المتولدات خلقت من اصلين ، كما خلق آدم من التراب و الماء ، و إلا فالتراب المحض الذي لم يخلط به ماء لا يخلق منه شيء ، لحيوان و لنبات . و النبات جميعه إنما يتولد من أصلين أيضاً ، و المسيح خلق من مريم و نفخة جبريل . كما قال تعالى : ﴿ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ۖ ﴾ .

و قال : ﴿ وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ۖ ﴾ .

(٢١١) الاسياء (٩١/٢١) .

(٢١٠) سورة التحريم (١٢/٦٦) .

فصل

وهذا مما يبين ان ما نزه الله نفسه ونفاه عنه بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾^(٢٢٤) وبقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٢٢٥) وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢٢٥)

يعم جميع الانواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الأمم ، كما ان ما نفاه من اتخاذ الولد يعم أيضا جميع أنواع الاتخاذات الاصطفائية كما قال تعالى : ﴿ وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْنُ خَلْقٍ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٢٢٦)

قال السدى : ^(٢٢٧) قالوا : ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ، ثم ينادى مناد اخرجوا كل مختون من بنى اسرائيل .

(٢٢٤) سورة الصافات (١٥١/٢٧ - ١٥٢)

(٢٢٥) سورة الانعام (١٠٠/٦ - ١٠١)

(٢٢٦) سورة المائدة (١٨/٥) .

(٢٢٧) ذكره ابن الجوزى في تفسيره (٣١٨/٢) والخبر في القرطبي (١٢٠/٦) وابن كثير (٣٥/٢) ونسبه لابن حاتم وابن جرير و راجع تفسير الطبري (١٦٤/٦) .

وقد قال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ (٢٢٨)
 وقال : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
 الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ ﴾ (٢٢٩)

وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
 نَذِيرًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٢٣٠)

وقال : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا مَبْهَاتٌ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ
 مُشْفِقُونَ ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٣١)

وقال : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
 فَأَيَّاهُ قَارِهَبُونَ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾
 الى قوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾ الى قوله : ﴿ وَ
 يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢٣٢)

وقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ إِلَٰهِيَّ آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا
 مَّدْحُورًا ، أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ
 لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا
 يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ، قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا ابْتِغَا
 إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٢٣٣)

(٢٢٨) سورة المومنون (٩١/٢٣) .

(٢٢٩) سورة الاسراء (١١١/١٧) .

(٢٣٠) سورة الفرقان (١/٢٥ - ٢) .

(٢٣١) سورة الانبياء (٢٦/٢١ - ٢٩) .

(٢٣٢) سورة النحل (٥١/١٦ - ٥٧) .

(٢٣٣) سورة الاسراء (٣٩/١٧ - ٤٣) .

وقال: ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ لَيَقُولُونَ ، وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ، فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ، فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝ .
 وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ، تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ مِمَّا تُمَثِّلُهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ۝ . الى قوله: ﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ۝ .
 وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۝ ﴾ (٢٣٧)

قال بعض المفسرين: ﴿جزءا﴾ اي نصيبا و بعضا ، وقال بعضهم: جعلوا لله نصيبا من الولد . وعن قتادة (٢٣٨) ومقاتل بعدلا . وكلا القولين صحيح ، فانهم يجعلون له ولدا ، والولد يشبه اباه ، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۝﴾ اي البنات .

كما قال في الآية الاخرى: ﴿وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ۝﴾ (٢٤٠) . فقد جعلوها للرحمن مثلا ، وجعلوا له من عباده جزءا ، فان الولد جزء من الوالد ، كما تقدم ،

(٢٣٤) سورة الصافات (١٤٩/٣٧ - ١٦٣) .

(٢٣٥) سورة النجم (١٩/٥٣ - ٢٣) .

(٢٣٦) نبي السورة (٢٧/٥٣) .

(٢٣٧) سورة الزخرف (١٥/٤٣) .

(٢٣٨) راجع الطبري (٥٦/٣٥) وانظر الدر المنثور (٣٦٩/٧) .

(٢٣٩) الرحمن (١٧/٤٣) .

(٢٤٠) سورة النحل (٥٨/١٦) .

- قال **عليه السلام** : ^(٢٤١) « انما فاطمة بضعة مني » .
- وقوله : ^(٢٤٢) ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ، وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا آلَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾ .
- قال الكلبي : ^(٢٤٣) نزلت في الزنادقة قالوا : ان الله وابليس شريكان ، فالله خالق النور والناس والدواب والانعام . وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب .
- واما قوله : ^(٢٤٤) ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ۖ ﴾ فقليل هو قولهم : ^(٢٤٥) الملائكة بنات الله ، وسمي الملائكة جناً لاجتنانهم عن الابصار . وهو قول مجاهد وقتادة .
- وقيل ^(٢٤٦) قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجنة ، ومنهم ابليس وهم بنات الله ، وقال الكلبي ^(٢٤٧) قالوا — لعنهم الله — ، بل تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة .

- (٢٤١) جزء من حديث أخرجه البخارى في فضائل الصحابة (٢١٩، ٢١٢، ٢١٠/٤) وفي النكاح (١٥٨/٦) ومسلم في فضائل الصحابة (١٩٠٣/٢) عن السور بن مخرمة .
- وأخرجه ابوداود (٥٥٨/٢) والترمذى (٦٩٨/٥) وابن ماجه (٦٤٤/١) رقم (١٩٩٩) واحمد (٣٣٦/٤) وأخرجه الترمذى (٦٩٩/٥) واحمد (٥/٤) من حديث عبد الله بن الزبير .
- (٢٤٢) سورة الانعام (١٠٠/٦) .
- (٢٤٣) راجع اسباب النزول للواحدى (٢١٦) وراجع ابن الجوزى (٩٦/٣) والقرطبي (٥٣/٧) والبغوى (١٦٦/٢) .
- (٢٤٤) سورة الصافات (١٥٨/٣٧) .
- (٢٤٥) راجع تفسير ابن الجوزى (٩٦/٣) وانظر تفسير الطبرى (١٠٨/٢٣) .
- (٢٤٦) راجع تفسير ابن الجوزى (٩١/٧) .
- (٢٤٧) نفس المرجع (٩٢/٧) رواه الطبرى عن قتادة (١٠٨/٢٣) ونسبه ابن الجوزى لقتادة وللكلبي ، وفي النسختين المطبوعتين « بل يذور تخرج منها الملائكة » وهو خطأ .

وقوله : ^(٢٤٨) ﴿ وَخَرَقُوا لَهٗ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ قال بعض
المفسرين — كالثعلبي : ^(٢٤٩) وهم كفار العرب قالوا : الملائكة والاصنام
بنات الله ، واليهود قالوا : عزيز ابن الله ، والنصارى قالوا ، المسيح ابن
الله .



(٢٤٨) سورة الانعام (١٠٠/٦) .

(٢٤٩) هو ابو اسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابورى .
كان اوحده فى زمانه فى علم التفسير ، ييصيرا بالمريية ، طويل الباع فى الوعظ ، صنف التفسير الك
وسماه « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » فيه من الغرائب شين كثير ، وانتقده لذلك ابن تيمية . توفى س
٤٢٧ هـ .
انظر التفسير والمفسرون (٢٢٧/١ - ٢٣٤) ومعجم ياقوت (٣٦/٥ - ٣٩) انباء الرواة (١١٩/١) وفيات ابن خلك
(٧٩/١) الوافى (٣٠٧/٧) طبقات الداودى (٦٦/١) السير (٤٣٥/١٧ - ٤٣٧) .
وهذا القول ذكره البغوى فى تفسيره (١٦٦/٢) واخرجه الطبرى عن السدى وابن زيد (٢٩٧/٧) وراج
تفسير ابن الجوزى (٩٧/٣) .

فصل

و أما الذين كانوا يقولون من العرب : ان الملائكة بنات الله ، و ماتقل عنهم من انه صاهر الجن ، فولدت له الملائكة فقد نفاه الله عنه بامتناع صاحبة ، و بامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد ، و قوله : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً ﴾ (٢٥٠)

و هذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء في ذلك تولد الاعيان التي تسمى الجواهر ، و تولد الاعراض والصفات ، بل و لا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد ، فاذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، و قد علموا كلهم ان لا صاحبة له لا من الملائكة ، و لا من الجن ، و لا من الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة ، فلهذا احتج بذلك عليهم ، و ما حكى عن بعض كفار العرب انه صاهر الجن ، فهذا فيه نظر ، و ذلك ان كان قد قيل : فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، و كذلك ما قالته النصارى : من أن المسيح ابن الله ، و ما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله ، فانه قد نفاه سبحانه بهذا و بهذا .

فان قيل : أما عوام النصارى فلا تنضبط أقوالهم ، و اما الموجود في كلام علمائهم و كتبهم فانهم يقولون : ان أقنوم الكلمة ، و يسمونها الابن تدرع المسيح ، أى اتخذه درعا ، كما يتدرع الانسان قميصه ، فاللاهوت تدرع الناسوت ، و يقولون : باسم الاب و الابن و روح القدس إله واحد .

قيل قصدهم ان الرب موجود حي عليم ، فالموجود هو الاب ، و العلم هو الابن ، و الحياة هو روح القدس ، هذا قول كثير منهم ، و منهم من يقول بل موجود عالم قادر ، و يقول العلم هو الكلمة ، و هو المتدرّع ، و القدرة هي روح القدس ، فهم مشتركون في ان المتدرّع هو أقنوم الكلمة و هي الابن .

ثم اختلفوا في التدرّع و اختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ و هل لها مشيئة أو مشيئتان ؟ و لهم في الحلول و الاتحاد ، كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه . فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فان قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل، و لاني مرسل ، و لاهو موافق لعقول العقلاء ، فقالت اليعقوبية : صار جوهرأ واحدا ، و طبيعة واحدة ، وأقنوما واحداً ، كلماء في اللبن .

و قالت النسطورية : بل هما جوهران ، و طبيعتان ، و مشيئتان ؛ لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف .

و قالت الملكية : بل هما جوهر واحد ، له مشيئتان ، و طبيعتان ، أو فعلان ، كالنار في الحديد .

و قد ذهب بعض الناس الى أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾^(٢٥٤) هم اليعقوبية .
و في قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(٢٥٥) هم الملكية .

(٢٥١) فرقة من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة - راجع فيهم الفصل لابن حزم (٤٩/١) والملل والنحل للشهرستاني (٦٦/٢) .

(٢٥٢) فرقة اخرى من النصارى ، نسبة الى نسطور الذي قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة .
راجع الفصل (٤٩/١) الملل والنحل (٦٤/٢) .

(٢٥٣) فرقة ثالثة و يقال لهم الملكائية ايضا قالوا : ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح و تدرعت بناسوته .
راجع الفصل (٤٨/١) والملل والنحل (٦٢/٢) .

(٢٥٤) سورة المائدة (٧٢/٥) .

(٢٥٥) سورة التوبة (٣٠/٩) .

وقوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾^(٢٥٦) :
النسطورية .

وليس بشيء ، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكاها الله عزوجل عن
النصارى ، فكلهم يقولون : إنه الله و يقولون : إنه ابن الله ، و كذلك في
أمانتهم التي هم متفقون عليها ، يقولون اله حق من اله حق ، وأما قوله :
﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ فإنه قال تعالى : ﴿ وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا نِي وَ أُمِّي إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾^(٢٥٧)

قال ابو الفرج ابن الجوزي في قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . قال المفسرون : معنى الآية أن النصارى قالوا بأن الالهية
مشاركة بين الله و عيسى و مريم ، كل واحد منهم اله .

و ذكر عن الزجاج^(٢٥٩) : الغلو : مجاوزة القدر في الظلم ، و غلو النصارى في
عيسى قول بعضهم : هو الله ، و قول بعضهم : هو ابن الله ، و قول بعضهم : هو ثالث
ثلاثة . فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة
هي الابن ، و الفرق الثلاثة متفقة على ذلك ، و فساد قولهم معلوم بصريح
العقل من وجوه :

احدها : انه ليس في شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابنا ، لا كلامه
و لا غيره فتسميتهم صفة الله ابنا تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، و ما
نقلوه عن المسيح من قوله : عمدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ، لم
يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ، و لا بروح القدس حياته ، فإنه لا يوجد
في كلام الأنبياء ارادة هذا المعنى ، كما قد بسط هذا في الرد على النصارى .

(٢٥٦) سورة المائدة (٧٣/٥) .

(٢٥٧) نفس السورة (١١٦/٥) .

(٢٥٨) راجع تفسيره (٤٠٣/٢) .

(٢٥٩) نفس المرجع (٣٦٠/٢) و قال ابو عبيدة في معنى الغلو : كل شيء زاد حق يجاوز الحد من نبات او عظم او
شباب . مجاز القرآن (١٤٣/١) و انظر الطبري (٣٤/٦ - ٣٥) واللسان مغلا .

قيل قصدهم ان الرب موجود حي عليم ، فالموجود هو الأب ، و العلم هو الابن ، و الحياة هو روح القدس ، هذا قول كثير منهم ، و منهم من يقول يل موجود عالم قادر ، و يقول العلم هو الكلمة ، و هو المتدرّج ، و القدرة هي روح القدس ، فهم مشتركون في ان المتدرّج هو أقنوم الكلمة و هي الابن .

ثم اختلفوا في التدرّج و اختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ و هل لها مشيئة أو مشيئتان ؟ و لهم في الحلول و الاتحاد ، كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه . فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه ، فان قولهم ليس مأخوذاً عن كتاب منزل ، و لاني مرسل ، و لاهو موافق لعقول العقلاء ، فقالت اليعقوبية : ^(٢٥١) صار جوهرًا واحداً ، و طبيعة واحدة ، و أقنوماً واحداً ، كالماء في اللبن .

و قالت النسطورية : ^(٢٥٢) بل هما جوهران ، و طبيعتان ، و مشيئتان ؛ لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف .

و قالت الملكية : ^(٢٥٣) بل هما جوهر واحد ، له مشيئتان ، و طبيعتان ، أو فعلان ، كالنار في الحديد .

و قد ذهب بعض الناس الى أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ^(٢٥٤) هم اليعقوبية .
و في قوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ^(٢٥٥) هم الملكية .

(٢٥١) فرقة من النصارى قالوا بالاقانيم الثلاثة - راجع فيهم الفصل لابن حزم (٤٩/١) والملل والنحل للشهرستاني (٦٦/٢) .

(٢٥٢) فرقة اخرى من النصارى ، نسبة الى نسطور الذي قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة .
راجع الفصل (٤٩/١) الملل والنحل (٦٤/٢) .

(٢٥٣) فرقة ثالثة و يقال لهم الملكائية ايضاً قالوا : ان الكلمة اتحدت بمجد المسيح و تدرعت بناسوته .
راجع الفصل (٤٨/١) والملل والنحل (٦٢/٢) .

(٢٥٤) سورة المائدة (٧٢/٥) .

(٢٥٥) سورة التوبة (٣٠/٩) .

وقوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾^(٢٥٦) :
النسطورية .

وليس بشيء ، بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكاها الله عزوجل عن
النصارى ، فكلهم يقولون : إنه الله و يقولون : إنه ابن الله ، و كذلك في
أمانتهم التي هم متفقون عليها ، يقولون اله حق من اله حق ، و أما قوله :
﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ فانه قال تعالى : ﴿ وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا نِي وَ أُمِّي إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾^(٢٥٧)

قال ابو الفرج ابن الجوزي^(٢٥٨) في قوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . قال المفسرون : معنى الآية أن النصارى قالوا بأن الالهية
مشاركة بين الله و عيسى و مريم ، كل واحد منهم اله .
و ذكر عن الزجاج^(٢٥٩) : الغلو : مجاوزة القدر في الظلم ، و غلو النصارى في
عيسى قول بعضهم : هو الله ، و قول بعضهم : هو ابن الله ، و قول بعضهم : هو ثالث
ثلاثة . فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة
هي الابن ، و الفرق الثلاثة متفقة على ذلك ، و فساد قولهم معلوم بصريح
العقل من وجوه :

احدها : انه ليس في شيء من كلام الانبياء تسمية صفة الله ابناً ، لا كلامه
و لا غيره فتسميتهم صفة الله ابناً تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، و ما
تقلوه عن المسيح من قوله : عمدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ، لم
يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ، و لا بروح القدس حياته ، فانه لا يوجد
في كلام الأنبياء ارادة هذا المعنى ، كما قد بسط هذا في الرد على النصارى .

(٢٥٦) سورة المائدة (٧٣/٥) .

(٢٥٧) نفس السورة (١١٦/٥) .

(٢٥٨) راجع تفسيره (٤٠٣/٢) .

(٢٥٩) نفس المرجع (٢٦٠/٢) و قال ابو عبيدة في معنى الغلو : كل شيء زاد حق يجاوز الحد من نبات او عظم او
شباب . مجاز القرآن (١٤٣/١) و انظر الطبري (٣٤/٦ - ٣٥) واللسان مغلا .

الوجه الثاني : أن هذه الكلمة التي هي الابن أهي صفة الله قائمة به ، أم هي جوهر قائم بنفسه ؟ فان كانت صفته بطل مذهبهم من وجوه :

أحدها : أن الصفة لا تكون إلها يخلق و يرزق و يحيي و يميت ، والمسيح عندهم إله يخلق و يرزق ، و يحيي و يميت ، فإذا كان الذي تدركه ليس باله فهو أولى أن لا يكون إلها .

الثاني : أن الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه ، و ان قالوا : نزل عليه كلام الله او قالوا : انه الكلمة أو غير ذلك ، فهذا قدر مشترك بينه و بين سائر الانبياء .

الثالث : أن الصفة لا تتحد ، و تتدرع شيئا الا مع الموصوف ، فيكون الأب نفسه هو المسيح ، و النصارى متفقون على أنه ليس هو الأب ، فان قولهم متناقض : ينقض بعضه بعضا ، يجعلونه إلها يخلق و يرزق ، و لا يجعلونه الأب الذي هو الاله ، و يقولون : إله واحد ، و قد شبهه بعض متكلميهم - كيحيى بن عدي - بالرجل الموصوف بأنه طبيب و حاسب و كاتب ، وله بكل صفة حكم ، فيقال : هذا حق ، لكن قولهم ليس نظير هذا ، فإذا قلتم ان الرب موجود حي عالم ، وله بكل صفة حكم ، فمعلوم أن المتحد ان كان هو الذات المتصفة فالصفات كلها تابعة لها فانه إذا تدرع زيد الطبيب الحاسب الكاتب درعا كانت الصفات كلها قائمة به ، و ان كان المتدرع صفة دون صفة عاد المحذور . و ان قالوا : المتدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين ، وهذا ممتنع ؛ فان الصفات القائمة بموصوف واحد و هي لازمة له لا تفترق ، و صفات المخلوقين قد يمكن عدم بعضها مع بقاء الباقي ، بخلاف صفات الرب تبارك و تعالى .

الرابع : ان المسيح نفسه ليس هو كلمات الله ، ولا شيئا من صفاته ، بل هو مخلوق بكلمة الله ، و سمى كلمة لأنه خلق بكن من غير الحبل المتعاد ، كما

(٣٦٠) ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا . فيلسوف حكيم ، انتهت اليه الرئاسة في علم المنطق في عصره . كان اواحد دهره و مذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . ترجم عن السريانية كثيرا الى العربية . توفي سنة ٣٦٤ هـ .

انظر الفهرست لابن النديم (٣٢٢) والاعلام (١٥٦/٨) و معجم المؤلفين (٢١١/١٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢٦١)

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢٦٢)

ولو قدر أنه نفسه كلام الله كالتوراة والانجيل وسائر كلام الله لم يكن كلام الله ، ولا شيء من صفاته خالقا ولا ربا ولا إلها . فالنصارى إذا قالوا : ان المسيح هو الخالق ، كانوا ضالين من جهة جعل الصفة خالقة ، ومن جهة جعله هو نفس الصفة ، وإنما هو مخلوق بالكلمة ، ثم قولهم بالتثليث وان الصفات ثلاث باطل ، وقولهم أيضا : بالحلول والاتحاد باطل . فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها .

فلو قالوا : ان الرب له صفات قائمة به ، ولم يذكروا اتحادا ولا حلولا ، كان هذا قول جماهير المسلمين المثبتين للصفات . وان قالوا : إن الصفات اعيان قائمة بنفسها ، فهذا مكابرة ، فهم يجمعون بين المتناقضين .

وأيضا فجعلهم عدد الصفات ثلاثة باطل ، فان صفات الرب أكثر من ذلك فهو سبحانه موجود حي عليم قدير . والأقانيم عندهم التي جعلوها الصفات ليست إلا ثلاثة ؛ ولهذا تارة يفسرونها بالوجود والحياة والعلم ، وتارة يفسرونها بالوجود والقدرة والعلم ، واضطرابهم كثير . فان قولهم في نفسه باطل ، ولا يضبطه عقل عاقل ، ولهذا يقال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً .

وايضا فكلمات الله كثيرة لا نهاية لها . كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي لَوْجِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (٢٦٣)

(٢٦١) سورة آل عمران (٩٥/٣) .

(٢٦٢) سورة مريم (٢٤/١٩ - ٣٥) .

(٢٦٣) سورة الكهف (١٠٩/١٨) .

و هذا قول جماهير الناس من المسلمين ، و غير المسلمين ، و هذا مذهب سلف
الامة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلماً بمشيئته . و قول من قال : انه لم
يزل قادراً على الكلام لكن تكلم بمشيئته كلاماً قائماً بذاته حادثاً ، و قول من
قال كلامه مخلوق في غيره .

و أما من قال : كلامه شيء واحد قديم العين ، فهؤلاء منهم من يقول : انه
امور لا نهاية لها مع ذلك . و منهم من يقول : بل هو معنى واحد ، ولكن
العبارات عنه متعددة ، و هؤلاء يمتنع عندهم أن يكون ذلك المعنى قائماً بغير
الله ، و إنما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ، و يمتنع ان يكون المسيح
شيئاً من تلك العبارات ، فاذا امتنع ان يكون المسيح غير كلام الله على قول
هؤلاء فعلى قول الجمهور أشد امتناعاً ؛ لان كلمات الله كثيرة ، و المسيح ليس هو
جميعها ، بل و لا مخلوقاً بجميعها ، و إنما خلق بكلمة منها ، و ليس هو عين تلك
الكلمة : فان الكلمة صفة من الصفات ، و المسيح عين قائم بنفسه .

ثم يقال لهم : تسميتكم العلم و الكلمة ولدا و ابنا تسمية باطلة باتفاق العلماء و
العقلاء ، و لم ينقل ذلك عن أحد من الانبياء ، قالوا لأن الذات يتولد عنها
العلم و الكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها ، فيتولد من ذاته العلم
و الحكمة و الكلام ، فلهذا سميت الكلمة ابنا .

قيل هذا باطل من وجوه :

أحدها : ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعلمنا و نظرنا و فكرنا و
استدلالنا ، و أما كلمة الرب و علمه فهو قديم لازم لذاته ، فيمتنع أن يوصف
بالتولد ، الا أن يدعي المدعى ان كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه ، و هي
ابن له ، و معلوم أن هذا من ابطال الأمور في العقول و اللغات ، فان حياة
الانسان و نطقه و غير ذلك من صفاته اللازمة له لا يقال انها متولدة عنه ، و
انها ابن له ، و ايضا فيلزم ان تكون حياة الرب ايضا ابنه و متولدة ، و كذلك
قدرته ، و الا فما الفرق بين تولد العلم و تولد الحياة و القدرة و غير ذلك من
الصفات :

و ثانيها : ان هذا ان كان من باب تولد الجواهر و الاعيان القائمة بنفسها

فلا بد له من اصلين ، و لابد ان يخرج من الاصل جزء ، و أما علمنا و قولنا
فليس عينا قائما بنفسه ، و ان كان صفة قائمة بموصوف و عرضا قائما في محل
كعلمنا و كلامنا فذاك ايضا لا يتولدا لا عن اصلين ، و لابد له من محل يتولد
فيه ، و الواحد منا لا يحدث له العلم و الكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك ، و
تكون أصلاً للفروع و يحصل العلم و الكلام في محل لم يكن حاصلًا فيه قبل
ذلك .

فان قلتم : ان علم الرب كذلك لزم ان يصير عالما بالاشياء بعد ان لم يكن
عالما بها ، و ان تصير ذاته متكلمة بعد ان لم يكن متكلمًا ، و هذا مع انه كفر
عند جماهير الامم من المسلمين و النصارى و غيرهم فهو باطل في صريح العقل ،
فان الذات التي لا تكون عالمة يمتنع ان تجعل نفسها عالمة بلا احد يعلمها ، و الله
تعالى يمتنع عليه ان يكون متعلما من خلقه ، و كذلك الذات التي تكون عاجزة
عن الكلام ، يمتنع ان تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة ، و الواحد منها
لا يولد جميع علومه ، بل ثم علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها ، فاذا نظر فيها
حصلت له علوم اخرى . فلا يقول احد من بنى آدم : ان الانسان يولد علومه
كلها ، و لا يقول احد : انه يجعل نفسه متكلمة بعد ان لم تكن متكلمة ، بل
الذي يقدره على النطق هو الذي انطق كل شيء .

فان قالوا : ان الرب يولد بعض علمه ، و بعض كلامه دون بعض بطل
تسمية العلم - الذي هو الكلمة مطلقا - الابن ، و صار لفظ الابن انما يسمى به
بعض علمه ، او بعض كلامه ، و هم يدعون ان المسيح هو الكلمة ، و هو اقنوم
العلم مطلقا ، و ذلك ليس متولدا عنه كله ، و لا يسمى كله ابنا باتفاق العقلاء .

و ثالثها : ان يقال : تسمية علم العالم و كلامه ولدا له لا يعرف في شيء من
اللغات المشهورة ، و هو باطل بالعقل ، فان علمه و كلامه كقدرته و علمه ،
فان جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات عنه له ، و
تسميتها ابناؤه ، و من قال من اهل الكلام القدرية : ان العلم الحاصل بالنظر
متولد عنه ، فهو كقوله ان الشيع والري متولد عن الاكل و الشرب ، لا يقول
ان العلم ابنه و ولده ، كما لا يقول ان الشيع والري ابنه و لا ولده ، لان هذا من

باب تولد الاعراض والمعاني القائمة بالانسان ، وتلك لا يقال انها اولاده و
ابناؤه . و من استعمار فقال بُنَيَات فكره ، فهو كما يقال بُنَيَات الطريق ، و
يقال ابن السبيل ، و يقال لطير الماء : ابن ماء ، و هذه تسمية مقيدة ، قد عرفت
انها ليس المراد بها ما هو المعقول من الاب و الابن والوالد و الولد ، و ايضا
فكلام الانبياء ليس في شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابناً ، فمن حمل شيئاً
من كلام الانبياء على ذلك فقد كذب عليهم ، و هذا مما يقربه علماء النصارى ،
و ما وجد عندهم من لفظ الابن في حق المسيح و اسرائيل و غيرها ، فهو اسم
للمخلوق لا لشيء من صفات الخالق ، و المراد به انه مكرم معظم .

و رابعها : ان يقال فاذا قدر ان الامر كذلك فالذى حصل للمسيح ان كان
هو ما علمه الله إياه من علمه و كلامه فهذا موجود لسائر النبيين ، فلا معنى
لتخصيصه بكونه ابن الله ، و ان كان هو ان العلم و الكلام اله اتحد به فيكون
العلم و الكلام جوهرًا قائمًا بنفسه ، فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب ،
و ان كان العلم و الكلام جوهرًا آخر ، فيكون الهان قائمان بأنفسهما ، فتبين فساد
ما قالوه بكل وجه .

و خامسها : أن يقال : من المعلوم عند الخاصة والعامة ان المعنى الذى خص
به المسيح انما هو ان خلق من غير اب ، فلما لم يكن له أب من البشر جعل
النصارى الرب أباه ، و بهذا ناظرَ نصارى^(٢٦٤) نجران النبي ﷺ وقالوا : ان لم يكن
هو ابن الله . فقل لنا من ابوه ؟ فلم ان النصارى انما ادعوا فيه البَنُوَّة الحقيقية ،
و ان ما ذكر من كلام علمائهم هو تاويل منهم للمذهب ، ليزيلوا به الشناعة
التي لا يبلغها عاقل ، و الا فليس في جعله ابن الله وجه يختص به معقول ، فلم
ان النصارى جعلوه ابن الله ، و ان الله أحبلَ مريم ، والله هو ابوه ، و ذلك لا
يكون الا بانزال جزء منه فيها ، و هو سبحانه الصمد ، و يلزمهم ان تكون مريم
صاحبة و زوجة له ، و لهذا يتألهونها كما اخبر الله عنهم . و أى معنى ذكروه في
بَنُوَّة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى و بين غيره ، و لا صار فيه
معنى البنوة ، بل قالوا : كما قال بعض مشركى العرب انه صاهر الجن فولدت له
الملائكة ، و اذا قالوا : اتخذها ابناً على سبيل الاصطفاء ، فهذا هو المعنى الفعلى ،
و سياتى ان شاء الله تعالى ابطاله .

(٢٦٤) انظر القصة في تفسير ابن جرير الطبرى (١٦٢/٣ - ١٦٣) و اسباب النزول للواحدي (٩١/٩٠) .

وقوله تعالى^(٢٦٥) ﴿ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾ ليس فيه ان بعض الله صار في عيسى ، بل من لابتداء الغاية كما قال : ﴿ وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾^(٢٦٦)

وقال ﴿ وَ مَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(٢٦٧)

وما اضيف الى الله او قيل هو منه فعلى وجهين :

ان كان عينا قائمة بنفسها فهو مملوك له ، و من لابتداء الغاية كما قال تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾^(٢٦٨)

وقال في المسيح : ﴿ وَ رُوحٌ مِنْهُ ﴾^(٢٦٩)

وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له ، كما يقال كلام الله

وعلم الله ، و كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٢٧٠)

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٢٧١)

و الفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا ، والمقدور

قدرة ، و المرحوم به رحمة ، و المخلوق بالكلمة كلمة . فاذا قيل في المسيح : انه

كلمة الله ، فالمراد به انه خلق بكلمة قوله كن ، و لم يخلق على الوجه المعتاد من

البشر ، والا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به ، و

كذلك اذا قيل عن المخلوق : انه امر الله . فالمراد ان الله كونه بامره ، كقوله :

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(٢٧٢)

(٢٦٥) سورة النساء (١٧١/٤) .

(٢٦٦) سورة الجاثية (١٣/٤٥) .

(٢٦٧) سورة النحل (٥٣/١٦) .

(٢٦٨) سورة مريم (١٧/١٩) .

(٢٦٩) النساء (١٧١/٤) .

(٢٧٠) النحل (١٠٢/١٦) .

(٢٧١) الانعام (١١٤/٦) .

(٢٧٢) الفل (١/١٦) .

وقوله : ﴿ قَلَمًا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَاهَا سَافِلَةً وَأَمْطَرْنَاهَا عَلَيْهَا
حِبَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (٢٧٣)

فالرب تعالى أحد صمد ، لا يجوز ان يتبعض و يتجزء ، فيصير بعضه في
غيره ، سواء سمى ذلك روحا أو غيره ، فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا
له ، وتبين انه عبد من عباد الله .

وقد قيل : منشأ ضلال القوم انه كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب
بالأب ، و بالابن عن العبد المربى الذي يربه الله و يربيه ، فقال المسيح :
عمدوا الناس باسم الأب و الابن ، و روح القدس ، فامرهم أن يؤمنوا بالله و
يؤمنوا بعبده و رسوله المسيح ، و يؤمنوا بروح القدس جبريل ، فكانت هذه
الاسماء لله ، و لرسوله الملكى ، و رسوله البشرى ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ
يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٢٧٤)

و قد اخبر تعالى : في غير آية انه أيد المسيح بروح القدس ، و هو جبريل
عند جمهور المفسرين ، كقوله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ
قَفَيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ؕ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٢٧٥)

فعند جمهور المفسرين ان روح القدس هو جبريل ؛ بل هذا قول ابن عباس (٢٧٦)
و قتادة و الضحاك و السدى و غيرهم ، و دليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَ إِذَا
بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ — وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ — قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ،
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

(٢٧٣) هود (٨٢/١١) .

(٢٧٤) الحج (٧٥/٢٢) .

(٢٧٥) البقرة (٨٧/٢) .

(٢٧٦) راجع تفسير ابن الجوزى (١١٢/١) و اخرج الطبرى اقوال قتادة و السدى و الضحاك . و روى عن شهر بن
حوشب مرفوعا بسند ضعيف (٤٠٤/١) قال ابن كثير في تفسيره و الدليل على ان روح القدس هو جبريل ما
رواه البخارى تعليقا قال لسان «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافع عن نبيك» . و اخرجه ابو داود
و الترمذى ، و فى الصحيحين ان حسان قال لابي هريرة انشدك الله اسمعت رسول الله ﷺ يقول «أجب عنى
اللهم أيد بروح القدس» ، فقال اللهم نعم و فى بعض الروايات ان رسول الله ﷺ قال لسان «اهبهم و
جبريل معك» انتهى ملخصا من تفسير ابن كثير (١٢٢/١) .

و روى الضحاك عن ابن عباس^(٢٧٧) انه الاسم الذي كان يحيى به الموتى .
وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم^(٢٧٨) انه الانجيل .

وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٢٧٩)

وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢٨٠)

وقال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢٨١)

١٠ فما ينزله الله في قلوب أنبيائه مما تحيا به قلوبهم من الايمان الخالص يسميه روحا ، وهو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمرسلين منهم ؟ !
والمسيح عليه السلام من اولى العزم ، فهو أحق بهذا من جمهور الرسل والانبياء .
وقال تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٢٨٢)

وقد ذكر الزجاج في تأييده بروح القدس ثلاثة اوجه :^(٢٨٣)

- أحدها : انه أيده به لاظهار أمره و دينه .
- الثاني : لدفع بني اسرائيل عنه اذ أرادوا قتله .
- الثالث : انه أيده به في جميع أحواله .

(٢٧٧) تفسير ابن الجوزي (١١٣/١) .
واخرجه الطبري (٤٠٤/١) وذكره ابن كثير برواية ابن ابي حاتم (٤٠٥/١) و به فسر ابو عبيدة في مجاز القرآن (٣٦٨/١) .

(٢٧٨) ابن الجوزي (١١٣/١) و اخرجه الطبري (٤٠٤/١) وذكره ابن كثير بروايته (٤٠٥/١) .

(٢٧٩) سورة المجادلة (٢٢/٥٨) .

(٢٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٢٨١) سورة النحل (٢/١٦) .

(٢٨٢) سورة البقرة (٢/٢٥٣) .

(٢٨٣) راجع تفسير ابن الجوزي (١١٣ - ١١٢/١) .

و مما يبين ذلك ان لفظ الابن في لغتهم ليس مختصا بالمسيح ، بل عندهم ان الله تعالى قال في التوراة لاسرائيل : أنت ابني بكرى ، والمسيح كان يقول أبني و أهوكم فيجعله أبا للجميع ، و يسمى غيره ابنا له ، فعلم انه لا اختصاص للمسيح بذلك ، ولكن النصارى يقولون : هو ابنه بالطبع ، و غيره ابنه بالوضع ، فيفترقون فرقا لا دليل عليه ، ثم قولهم هو ابنه بالطبع يلزم عليه من المحالات عقلا و سمعا ما يبين بطلانه .



فصل

و اما مايقوله الفلاسفة القائلون بان العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته ،
وانه صدر عنه عقل ، ثم عقل ، ثم عقل ، الى تمام عشرة عقول ، وتسعة
انفس . وقد يجعلون العقل بمنزلة الذكر ، والنفوس بمنزلة الانثى فهؤلاء قولهم
افسد من قول مشركى العرب و اهل الكتاب عقلا و شرعا ، و دلالة القران على
فساده ابلغ ، و ذلك من وجوه .

احدها : أن هؤلاء يقولون : بقديم الافلاك ، و قدم هذه الروحانيات التى
يثبتونها ، و يسمونها المجردات والمفارقات ، و الجواهر العقلية ، و أن ذلك لم
يزل قديما ازليا ، و ما كان قديما ازليا امتنع ان يكون مفعولا بوجه من
الوجوه ، و لا يكون مفعولا الا ما كان حادثا ، و هذه قضية بديهية عند جماهير
العقلاء ، و عليها الاولون و الآخرون من الفلاسفة ، و سائر الامم ، و لهذا كان
جماهير الامم يقولون كل ممكن ان يوجد ، و ان لا يوجد فلا يكون إلا حادثا ، و
انما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين : كابن سينا ، و من
وافقه : زعموا ان الفلك قديم معلول لعلة قديمة . و اما الفلاسفة القدماء فمن كان
منهم يقول بحديث الفلك ، و هم جمهورهم ، و من كان قبل ارسطو ، فهؤلاء
موافقون لاهل الملل ، و من قال بقديم الفلك كارسطو و شيعته ، فانما يثبتون له
علة غائية يتشبه الفلك بها ، لا يثبتون له علة فاعلة ، و ما يثبتونه من العقول
و النفوس فهو من جنس الفلك ، كل ذلك قديم واجب بنفسه ، و ان كان له
علة غائية ، و هؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرين ، لكن الغرض ان يعرفوا ان
قول هؤلاء ليس قول اولئك .

الثاني : أن هؤلاء يقولون : إن الرب واحد ، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، ويعنون بكونه واحدا أنه ليس له صفة ثبوتية أصلا ، ولا يعقل فيه معان متعددة ؛ لأن ذلك عندهم تركيب ، ولهذا يقولون : لا يكون فاعلا وقابلا لأن جهة الفعل غير جهة القبول ، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ، ومع هذا يقولون : أنه عاقل ومعقول وعقل ، وعاشق ومعشوق وعشق ، ولذيد وملتذ ولذة ، الى غير ذلك من المعاني المتعددة ، ويقولون : ان كل واحدة من هذه الصفات هي الصفة الاخرى ، والصفة هي الموصوف ، والعلم هو القدرة ، وهو الارادة والعلم هو العالم وهو القادر .

و من المتأخرين منهم من قال : العلم هو المعلوم ، فاذا تصور العاقل أقوالهم حق التصور تبين له ان هذا الواحد الذي اثبتوه لا يتصور وجوده إلا في الأذهان ، لافي الأعيان ، وقد بسط الكلام عليه ، و بين فساد ما يقولونه في التوحيد والصفات ، و بين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة في مواضع غير هذا ، واذا كان كذلك فالاصل الذي بنوا عليه قولهم : « ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد » اصل فاسد .

الثالث : أن يقال قولهم بصدور الأشياء مع ما فيها من الكثرة والحدوث عن واحد بسيط في غاية الفساد .

الرابع : أنه لا يعلم في العالم واحد بسيط صدر عنه شيء لا واحد ولا اثنان ، فهذه الدعوى الكلية لا يعلم ثبوتها في شيء اصلا .

الخامس : أنهم يقولون صدر عنه واحد ، و عن ذلك الواحد عقل و نفس وفلك ، فيقال : ان كان الصادر عنه واحداً من كل وجه ، فلا يصدر عن هذا الواحد الا واحد أيضا ، فيلزم ان يكون كل ما في العالم إنما هو واحد عن واحد وهو مكابرة ، وان كان في الصادر الاول كثرة ما بوجه من الوجوه فقد صدر عن الاول ما فيه كثرة ليس واحدا من كل وجه ، فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد .

ولهذا اضطرب متأخروهم ^(٧٨٤) فليبر البركات صاحب «المعتبر» أبطل هذا

(٧٨٤) ابو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي البغدادى ، المعروف باوحد الزمان .

القول ورده غاية الرد ، وابن رشد الحفيد^(٢٨٥) زعم أن الفلك بما فيه صادر عن الاول . والطوسي^(٢٨٦) وزير الملاحدة يقرب من هذا ؛ فجعل الأول شرطاً في الثاني ، والثاني شرطاً في الثالث ، وهم مشتركون في الضلال وهو اثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل ولا تزال معه ، لم تكن مسبقة بعدم ، وجعل الفلك ايضاً ازلياً ، وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية ، فكيف اذا ضم اليه غير ذلك من اقاويلهم المخالفة للعقل والنقل ؟ !

الوجه السادس : أن المصادر المعلومة في العالم انما تصدر عن اثنين ، واما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء ، كما تقدم التنبيه عليه في المتولدات من الاعيان والأعراض . وكل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار ، والبرودة عن البارد ، والشعاع عن الشمس ، وغير ذلك : فانما هو صدور اعراض ، ومع هذا فلا بد لها من اصلين . واما صدور الاعيان عن غيرها فهذا لا يعلم إلا بالولادة المعروفة ، وتلك لا تكون إلا بانقصال جزء من الاصل ، وهذا الصدور والتولد والمعلولية التي يدعونها في العقول والنفوس والافلاك يقولون انها جواهر قائمة بانفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط ، فهذا من ابطال قول قيل في الصدور والتولد ، لأن فيه صدور جواهر عن جوهر واحد ، وهذا لا يعقل ، وفيه صدوره عنه من غير جزء منفصل من الاصل ، وهذا لا يعقل ، وهم غاية ما عندهم ان يشبهوا هذا بحدوث بعض الأعراض كالشعاع عن الشمس ، وحركة الخاتم عن حركة اليد ، وهذا تمثيل باطل ، لأن تلك ليست علة فاعلة ، وانما هي شرط فقط ، والصادر هناك لم يكن عن اصل واحد ، بل عن اصلين ، والصادر عرض لا جوهر قائم بنفسه .

كان يهوديا فاسلم وكان في خدمة المستنجد بالله ، وحظى عنده ، له مشاركة في المنطق والفلسفة .
توفي سنة ٥٥٠ هـ .
انظر الاعلام (٧٤/٨) ومعجم المؤلفين (١٤٣/١٣) السير (٤١٩/٢٠) .

(٢٨٥) محمد بن احمد بن محمد بن احمد ، القرطبي ، ابو الوليد المعروف بابن رشد الحفيد .
عالم ذوالفنون ، له مشاركة في الفقه ، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ، والعلوم الرياضية والالهية .
صنف نحو خمسين كتابا . توفي سنة ٥٩٥ هـ .
راجع الاعلام (٣١٨/٥) كعالة : معجم المؤلفين (٣١٣/٨) الوافي (١١٤/٢) السير (٣٠٧/٢١ - ٣١٠) .

(٢٨٦) محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين .
عالم فيلسوف رياضي ، شارك في انواع من العلوم ، كان هولاء يكرمه ويحمله ويطعمه فيما يشهد به .
توفي سنة ٦٧٢ هـ .
راجع الاعلام (٣٠/٧) معجم المؤلفين (٢٠٧/١١) الوافي (١٧٩/١ - ١٨٣) فوات الوفيات (٢٤٦/٣ - ٢٥٢) .

فتبين ان ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من ابعد الامور
عن التولد والصدور ، و هو ابعد من قول النصارى و مشركى العرب ، و هم
جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته ، و قد ذكرنا ان هذا مما يمتنع أن
يقال فيه انه متولد عنه ، و حينئذ فهم فى دعواهم إلهية العقول والنفوس
والكواكب اكفر من هؤلاء و هؤلاء
و من جعل من المنتسبين الى الملل منهم هؤلاء هم الملكية ، فقوله فى جعل
الملائكة متولدين عن الله شر من قول العرب و عوام النصارى ، فان اولئك
اثبتوا ولادة حسية ، و كونه صمدا يبطلها ؛ لكن ما اثبتوه معقول ، و هؤلاء
ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه اطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة
عن الذات ، فكان نفى ما ادعوه اولى من نفى ما ادعاه اولئك لان المحال الذى
يعلم امتناعه فى الخارج لا يمكن تصويره موجودا فى الخارج ، فانه يمتنع وجوده فى
الخارج ، بل هو يفرض فى الذهن وجوده فى الخارج ، و ذلك انما يمكن اذا كان
له نظير من بعض الوجوه فيقدر له فى الوجود الخارجى ما يشبهه ، كما اذا قدر
مع الله الها آخر ، و قدر ان له ولدا فانه يشبه من له ولد من العباد ، و من له
شريك من العباد ، ثم يبين امتناع ذلك عليه ، فكلما كان المحال أبعد عن مشابهة
الموجود كان أعظم استحالة .

والولادة التى ادعتها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة ، ابعد عن مشابهة الولادة
المعلومة من الولادة التى ادعاها بعض مشركى العرب و عوام النصارى واليهود .
فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية ، اذ الولادة
الحسية تعقل فى الأعيان القائمة بنفسها ، و أما الولادة العقلية فلا تعقل فى
الأعيان أصلا ، و ايضا فاولئك أثبتوا ولادة من اصلين ، و هذا هو الولادة
المعقولة ، و هؤلاء أثبتوا ولادة من اصل واحد ، و أولئك أثبتوا ولادة بانفصال
جزء ، و هذا معقول . و هؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك ، و هو لا يعقل ، و
اولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الأعيان للأعيان ، و هؤلاء أثبتوا ولادة
قاسوها على تولد الأعراض عن الأعيان ، فعلم أن قول أولئك اقرب الى المعقول
و هو باطل كما بين الله فساد و انكره ، فقول هؤلاء أولى بالبطلان ، و هذا كما
ان الله اذا كفر من اثبت مخلوقا يتخذ شفيعا معبودا من دون الله ، فن اثبت
قدما دون الله يعبد ، و يتخذ شفيعا كان أولى بالكفر . و من انكر المعاد مع

قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله ، فمن انكره مع قوله بقديم هذا العالم فهو اعظم كفرا عند الله تعالى .

و هذا كما ان النبي ﷺ لما نهى امته عن مشابهة فارس المجوس والروم النصراني فنهيه عن مشابهة اليونان المشركين والهند المشركين اعظم واعظم ، و اذا كان ما دخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى و فارس والروم مذموما عند الله و رسوله فما دخل من مشابهة اليونان والهند والترك المشركين وغيرهم من الامم الذين هم ابعد عن الاسلام من اهل الكتاب و من فارس والروم اولى ان يكون مذموما عند الله تعالى ، و ان يكون ذمه اعظم من ذاك .

فهؤلاء الامم الذين هم ابعد عن الاسلام الذين ابتلى بهم اواخر المسلمين ، شر من الامم الذين ابتلى بهم اوائل المسلمين ؛ و ذلك لأن الاسلام كان أهله أكمل و أعظم علما و ديناً ، فاذا ابتلى بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم و دينهم ، و أما هؤلاء المتأخرون فالمسلمون وإن كانوا أتقص من سلفهم فانه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الاسلام ، و لكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هؤلاء ، و لبسوا عليهم دينهم ، و صارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم ، كما صار قتال الترك الكفار اعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان ، لأنهم إنما ابتلوا بسيف هؤلاء ، و السنة هؤلاء ، و كان فيهم من نقص الايمان ما اورث ضعفا في العلم والجهاد ، و كما كان كثير من العرب في زمن النبي ﷺ فهذا هذا .

و مما يبين هذا أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والارض بمشيئته و قدرته ؛ بل يقولون : إنه خلق ذلك في ستة ايام ، و هؤلاء المتفلسفة عندهم لم يحدثها بعد ان لم تكن ، فضلا عن ان يكون ذلك في ستة ايام ، ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث ، يعنون بحدوثه أنه معلول بعلة قديمة ، فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله تعالى ، لكن هو امر لاحقيقة له و لا يعقل .

و أيضا فمشركوا العرب و أهل الكتاب يقرون بالملائكة و ان كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعا واحدا ، فمن خرج منهم عن طاعة الله اسقطه و

صار شيطانا ، و ينكرون ان يكون إبليس كان أبا الجن ، وأن يكون الجن ينكحون و يولدون و يأكلون و يشربون ، فهؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء المتفلسفة فان هؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم الا ما يشبتونه من العقول و النفوس ، أو من اعراض تقوم بالاجسام كالقوى الصالحة ، و كذلك الجن جمهور أولئك يشبتونها ، فان العرب كانت تثبت الجن ، و كذلك أكثر اهل الكتاب ، و هؤلاء لا يشبتونها ، و يجعلون الشياطين : القوى الفاسدة ، و أيضا فشكلوا العرب مع اهل الكتاب يدعون الله ، و يقولون انه يسمع دعاءهم و يجيبهم .

و هؤلاء عندهم لا يعلم شيئا من جزئيات العالم ، و لا يسمع دعاء أحد و لا يجيب أحدا ، ولا يحدث في العالم شيئا و لا سبب للحدوث عندهم إلا حركات الفلك ، و الدعاء عندهم يؤثر ، لأنه تصرف النفس الناطقة في هيولى العالم .

و قد ثبت في الصحيح^(٢٨٧) من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (يقول الله عزوجل : شتمنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، و كذبنى ابن آدم و ما ينبغى له ذلك ، فاما شتمه إياى فقلوله انى اتخذت ولدا و أنا الاحد ، الصمد ، الذى لم ألد و لم أولد ، و لم يكن لى كفوا أحد ، و أما تكذيبه اياى فقلوله لن يعيدنى كما بدأنى و ليس أول الخلق بأهون على من اعادته) .

و هذا و ان كان متناولا قطعا لكفار العرب الذين قالوا هذا و هذا ، كما قال تعالى : ﴿ وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴾^(٢٨٨) الى قوله : ﴿ وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٢٨٩)

فذكر الله هذا و هذا فتناول النصوص هؤلاء بطريق الاولى ، فان هؤلاء ينكرون الاعادة والابتداء أيضا ، فلا يقولون : ان الله ابتداء خلق السموات والارض ، و لا كان للبشر ابتداء أولهم آدم ، و أما شتمهم إياه بقولهم اتخذ ولدا فهؤلاء عندهم

(٢٨٧) أخرجه البخارى فى التفسير من حديث ابى هريرة (١٥/٦) .
و أخرجه أيضا النسائى فى الجنايز (١١٢/٤) و أحد فى مسنده (٣٩٤، ٣٥٠، ٣١٧/٢) .

(٢٨٨) سورة مريم (٦٦/١٩) .

(٢٨٩) الآيات (٨٨/١٩ - ٩٠) .

الفلك كله لازم له ، معلول له أعظم من لزوم الولد والده ، والوالد له اختيار و قدرة في حدوث الولد منه ، وهؤلاء عندهم ليس لله مشيئة و قدرة في لزوم الفلك له ، بل و لا يمكنه ان يدفع لزومه عنه ، فالتولد الذي يثبتونه أبلغ من التولد الموجود في الخلق ، و لا يقولون : إنه اتخذ ولدا بقدرته ، فانه لا يقدر عندهم على تغيير شيء من العالم ، بل ذلك لازم له لزوما حقيقة انه لم يفعل شيئا ؛ بل و لا هو موجود ، و ان سموه علة و معلولا فعند التحقيق لا يرجعون الى شيء محصل ، فان في قولهم من التناقض و الفساد اعظم مما في قول النصارى .

و قد ذكر طائفة من اهل الكلام ان قولهم بالعلة والمعلول من جنس قول غيرهم بالوالد والولد ، و ارادوا بذلك ان يجعلوهم من جنسهم في الذم ، وهذا تقصير عظيم ، بل اولئك خير من هؤلاء ، و هؤلاء اذا حققت ما يقوله من هو اقربهم الى الاسلام ، كابن رشد الحفيد وجدت غايته ان يكون الرب شرطا في وجود العالم لا فاعلا له ، و كذلك من سلك مسلكهم من المدعين للتحقيق من ملاحدة الصوفية ، كابن عربي و ابن سبعين^(٢٩١) ، حقيقة قولهم ان هذا العالم موجود واجب ازلي ، ليس له صانع غير نفسه ، و هم يقولون : الوجود واحد ، و حقيقة قولهم انه ليس في الوجود خالق خلق موجودا آخر ، و كلامهم في المعاد والنبوات والتوحيد شر من كلام اليهود والنصارى و عباد الاصنام ، فان هؤلاء يجوزون عبادة كل صنم في العالم ، لا يخلصون بعض الاصنام بالعبادة .



(٢٩٠) محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائي ، الحاقى الاندلس ، الشيخ الاكبر . صوفى من الاندلس ، قدوة القائلين بوحدة الوجود ، و لذلك انتقده العلماء و كفره بعض ، رحل من الاندلس الى دمشق و استقر فيها حتى توفى سنة ٦٣٨ هـ . له مؤلفات كثيرة . ترجمته في السير (٤٨/٢٣) فوات الوفيات (٤٣٥/٣ - ٤٤٠) و راجع الاعلام (٢٨١/٦) و معجم المؤلفين (٤٠/١١ - ٤٢) .

(٢٩١) عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الاشبيلي ، الشهير بابن السبعين . صوفى من الاندلس ، شارك في انواع من العلوم . له مصنفات ، في كلامه كثير من المفوات . توفى سنة ٦٦٩ هـ . راجع الاعلام (٢٨٠/٣) معجم المؤلفين (٩٠/٥) فوات الوفيات (٢٥٢/٢ - ٢٥٥) .

فصل

وقد احتج بـ (سورة الاخلاص) من اهل الكلام المحدث من يقول : الرب تعالى جسم كبعض الذين وافقوا هشام^(٢٩٢) بن الحكم ، و محمد بن كرام ، وغيرهما ، ومن ينفي ذلك و يقول ليس بجسم ممن وافق جهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف^(٢٩٣) ، ونحوهما ، فأولئك قالوا : هو صمد والصمد لا جوف له ، وهذا إنما يكون في الاجسام المصمتة ، فانها لا جوف لها ، كما في الجبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة ، و كما قيل : ان الملائكة صمد ؛ ولهذا قيل إنه لا يخرج منه شيء ، ولا يدخل فيه شيء ، ولا ياكل ولا يشرب ، ونحو ذلك ، و نفي هذا لا يعقل الا عما هو جسم ، وقالوا : أصل ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الاجتماع ، و منه تصيد المال ، وهذا إنما يعقل في الجسم المجتمع ، واما النفاة فقالوا : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الذي لا يجوز عليه التفرق والانقسام ، و كل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والانقسام .

(٢٩٢) هشام بن الحكم الشيباني ، ابو محمد الكوفي ، شيخ الامامية في وقته تنسب اليه الفرقة الهاشمية له مؤلفات ، توفي سنة ١٩٩ هـ .

راجع آراءه في الفرق بين الفرق (٥١/٤٨) والملل والنحل للشهرستاني (٢١/٢) و انظر الاعلام (١٨٥/٨) و معجم المؤلفين (١٤٨/١٣) .

(٢٩٣) محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف . يعدّ رائد التأليف في علم الكلام عند المعتزلة ، قال بفناء الجوهر يعرف اتباعه بالهذيلية . توفي سنة ٢٢٦ هـ .

انظر آراءه والكلام عليهما في الفرق بين الفرق (١١٣/١٠٢) والملل والنحل (٦٢/١) و راجع ابن خلكان (٢٦٥/٤ - ٢٦٧) و تاريخ التراث (٦٦/٤ - ٦٨) .

وقالوا ايضا : ﴿ الْأَحَدُ ﴾ الذى لا يقبل التجزى والانتقسام ، و كل جسم فى العالم يجوز عليه التفرق والتجزى والانتقسام . وقالوا : اذا قلت هو جسم كان مركبا مؤلفا من الجواهر الفردة ، أو من المادة والصورة ، و ما كان مركبا مؤلفا من غيره كان مفتقرا إليه ، و هو سبحانه صمد ، والصمد الغنى عما سواه ، فالمركب لا يكون صمدا .

فيقال : اما القول بانه سبحانه مركب مؤلف من اجزاء ، و انه يقبل التجزى والانتقسام والانفصال فهذا باطل شرعا و عقلا ، فان هذا ينافى كونه صمدا ، كما تقدم ، و سواء أريد بذلك انه كانت الاجزاء متفرقة ، ثم اجتمعت ، او قيل : انها لم تنزل مجتمعة لكن يمكن انفصال بعضها عن بعض ، كما فى بدن الانسان و غيره من الاجسام ، فان الانسان و ان كان لم ينزل مجتمع الاعضاء ، لكن يمكن ان يفرق بين بعضه من بعض ، والله سبحانه منزّه عن ذلك ؛ ولهذا قدمنا ان كال الصمدية له ، فان هذا انما يجوز على ما يجوز ان يفنى بعضه او يعدم ، و ما قبل العدم و الفناء لم يكن واجب الوجود بذاته ، و لا قديما ازليا ؛ فان ما وجب قدمه امتنع عدمه ، و كذلك صفاته التى لم ينزل موصوفا بها و هى من لوازم ذاته ، فيمتنع ان يعدم اللازم الا مع عدم الملزوم .

ولهذا قال من قال من السلف : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ هو الدائم ، و هو الباقي بعد فناء خلقه ، فان هذا من لوازم الصمدية ، اد لو قبل العدم لم تكن صمدية لازمة له ؛ بل جاز عدم صمدية فلا يبقى صمدا ، و لا تنتفى عنه الصمدية الا بجواز العدم عليه ، و ذلك محال . فلا يكون مستوجبا للصمدية ، الا اذا كانت لازمة له ، و ذلك ينافى عدمه ، و هو مستوجب للصمدية ، لم يصر صمدا بعد ان لم يكن — تعالى و تقدس — فان ذلك يقتضى انه كان متفرقا فجمع ، و انه مفعول محدث مصنوع ، وهذه صفة مخلوقاته . و اما الخالق القديم الذى يمتنع عليه ان يكون معدوما او مفعولا او محتاجا الى غيره بوجه من الوجوه ، فلا يجوز عليه شيء من ذلك ، فعلم انه لم ينزل صمدا ، و لا يزال صمدا ، فلا يجوز ان يقال : كان متفرقا فاجتمع ، و لا انه يجوز ان يتفرق ، بل و لا يخرج منه شيء و لا يدخل فيه شيء .

و هذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين ، سنيهم و بدعيهم ، و ان كان احد من الجهال او من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك ، فمثل هؤلاء لاتنضبط خيالاتهم الفاسدة ، كما انه ليس في طوائف المسلمين من يقول انه مولود و والد ، و ان كان هذا قد قاله بعض الكفار ، و قد قال المتفلسفة المنتسبون الى الاسلام من التولد والتعليل ما هو شر من قول اولئك .

و اما اثبات الصفات له ، و انه يُرى في الآخرة ، و انه يتكلم بالقرآن و غيره ، و كلامه غير مخلوق : فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان ، و ائمة المسلمين و اهل السنة و الجماعة ، من جميع الطوائف . والخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة ، و كثير من الفلاسفة و الباطنية .

و هؤلاء يقولون ان اثبات الصفات يوجب ان يكون جسما و ليس بجسم ، فلا تثبت له الصفات . قالوا : لان المعقول من الصفات اعراض قائمة بجسم ، و لاتعقل صفته الا كذلك . قالوا : والرؤية لا تعقل الا مع المعاينة ، فالمعاينة لا تكون الا اذا كان المرئى بجهة ، و لا يكون بجهة الا ما كان جسما . قالوا : و لانه لو قام به كلام او غيره للزم ان يكون جسما ، فلا يكون الكلام المضاف اليه الا مخلوقا منفصلا عنه .

و هذه المعاني مما ناظروا بها الامام احمد في « المحنة » ، و كان من احتج على ان القرآن مخلوق بنفى التجسيم ابو عيسى محمد بن عيسى برغوث ، تلميذ حسين النجار ، و هو من اكابر المتكلمين ، فان ابن أبي دؤاد كان قد جمع للامام احمد من امكنه من متكلمي البصرة و بغداد و غيرهم من يقول : ان القرآن مخلوق ، و هذا القول لم يكن مختصا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس ؛ فان كثيرا من

(٢٩٤) محمد بن عيسى الملقب ببرغوث ، كان على مذهب النجار في اكثر مذاهبه و خالفه في تسمية المكتسب فاعلا و خالفه ايضا في المتولدات فزعم انها فعل الله تعالى بايجاب الطبع . راجع الفرق بين الفرق (١٩٧) والملل والنحل (١١٤/١) .

(٢٩٥) احمد بن ابي دؤاد بن جرير بن مالك الايادي ، ابو عبد الله ، احد القضاة المشهورين من المعتزلة ، و رأس فتنة القول بخلق القرآن . و كان جهميا بغيا . توفي سنة ٢٤٠ هـ .

انظر الفهرست لابن النديم (٢١٢) وفيات ابن خلكان (٨١/١ - ٩١) تاريخ بغداد (٤/١٤١ - ١٥٦) الوافي (٢٨١/٧) لسان الميزان (١/١٧١) السير (١٦٩/١١ - ١٧١) .

اولئك المتكلمين او اكثرهم لم يكونوا معتزلة ، و بشر المريسي^(٢٩٦) لم يكن من المعتزلة ، بل فيهم نيجارية ، و منهم برغوث . و فيهم ضرارية . و حفص الفرد^(٢٩٧) الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية اتباع ضرارين عمرو . و فيهم مرجئة ، و منهم بشر المريسي . و منهم جهمية محضة ، و منهم معتزلة ، و ابن ابي ذؤاد لم يكن معتزليا ؛ بل كان جهميا ينفي الصفات ، و المعتزلة تنفي الصفات ، فنفاة الصفات الجهمية اعم من المعتزلة ، فلما احتج عليه برغوث بانه لو كان يتكلم و يقوم به الكلام لكان جسما ، و هذا منفي عنه ، و احمد و امثاله من السلف كانوا يعلمون ان هذه الالفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم و غيره ينبغيها قوم ليتوصلوا بنفيها الى نفي ما اثبتته الله تعالى و رسوله ، و يثبتها قوم ليتوصلوا باثباتها الى اثبات ما نفاه الله و رسوله .

فالاولى : طريقة الجهمية : من المعتزلة و غيرهم : ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدتم التنزيه ، و مقصودهم بذلك ان الله لا يرى في الآخرة ، و انه لم يتكلم بالقرآن و لا غيره بل خلق كلاما في غيره ، و انه ليس له علم يقوم به ، و لا قدرة و لا حياة ، و لا غير ذلك من الصفات قال الامام احمد في خطبته في « الرد على الجهمية والزنادقة » :

« الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، و يصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموقى ، و يبصرون بنوره اهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد احيوه ، و كم ضال تائه قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس ، و اقبح اثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تاويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، و اطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب ، يقولون على الله و في الله و في كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، و يخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين . »

(٢٩٦) بشر بن خيث بن ابي كريمة عبد الرحمن المريسي .
فقيه معتزلي ، عارف بالفلسفة ، يرمى بالزندقة ، و هو راس الطائفة «المريسية» القائلة بالارجاء ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

راجع الاعلام (٥٥/٢) معجم المؤلفين (٤٦/٣) تاريخ التراث (٦٥/٤) الفرق بين الفرق (١٩٢) .

(٢٩٧) حفص الفرد . كان من المجبرة و كان اولا معتزليا ثم قال بخلق الافعال و له كتب .
راجع الفهرست (٢٣٩) و الفرق بين الفرق (٢٠٢) . راجع الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦

والثانية : طريقة هشام واتباعه يحكى عنهم : انهم اثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقص ، و مماثلته للمخلوقات ، فاجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء واتباعهم و هو الاعتصام بحبل الله الذى قال الله فيه : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا** ﴿٢٩٨﴾ .

وقال : **هُوَ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿٢٩٩﴾ .

وقال تعالى : **هُوَ الْمَصِّ ، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴿٣٠٠﴾ .

وقال تعالى : **هُوَ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هَدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلْ وَ لَا يَشْقَى ، وَ مَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى** ﴿٣٠١﴾ .

وقال تعالى : **هُوَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴿٣٠٢﴾ .

وقال تعالى ﴿٣٠٣﴾ : **هُوَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ**

(٢٩٨) سورة ال عمران (١٠٢/٣ - ١٠٣) .

(٢٩٩) سورة البقرة (٢١٢/٢) .

(٣٠٠) الاعراف (١/٧ - ٣) .

(٣٠١) طه (١٢٣/٢٠ - ١٢٦) .

(٣٠٢) النساء (٥٩/٤) .

(٣٠٣) المحرات (١/٤٩ - ٢) .

لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣٠٤﴾

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ، فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَجَاءَعَوْكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَ تَوْفِيقًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ، وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ، فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا ﴿٣٠٥﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٣٠٥)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٠٦)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٣٠٧)

وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣٠٨)

(٣٠٤) الباء (٦٠/٤ - ٦٥)

(٣٠٥) الانعام (١٥٢/٦)

(٣٠٦) ايضا (١٥٩/٦)

(٣٠٧) سورة الروم (٣٠/٣٠ - ٣٢)

(٣٠٨) الثوري (١٢/٤٢)

فهذه النصوص وغيرها تبين ان الله ارسل الرسل ، و انزل الكتب لبيان الحق من الباطل ، و بيان ما اختلف فيه الناس ، و ان الواجب على الناس اتباع ما انزل اليهم من ربهم ، ورد ما تنازعوا فيه الى الكتاب والسنة ، و ان من لم يتبع ذلك كان منافقا ، و ان من اتبع الهدى الذى جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ، و من اعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا معذبا ، و ان الذين فرقوا دينهم قد بريء الله و رسوله منهم .

فاتبع الامام احمد طريقة سلفه من ائمة السنة والجماعة المعتصمين بالكتاب والسنة ، المتبعين ما انزل (الله) اليهم من ربهم ، و ذلك ان ننظر فما وجدنا الرب قد اثبت له نفسه في كتابه اثبتناه ، و ما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه ، و كل لفظ وجد في الكتاب و السنة بالاثبات اثبت ذلك اللفظ ، و كل لفظ وجد منقيا نفي ذلك اللفظ ، و اما الالفاظ التى لا توجد في الكتاب و السنة ، بل و لا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان ، و سائر ائمة المسلمين لا اثباتها و لانفيها ، و قد تنازع فيها الناس ، فهذه الالفاظ لا تثبت و لا تنفى إلا بعد الاستفسار عن معانيها ، فان وجدت معانيها مما اثبتته الرب لنفسه أثبتت ، و ان وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت ، و ان وجدنا اللفظ اثبت به حق و باطل ، او نقي به حق و باطل ، او كان محملا يراد به حق و باطل ، و صاحبه اراد به بعضها ، لكنه عند الاطلاق يوم الناس او يفهمهم ما اراد و غير ما اراد ، فهذه الالفاظ لا يطلق اثباتها و لا نفيها ، كلفظ الجوهر و الجسم و التحيز و الجهة و نحو ذلك من الالفاظ التى تدخل في هذا المعنى ، فقل من تكلم بها نفيا او إثباتا إلا و أدخل فيها باطلا ، و إن أراد بها حقا .

والسلف والائمة كرهوا هذا الكلام المحدث ؛ لا شتاله على باطل و كذب ، و قول على الله بلا علم ، و كذلك ذكر احمد في رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه ، و يقولون عليه بغير علم ، و كل ذلك مما حرمة الله و رسوله ، و لم يكره السلف هذه مجرد كونها اصطلاحية ، و لا كرهوا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول ، بل كرهوا ~~الافتعال~~ الباطلة المخالفة للكتاب و السنة ، و لا يخالف الكتاب و السنة إلا ما هو باطل ، لا يصح بعقل و لاسمع .

ولهذا لما سئل أبو العباس ابن سريج^(٣٠٩) عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين و
قال : واما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر و الاعراض ، و انما بعث
(الله) النبي ﷺ بانكار ذلك ، و لم يرد بذلك انه انكر هذين اللفظين ، فانها
لم يكونا قد احداثا في زمنه ، و انما اراد إنكار ما يعنى بهما من المعاني الباطلة ،
فان اول من احداثها الجهمية و المعتزلة ، و قصدوا بذلك انكار صفات الله تعالى
او ان يرى ، او ان يكون له كلام يتصف به ، و انكرت الجهمية اسماءه أيضا .

و اول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم^(٣١٠) ، فضحى به خالد بن عبد
الله القسري بواسط . و قال : يا ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فاني
مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، و لم يكلم موسى
تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه .

و كلام السلف و الائمة في ذم هذا الكلام و اهله مبسوط في غير هذا
الموضع .

والمقصود هنا : ان ائمة السنة كأحمد بن حنبل و غيره كانوا اذا ذكرت لهم
اهل البدع الالفاظ المجملة : كلفظ الجسم والجوهر والحيز و نحوها لم يوافقهم لا
على اطلاق الاثبات ، و لا على اطلاق النفي ، و اهل البدع بالعكس ابتدعوا
الفاظا و معاني ، إما في النفي ، و اما في الاثبات ، و جعلوها هي الاصل
المعقول المحكم ، الذي يجب اعتقاده ، والبناء عليه ، ثم نظروا في الكتاب والسنة
فما امكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه ، و إلا قالوا هذا من الالفاظ المتشابهة
المشكلة التي لا ندري ما اريد بها . فجعلوا بدعهم اصلا محكما ، و ما جاء به
الرسول فرعا له و مشكلا : إذا لم يوافقهم . و هذا أصل الجهمية و القدرية و
امثالهم ، و اصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية ، جميع كتبهم توجد على هذا
الطريق ، و معرفة الفرق بين هذا و هذا من اعظم ما يعلم به الفرق بين

(٣٠٩) أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي الشافعي ،

كان يلقب بالباز الاشهب ، منه انتشر المذهب الشافعي ، و كان فهرست كتبه يشتمل على اربعمائة
مصنف . توفي سنة ٣٠٦ هـ .

ترجمته في تاريخ بغداد (٢٨٧/٤ - ٢٩٠) وفيات ابن خلكان (٦٦/١ - ٦٧) الوافي (٢٦٠/٧ - ٢٦١) السير
(٢٠١/١٤) تاريخ التراث (١٩٩/٣) .

(٣١٠) من اول القائلين بخلق القرآن ، و ضحى به خالد في سنة ١١٨ هـ .

راجع الاعلام (١٢٠/٣) لسان الميزان (١٠٥/٢) الفرق بين الفرق (٢٦٢) .

الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله ، و بين السبل المخالفة له ، و كذلك الحكم في المسائل العلمية والفقهية ، و مسائل أعمال القلوب و حقائقها و غير ذلك ، كل هذه الامور قد دخل فيها الفاظ و معان محدثة ، و الفاظ و معان مشتركة .

٥ فالواجب ان يجعل ما انزله الله من الكتاب و الحكمة اصلا في جميع هذه الامور ، ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك ، و يبين ما في الالفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب و السنة فتقبل ، و ما فيها من المعاني المخالفة للكتاب و السنة فترد .

و لهذا كل طائفة انكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعته الاخرى ، كما يوجد في الفاظ اهل الرأي والكلام والتصوف ، و انما يجوز ان يقال في بعض الآيات انه مشكل و متشابه اذا ظن انه يخالف غيره من الآيات الحكمة البينة ، فاذا جاءت نصوص بينة محكمة بامر ، و جاء نص آخر يظن ان ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا انه يرد التشابه الى المحكم ، أما إذا نطق الكتاب او السنة بمعنى واحد لم يجز ان يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الاصل ، و يجعل ما في القرآن و السنة مشكلا متشابهة فلا يقبل ما دل عليه .

١٥ نعم ، قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها ، فتكون مشكلة بالنسبة اليهم لعجز فهمهم عن معانيها ، و لا يجوز ان يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل و الحس الا و في القرآن بيان معناه ، فان القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور ، و بيانا للناس ، فلا يجوز ان يكون بخلاف ذلك ؛ لكن قد تخفى آثار الرسالة في بعض الامكنة والازمنة ، حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ : إما أن لا يعرفوا اللفظ ، و اما ان يعرفوا اللفظ و لا يعرفوا معناه ، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة ، و من هنا يقع الشرك ، و تفريق الدين شيئا ، كالفتن التي تحدث بالسيف ، فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم ، كما قال مالك بن انس : اذا قل العلم ظهر الجفاء ، و اذا قلت الآثار ظهرت الأهواء .

٢٥ و لهذا شبهت الفتن بقطع الليل المظلم ، و لهذا قال احمد في خطبته : الحمد

لله الذى جعل فى كل زمان فترة بقايا من اهل العلم . فالهدى الحاصل لاهل الارض انما هو من نور النبوة كما قال تعالى : ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٣١١)

فاهل الهدى والفلاح : هم المتبعون للانبياء و هم المسلمون المؤمنون فى كل زمان و مكان . و اهل العذاب و الضلال : هم المكذبون للانبياء . يبقى اهل الجاهلية الذين لم يصل اليهم ما جاءت به الانبياء . فهؤلاء فى ضلال و جهل

و شرك و شر ، لكن الله يقول :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣١٢) .

وقال : ﴿ رَسُولًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٣١٣)

وقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكَةَ الْقَرْيَةِ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرْيَةِ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٣١٤)

فهؤلاء لا يهلكهم الله و يعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا ، و قد رويت آثار متعددة فى ان من لم تبلغه الرسالة فى الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة فى عرصات القيامة .

(٣١١) سورة طه (١٢٢/٢٠) .

(٣١٢) سورة الاسراء (١٥/١٧) .

(٣١٣) سورة النساء (١٦٥/٤) .

(٣١٤) سورة القصص (٥٩/٢٨) .

(٣١٥) اخرج احمد عن الاسود بن سريع ان النبي ﷺ قال :

«اربعة يحتجون يوم القيامة : رجل اصم لا يسمع شيئا ، و رجل احمق ، و رجل هرم ، و رجل مات فى الفترة .

فاما الاصم فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اسمع شيئا .

و اما الاحق فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و الصبيان يحدفوننى بالبحر ،

و اما الهرم فيقول : ربّ لقد جاء الاسلام و ما اعقل شيئا ،

و اما الذى مات فى الفترة فيقول : ربّ ما اتانى لك رسول ،

فياخذ مواليقهم ليطيعنه ، فيرسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار .

قال فوالذى نفس محمد بيده ! لو دخلوها لكانت عليهم بردا و سلاما ، ثم ذكر سندا آخر الى ابى هريرة و

ذكر انه روى عنه مثل هذا غير انه قال :

فن دخلها كانت عليه بردا و سلاما ، و من لم يدخلها سحب اليها ، راجع المسند (٢٤/٤) ،

وقال الميثمى و رواه الطبراني ، و رجال احمد فى طريق الاسود بن سريع و ابى هريرة رجال الصحيح ،

و كذا رجال الطبراني فيها ، جمع الزوائد (٢١٦/٧) ،

وقد زعم بعضهم ان هذا يخالف دين المسلمين ؛ فان الآخرة لا تكليف فيها ، وليس كما قال ، انما ينقطع التكليف إذا دخلوا دار الجزاء الجنة او النار ؛ والا فهم في قبورهم ممتحنون ومفتونون ، يقال لأحدهم : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وكذلك في عرصات القيامة يقال : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي رأوه فيها اول مرة ، و يقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . وفي رواية فيسألهم و يشبتهم ، وذلك امتحان لهم ، هل يتبعون غير الرب الذى عرفوا انه الله الذى تجلى لهم اول مرة فيثبتهم الله تعالى عند هذه المحنة ، كما يشبتهم في فتنة القبر ، فاذا لم يتبعوه لكونه اتي في غير الصورة التى يعرفون ، اتاهم حينئذ في الصورة التى يعرفون فيكشف عن ساق ، فاذا رأوه خروا له سجداً ، الا من كان منافقا فانه يريد السجود فلا يستطيعه ، يبقى ظهره مثل الطبق وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ في عدة احاديث ثابتة من حديث ابى هريرة ، و ابى سعيد ، وقد اخرجاهما في الصحيحين .

(٣١٨) ومن حديث جابر قد رواه مسلم، ومن حديث ابن مسعود ، و ابى موسى (٣٢٠)

واخرجه البيهقي في الاعتقاد (٩٢) بالطريقين : وهو عند ابن حبان من حديث الاسود (١٨٢٧) موارد .

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٥) الى اسحاق بن راهويه ، و ابى نعيم في المعرفة ، و ابن مردويه .

واخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابى هريرة موقوفا عليه (٥٤/١٥) .

(٣١٦) حديث ابى هريرة اخرجه البخاري مطولا في الاذان (١٩٤/١) و في الرقاق (٢٠٥/٧) في التوحيد (١٧٩/٨) و مسلم في الايمان (١٦٣/١ - ١٦٧) و الدارمي (٧٢٢) و احمد في مسنده (٥٣٤، ٢٩٣، ٢٧٥/٢) .

(٣١٧) و حديث ابى سعيد اخرج البخاري مطولا في التوحيد (١٨١/٨) و مختصرا في التفسير (٧٢/٦) و مسلم في الايمان (١٦٧/١) و احمد (١٧/٣) .

(٣١٨) اخرجه مسلم (١٧٧/١) و احمد (٣٤٥/٣ - ٣٨٢) .

(٣١٩) اخرجه الحاكم مطولا في كتاب الاحوال (٥٩١/٤ - ٥٩٢) و صححه وقال الذهبي : ما انكره حديثا على جودة اسناده ! و ابو خالد شيعي منحرف .

و رواه الطبراني من طرق و رجال احدها رجال الصحيح غير ابى خالد الدالاني و هو ثقة .
قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٠/١٠ - ٣٤٣) .

و هو معروف من رواية احمد و غيره ، فدل ذلك على ان الحنة انما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء ، و اما قبل دار الجزاء امتحان و ابتلاء .

فاذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا في ظلمة الفتن ، و حدثت البدع و الفجور ، كما في الصحيح^(٣٢١) عن النبي ﷺ انه قال : (سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ، و منعتني الثالثة ، سألته ان لا يهلك امتي بسنة عامة فأعطانيها ، و سألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها ، و سألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) .

والبأس مشتق من البؤس . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَ يَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾^(٣٢٢) .

و في الصحيحين عن النبي ﷺ « انه لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال اعوذ بوجهك ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : اعوذ بوجهك . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَ يَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال هاتان اهون . »

فدل على انه لا بد ان يلبسهم شيعا ، و يذيق بعضهم بأس بعض ، مع براءة الرسول في هذه الحال ، و هم فيها في جاهلية .

(قلت) أبو خالد الدالاني اسمه يزيد بن عبد الرحمن ، قال الذهبي : محدث مشهور ، قال ابو حاتم : صدوق ، و قال احمد : لا بأس به ، و قال ابن حبان : فاحش الوم ، لا يجوز الاحتجاج به ، راجع الميزان (٤٢٢/٤) .

و نسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٨) الى اسحاق بن راهويه ، و عبد بن حميد ، و ابن ابى الدنيا و الأجرى في الشريعة ، و الدارقطني في الرؤية ، و ابن مردويه ، و البيهقي في البعث .

(٣٢٠) أخرجه الطبراني في الكبير و الاوسط و قال الهيثمي : فيه فرات بن السائب و هو ضعيف ، مجمع الزوائد (٢٤٢/١٠) و ذكره السيوطي في الدر المنثور برواية ابن عساكر (٢٥٢/٨) .

(٣٢١) أخرجه مسلم بلفظ مختلف في حديث طويل عن ثوبان ، في الفتن (٢٢١٥) و أخرجه ايضا ابو داود (٤٥٠/٤) - (٤٥٢) و الترمذي (٤٧٢/٤) و ابن ماجه (١٣٠٤/٢) رقم (٣٩٥٢) كلهم في الفتن و احمد في المسند (٢٧٨/٥ - ٢٨٤) . كما أخرج مسلم عن سعد بن ابى وقاص الا ان فيه السؤال عن عدم الملاك بالفرق بدل تسليط العدو (٢٢١٦/٣) و أخرجه احمد (١٧٥/١ - ١٨٢) .

و روى الحديث بالفاظ مختلفة و عن عدد من الصحابة راجع تفسير ابن كثير (١٤٠/٢ - ١٤٢) و مجمع الزوائد (٢٢١/٧ - ٢٢٣) و الدر المنثور (٢٨٤ /٣ - ٢٨٩) .

(٣٢٢) سورة الانعام (٦٥/٦) .

(٣٢٣) أخرجه البخاري في التفسير (١٩٢/٥) و في الاعتصام (١٥٠/٨) و في التوحيد (١٧١/٨) عن جابر و لم أجده في صحيح مسلم و لم ينسبه اليه ابن كثير في تفسيره (١٣٩/٢) و ان كان ذكر طرقا متعددة لهذا الحديث ، و كذا لم ينسبه اليه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٢/٣) .

(٣٢٤) ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة واصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ، فاجمعوا على ان كل دم او مال او فرج اصاب بتاويل القرآن فهو هدر ، انزلوهم منزلة الجاهلية ، وقد روى مالك باسناده الثابت عن عائشة رضی الله عنها انها كانت تقول : ترك الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى : ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (٣٢٥) فان المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الاصلاح بينهم كما امر الله تعالى ، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة و جاهلية .

وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الامة في الاصول والفروع اذا لم ترد الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من امرهم ، فان رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ، ولم يبغ بعضهم على بعض ، كما كان الصحابة في خلافة عمر و عثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ، و لا يعتدى عليه ، و ان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم ، فبغى بعضهم على بعض ، إما بالقول مثل تكفيره و تفسيقه ، و إما بالفعل مثل حبسه و ضربه و قتله . و هذه حال اهل البدع و الظلم كالخوارج و أمثالهم ، يظلمون الامة و يعتدون عليهم ، إذا نازعهم في بعض مسائل الدين ، و كذلك سائر اهل الأهواء ، فانهم يبتدعون بدعة ، و يكفرون من خالفهم فيها ، كما تفعل الرافضة و المعتزلة والجهمية و غيرهم ، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء : ابتدعو بدعة و كفروا من خالفهم فيها ، و استحلوا منع حقه و عقوبته .

فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول ﷺ اما عادلون ، و اما ظالمون ، فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء و لا يظلم

(٣٢٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، ابو بكر القرشي الزهري .
الامام ، العلم ، حافظ زمانه ، قال الليث بن سعد : ما رأيت عالما قط اجع من ابن شهاب كان من كبار ائمة الحديث ، سمع و اسمع كثيرا . كان اعلم اهل المدينة ، و اتى عليه عمر بن عبد العزيز فقال : ما ساق الحديث احد مثل الزهري ، توفي سنة ١٢٤ هـ .
انظر ترجمته في السير (٣٢٦/٥ - ٣٥٠) وفيات ابن خلكان (١٧٧/٤ - ١٧٩) حلية الاولياء (٣٦٠/٣ - ٣٨١) تذكرة الحفاظ (١٠٨/١ - ١١٣) تاريخ التراث (٧٤/٢ - ٧٩) .
و قوله اخرج البيهقي في سننه بمعناه (١٧٥/٨) و ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٢٥/٤) .

(٣٢٥) سورة الحجرات (٥/٤٩) ،
و اخرج البيهقي في سننه (١٧٢/٨) عن عائشة قالت ، ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الامة من هذه الآية « و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية » .

غيره ، والظالم الذي يعتدي على غيره ، وهؤلاء ظالمون مع علمهم بأنهم يظلمون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَفِيَا بَيْنَهُمْ ﴾ .^(٣٢٦)

والا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضا ، كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من انفسهم انهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل ، فجعلوا أئمتهم نوابا عن الرسول ، وقالوا هذه غاية ما قدرنا عليه ، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل ، مثل ان يدعي ان قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبيدها ، ويذم من يخالفه من انه معذور .

وكان الذين امتحنوا احد وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابهها نفوا به الحق ، فأجابهم أحمد لما ناظروه في المحنة ، وذكروا الجسم ونحو ذلك ، وأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ، ليس على أحد ، ان يتكلم به البتة ، والمعنى الذي يراد به مجمل ، ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح ، فقال مادري ماتقولون ؟ لكن اقول ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

يقول : ما أدري ماتعنون بلفظ الجسم ، فانا لا اوافقكم على إثبات لفظ ونفيه ، إذ لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولانفيه ، ان لم ندر معناه الذي عناه المتكلم ، فان عنى في النفي والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة وافقناه ، وان عنى ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافق .

ولفظ « الجسم » و « الجوهر » ونحوهما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ، ولا كلام أحد — من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين — التكلم بها في حق الله تعالى ، لا بنفي ولا اثبات ، ولهذا قال احمد في رسالته^(٣٢٧) إلى المتوكل .

(٣٢٦) سورة آل عمران (١٩/٣) وجاء في الاصل والسختين المطبوعتين «وما تفرق» خطأ .

(٣٢٧) ذكره ابو يعين في الحلية (٢١٧/٩) وذكر خبر المحنة بطوله (٢٠٤/٩ - ٢٢٠) .

(لا احب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله ، او في حديث عن رسول الله ﷺ او عن الصحابة او التابعين لهم بإحسان ، وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود) وذكر ايضا فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون : ليس فيه كذا ولا كذا ولا كذا ، وهو كما قال ، فان لفظ الجسم له في اللغة التي نزل بها القرآن معنى ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾^(٣٢٨).

وقال تعالى : ﴿ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٣٢٩).

قال ابن عباس :^(٣٣٠) كان طالوت اعلم بني اسرائيل بالحرب ، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه ، و ﴿ أَلْبَسْتُهُ ﴾ السعة .

قال ابن قتيبة :^(٣٣١) هو من قولك بسطت الشيء إذا كان مجموعا ففتحته ووسعته ، قال بعضهم : والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة ، إذ العادة أن من كان أعظم جسما كان أكثر قوة ، فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن .

قال الجوهري : قال ابو زيد الانصاري : الجسم :^(٣٣٢) الجسد ، وكذلك الجثمان والجثمان ، وقال الاصمعي : الجسم ، والجثمان ، والجسد ، والجثمان : الشخص ، وقال جماعة جسم الانسان يقال له الجثمان وقد جسم الشيء أي عظم ، فهو جسم وجسام ، والجسام بالكسر جمع جسم .

قال ابو عبيدة : تجسمت فلانا من بين القوم أي اخترته ، كأنك قصدت جسمه . كما تقول : تاتيته أي قصدتأتيه وشخصه ، وأنشد ابو عبيدة :

تجسمته من بينهن برهف

وتجسمت الارض إذا أخذت نحوها تريدها ، وتجسم من الجسم ،

(٣٢٨) سورة المنافقون (٤/٦٣) .

(٣٢٩) سورة البقرة (٢/٢٤٧) .

(٣٣٠) نقله ابن الجوزي في تفسيره (٢٩٤/١) .

(٣٣١) راجع تفسير غريب القرآن (٣١٤) .

(٣٣٢) راجع اللسان «جسم» .

وقال ابن السكيت: ^(٣٣٣) تجسمت الامر: أي ركبت اجسمه وجسيمه ، أي معظمه ، وقال : وكذلك تجسمت الرمل والجبل أي ركبت أعظمه ، والأجسم الأضخم قال عامر بن الطفيل: ^(٣٣٤)

لقد علم الحي من عامر بأن لنا الذررة الأجسام

فهذا الجسم في لغة العرب ، وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ، ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ، ولا لروحه المنفوخة فيه جسم ، ومعلوم ان الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك ، لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين ، ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين ، فلا يجوز ان يقال : هو جسم ، ولا جسد .

(و أما اهل الكلام) فالجسم عندهم أعم من هذا ، وهم مختلفون في معناه اختلافًا كثيرا عقليا و اختلافًا لفظيا اصطلاحيا ، فهم يقولون كل ما يشار إليه اشارة حسية فهو جسم ، ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم : كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة ، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يكون جوهرًا ، بشرط ان ينضم الى غيره ، وقيل بل الجوهران ، والجواهر فصاعدا ، وقيل بل اربعة فصاعدا ، وقيل بل ستة ، وقيل بل ثمانية ، وقيل بل عشرة ، وقيل بل اثنان وثلاثون ، وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم .

وقال آخرون من اهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهوى ، والصورة لا من الجواهر الفردة .

وقال كثير من اهل الكلام وغير اهل الكلام :
ليست مركبة لامن هذا ولا من هذا ، وهذا قول المشامية والكلاية

^(٣٣٣) يعقوب بن اسحاق ، ابو عبد الله ، من ائمة اللغة والادب ، قال الذهبي : دين خير ، حجة في العربية ، له نحو عشرين كتابا اشهرها «اصلاح المنطق» ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٧٣/١٤) وفيات ابن خلكان (٢٩٥/٦ - ٤٠٢) السير (١٦/١٢) .

^(٣٣٤) عامر بن الطفيل العامري ، من شعراء الجاهلية ، ادرك الاسلام ولكنه لم يلم .
والبيت في اللسان «جسم» .

والضرارية و غيرهم من الطوائف الكبار ، لا يقولون بالجوهر الفرد و لا بالمادة والصورة ، و آخرون يدعون إجماع المسلمين على إثبات الجوهر الفرد ، كما قال أبو المعالي^(٢٣٥) و غيره ، اتفق المسلمون على ان الاجسام تتناهى فى تجزئها و انقسامها حتى تصير افرادا ، و مع هذا فقد شك هو فيه ، و كذلك شك فيه أبو الحسين^(٢٣٦) البصرى . و ابو عبد الله الرازى .

و معلوم ان هذا القول لم يقله أحد من ائمة المسلمين لا من الصحابة و لا من التابعين لهم باحسان ، و لا أحد من ائمة العلم المشهورين بين المسلمين ، و اول من قال ذلك فى الاسلام طائفة من الجهمية و المعتزلة ، و هذا من الكلام الذى ذمه السلف و عابوه ، و لكن حاكي هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا ما فى كتب الكلام ، و لم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين ، و القول بالجوهر الفرد باطل ، و القول بالهوى و الصورة باطل ، و قد بسط الكلام على هذه المقالات فى مواضع آخر .

و قال آخرون : الجسم هو القائم بنفسه ، و كل قائم بنفسه جسم ، و كل جسم فهو قائم بنفسه ، و هو مشار إليه ، و اختلفوا فى الاجسام هل هي متاثلة أم لا ؟ على قولين مشهورين .

و إذا عرف ذلك فمن قال : إنه جسم ، و أراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل ، و كذلك ان اراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع و العقل ان الله ليس كمثله شيء فى شيء من صفاته ، فمن أثبت لله مثلا فى شيء من صفاته فهو مبطل ، و من قال إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ، و من قال إنه ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى فى الآخرة ، و لا يتكلم بالقرآن و غيره من

(٢٣٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، الجوينى ، شيخ الشافعية ، المعروف بامام الحرمين . من فقهاء الشافعية الكبار ، له مشاركة فى الاصول و الكلام و التفسير ، قال أبو سعد السمعاني : كان أبو المعالي امام الائمة على الاطلاق ، مجعاً على امامته شرقاً و غرباً ، لم تر الميرون مثله ، توفى سنة ٤٧٨ هـ . راجع ترجمته فى وفيات ابن خلكان (١٦٧/٣ - ١٧٠) طبقات السبكي (١٦٥/٥ - ٢٢٢) السير (٤٦٨/١٨) - (٤٧٧) .

(٢٣٦) محمد بن على بن الطيب ، أبو الحسين البصرى ، شيخ المعتزلة و صاحب التصانيف الكلامية كان فصيحاً بليفاً ، عذب العبارة ، يتوقد ذكاء ، و له اطلاق كبير . توفى سنة ٤٣٦ هـ . راجع تاريخ بغداد (١٠٠/٣) وفيات ابن خلكان (٢٧١/٤) الوافى (١٢٥/٤) السير (٥٨٧/١٧) لسان الميزان (٢٩٨/٥) .

الكلام ، و لا يقوم به العلم و القدرة و غيرها من الصفات ، و لا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ، و لا عرج بالرسول ﷺ إليه ، و لا يصعد إليه الكلم الطيب و لا تعرج الملائكة والروح إليه فهذا قول باطل .

و كذلك كل من نفى ما اثبتته الله و رسوله ، و قال ان هذا تجسيم فنفيه باطل ، و تسمية ذلك تجسيميا تلبيس منه ، فانه ان اراد ان هذا في اللغة يسمى ^٥ جسما فقد أبطل ، و ان اراد أن هذا يقتضى أن يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، او ان هذا يقتضى ان يكون جسما ، و الاجسام متماثلة ، قيل له اكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة ، و في أنها مركبة ، فلا يقولون : ان الهواء مثل الماء و لا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال ، فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه ، إذا أثبتوا له ^{١٠} ما اثبت له الكتاب والسنة ؟! والله تعالى قد نفى المماثلات في بعض المخلوقات ، و كلاهما جسم كقوله : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٣٣٧)

مع ان كلاهما بشر . فكيف يجوز ان يقال : إذا كان لرب السموات علم و قدرة انه يكون مماثلا لخلقه ؟! و الله تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته و لا في صفاته و لا في أفعاله .

و نكتة الامر أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ، و يستلزم ان يكون مركبا من الجواهر الفردة ، او من المادة والصورة ، و أكثر العقلاء يخالفونه في هذا التلازم ، و هذا التلازم منتف باتفاق الفريقين ، و هو ^{٢٠} المطلوب .

فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا و عقلا بقى بحثهم في الجسم الاصطلاحي ، هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ و هو بحث عقلى ، كبحث الناس في الاعراض هل تبقى او لا تبقى ؟ و هذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب و لا سنة و لا اثر من السلف بلفظ الجسم في ^{٢٥} حق الله تعالى لا نفيا و لا اثباتا ، فليس لاحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معانى

مختلفة ، لم ينطق به الشرع و يعلق به دين المسلمين ، ولو كان قد نطق باللغة العربية ، فكيف إذا أحدث للفظ معنى آخر ؟!

و المعنى الذى يقصده إذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فاذا كان معتقده أن الاجسام متاثلة ، وان الله ليس كمثل شئ ، وهو سبحانه لا سى له ، و لا كقوله ، و لاند له ، فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبس و لا نزاع ، وان كان معتقده ان الاجسام غير متاثلة ، وان كل ما يرى و تقوم به الصفات فهو جسم ، فان عليه أن يثبت ما أثبتته الله و رسوله من علمه و قدرته و سائر صفاته . كقوله : ﴿ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٣٣٨)

و قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٣٣٩)

و قوله عليه السلام فى حديث الاستخارة^(٣٤٠) : (اللهم إني استخيرك بعلمك و استقدرك بقدرتك) .^(٣٤١)

و قوله فى الحديث الآخر : (اللهم بعلمك الغيب ، و بقدرتك على الخلق) .

و يقول كما قال رسول الله ﷺ : (انكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس و القمر لاتضامون فى رؤيته) . فشبّه الرؤية بالرؤية ، و ان لم يكن المرئى كالمرئى .

فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبس و لا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب و السنة و أقوال الصحابة ، ثم بعد هذا من كان قد تبين

(٣٣٨) سورة البقرة (٢/٢٥٥) .

(٣٣٩) سورة الذاريات (٥١/٥٨) .

(٣٤٠) رواه البخارى عن جابر فى التهجد (٥١/٢) و فى الدعوات (١٦٢/٧) و فى التوحيد (١٦٨/٨) . و اخرجه البيهقى فى شعب الايمان فراجع تخريجه فيه .

(٣٤١) رواه النسائى (٥٤/٣) و احمد (٣٦٤/٤) عن عمار بن ياسر .

(٣٤٢) اخرجه البخارى فى المواقيت (١٣٩/١ - ١٤٣) و فى التفسير (٤٨/٦) و فى التوحيد (١٧٩/٨) و مسلم فى المساجد (٤٣٩/١) و ابو داود فى السنة (٩٧/٥) و الترمذى فى صفة الجنة (٦٨٧/٤) و ابن ماجه فى المقدمة (٦٣/١ رقم ١٧٧) و احمد (٣٦٥، ٣٦٢، ٣٦٠/٤) .

من حديث جرير ، و فيه ذكر القمر فقط ، و جاء فى روايات اخرى ذكر الشمس والقمر بلفظ مختلف .

له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله ، فلازم الحق حق ، لكن ذلك المعنى لا بد ان يدل الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية ، وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده ، وحينئذ فليس لأحد ان يدعو الناس إليه ، وان قدر أنه في نفسه حق .

- (و مسألة) تماثل الأجسام و تركيبها من الجواهر الفردة قد اضطرب فيها
جواهر اهل الكلام . و كثير منهم يقول بهذا تارة و بهذا تارة . و أكثر ذلك
لأجل الألفاظ الجملة والمعاني المتشابهة ، و قد بسط الكلام عليه في غير هذا
الموضع .

- لكن المقصود هنا : أنه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست
متأثلة ، و لامركبة لا من هذا و لا من هذا لم يكن له ان يتدع في دين
الاسلام قوله : ان الله جسم ، و يناظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه
الكتاب والسنة ، بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية . و لو قدر أنه
تبين له أن الاجسام متأثلة ، و ان الجسم مركب ، لم يكن له أن يتدع القول
بهذا الاسم ، و يناظر على معناه الذى اعتقده بعقله ؛ بل ذلك المعنى المعلوم
بالشرع و العقل يمكن اظهاره بعبارة لا إجمال فيها و لا تلبس ، والذين
يقولون : ان الجسم مركب من الجواهر ، يدعى كثير منهم انه كذلك في لغة
العرب ؛ لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا ، يريدون به أنه أكثر أجزاء
منه . و يقولون : هذا جسم ، أى كثير الأجزاء .

- قال : والتفضيل بصيغة أفعال . انما يكون لما يدل عليه الاسم ، فاذا قيل :
هذا أعلم وأحلم ، كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم و الحلم ،
فلما قالوا : اجسم ، لما كان أكثر اجزاء دل على ان لفظ الجسم عندهم المراد به
المركب ، فمن قال جسم وليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب .

- قالوا : وهذه تخليطة في اللفظ ، و ان كنا لا نكفره ، اذا لم يثبت
خصائص الجسم من التركيب والتأليف ، و قد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم
من هذا ، وقالوا : ليس هذا اللفظ من لغة العرب ، كما يحكى عن ابى زيد
فيقال له : لا ريب ان العرب تقول هذا جسم أى عظيم الجثة . و هذا أجسم

من هذا أى أعظم جثة ، لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التى
هي الجواهر الفردة ، انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم
مركب من الجواهر الفردة ، والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر و الحقايرة
الى انه لا يتميز يمينه من يساره . و معلوم ان اكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور
الجوهر الفرد ، والذين يتصورونه اكثرهم لا يثبتونه ، والذين أثبتوه انما يثبتونه
بطرق خفية طويلة بعيدة ، فيمتنع ان يكون اللفظ الشائع فى اللغة التى ينطق
بها خواصها و عوامها أرادوا به هذا .

و قد علم بالاضطرار ان احدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق
بأثبتات الجوهر الفرد ، و لا بما يدل على ثبوته عنده ، بل و لا العرب قبلهم ، و
لا سائر الأمم الباقين على الفطرة ، و لا اتباع الرسل ، فكيف يدعى عليهم انهم
لم يقولوا لفظ جسم الا لما كان مركبا مؤلفا ؟! و لو قلت لمن شئت من العرب
الشمس والقمر و السماء مركب عندك من اجزاء صغار كل منها لا يقبل
التجزى ، او الجبال او الهواء او الحيوان او النبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد
كلفة ، ثم اذا تصوره قد يكذبه بفطرته ، و يقول : كيف يمكن ان يكون شيء
لا يتميز منه جانب عن جانب ؟! و أكثر العقلاء من طوائف المسلمين و غيرهم
ينكرون الجوهر الفرد ، فالفقهاء قاطبة تنكره ، و كذلك أهل الحديث
والتصوف .

و لهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الاجسام الى بعض ، كاستحالة
العذرة رمادا ، و الخنزير ملحاً ، ثم تكلموا فى هذه الاستحالة هل تطهر ام لا
تطهر ؟ و القائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم . بل تلك الجواهر
التي كانت فى الاول هى بعينها فى الثانى ، و انما اختلف التركيب ، و لهذا
يتكلم بلفظ التركيب فى الماء و نحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد اخذ هذا
التركيب عن المتكلمين ، و يقول : ان الماء يفارق غيره فى التركيب فقط . و
كذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم انا لم نشاهد قط احداث الله تعالى لشيء
من الجواهر و الأعيان القائمة بنفسها ، و ان جميع ما يخلقه من الحيوان و النبات
و المعدن و الثار و المطر و السحاب و غير ذلك انما هو جمع الجواهر و تفريقها ، و
تغيير صفاتها من حال الى حال ، لا انه يبدع شيئا من الجواهر و الاجسام القائمة

بأنفسها ، وهذا القول اكثر العقلاء ينكره ، و يقول : هو مخالف للحس والعقل والشرع ، فضلا عن ان يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى .

ثم الجسم قد يزداد به الغلظ نفسه ، و هو عرض قائم بغيره ، و قد يراد به الشيء الغليظ ، و هو القائم بنفسه . فنقول : هذا الثوب له جسم : اي غلظ ، و قوله : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ ^(٢٤٣) قد يحتاج به على هذا ، فانه قرن الجسم بالعلم الذي هو مصدر . فنقول المعنى ﴿ زَادَهُ بَسْطَةً ﴾ في قدره ، فجعل قدر بدنه اكبر من بدن غيره ، فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس المقدر .

و كذلك قوله تعالى : ﴿ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ ^(٢٤٤) أى صورهم القائمة بأبدانهم ، كما تقول : أعجبنى حسنه و جماله و لونه و بهاؤه ، فقد يراد صفة الأبدان ، و قد يراد نفس الابدان ، و هم إذا قالوا : هذا اجسم من هذا ارادوا انه اغلظ و اعظم منه ، اما كونهم يريدون بذلك ان ذلك العظم و الغلظ كان لزيادة الأجزاء فهذا مما يعلم قطعا انه لم يخطر ببال اهل اللغة ، الا من اخذ ذلك عن اعتقده من اهل الكلام المحدث الذى احدث في الاسلام بعد انقراض عصر الصحابة ، و اكثر التابعين ، فان هذا لم يعرف في الاسلام من تكلم به او بمعناه إلا في اواخر الدولة الأموية ، لما ظهر جهم بن صفوان ، و الجعد بن درهم ، ثم ظهر في المعتزلة .

فقد تبين أن من قال : الجسم هو المؤلف المركب ، واعتقد أن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بنى آدم ، و لم ينقل عن أحد من السلف انه وافقه عليه ، وأنه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة ، فقد غير معنى اللفظ في اللغة ، و ادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل ، و ليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ، و لا ما ادعاه من المعنى العقلي ، فاللغة لا تدل على ما قال ، و الشرع لا يدل على ما قال ، و العقل لم يدل على مسميات الألفاظ ، و إنما يدل على المعنى المجرد ، و ذلك فيه نزاع طويل ، و نحن نعلم بالاضطرار

(٢٤٣) سورة البقرة (٢/٢٤٧) .

(٢٤٤) سورة المنافقين (٤/٦٣) .

أن ذلك المعنى الذى وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه إلى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ، و لا ما ادعاه من المعنى العقلى ، بل الذين جعلوا هذا عمدتهم في تنزيه الرب على نفي مسمى الجسم ، لا يمكنهم ان ينزهوه عن شيء من النقائص ألبتة ، فانهم اذا قالوا : هذا من صفات الاجسام ، فكل ما اثبتوه هو ايضا من صفات الاجسام ، مثل كونه حيا عليها قديرا ، بل كونه موجودا قائما بنفسه ، فانهم لا يعرفون هذا في الشاهد الا جسما ، فاذا قال المنازع : انا أقول فيما نفيتوه نظير قولكم فيما أثبتوه انقطعوا .

ثم هؤلاء لهم في استحقاق الرب لصفات الكمال عندهم ، هل علم بالاجماع فقط ، او علم بالعقل ايضا . فيه قولان : فمن قال إن ذلك لم يعلم بالعقل كأبي المعالى والرازى وغيرهما لم يبق معهم دليل عقلى ينزهون به الرب عن كثير من النقائص ، هذا اذا لم ينف الا ما يجب نفيه عن الله ، مثل نفيه للنقائص ، فانه يجب تنزيه الرب عنها ، و ينفى عنه مماثلة المخلوقات ، فانه كما يجب تنزيه الرب عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه عن ان يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفات الكمال الثابتة له ، وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ دلت على النوعين .

فقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ مع قوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ينفى المماثلة والمشاركة ، وقوله : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ يتضمن جميع صفات الكمال ، فالنقائص جنسها منفى عن الله تعالى ، وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التى يجب تنزيه الرب عنها ، بخلاف ما يوصف به الرب . و يوصف العبد بما يليق به : مثل العلم والقدرة والرحمة ، ونحو ذلك ، فان هذه ليست نقائص ، بل ما ثبت لله من هذه المعانى فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات ، فضلا عن ان يماثله فيه ، بل ما خلقه الله في الجنة من المآكل والمشارب والملابس ، لا يماثل ما خلقه في الدنيا وان اتفقا في الاسم ، وكلاهما مخلوق .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء) فقد اخبر الله أن في الجنة لبنا و خمرًا و عسلًا و ماء و حريرا و ذهبًا و فضة ،

(٣٤٥) أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره (١٧٤/١) و راجع تخريجه في شعب الايمان للبيهقى .

وتلك الحقائق ليست مثل هذه ، و كلاهما مخلوق ، فالخالق تعالى أبعد عن مماثلة المخلوقات من المخلوق الى المخلوق .

و قد سمي الله نفسه عليا ، حليما ، رؤوفا رحيا ، سميعا ، بصيرا ، عزيزا ، ملكا ، جبارا ، متكبرا ، مؤمنا ، عظيما ، كريما ، غنيا ، شكورا ، كبيرا ، حفيظا ، شهيدا ، حقا ، وكيلا ، وليا ، و سمي ايضا بعض مخلوقاته بهذه الأسماء . فسمى الانسان سميعا بصيرا ، و سمي نبيه رؤوفا رحيا ، و سمي بعض عباده ملكا ، و بعضهم شكورا ، و بعضهم عظيما ، و بعضهم حليما و عليا ، و سائر ما ذكر من الاسماء مع العلم بأنه ليس المسمى بهذه الأسماء من المخلوقين مماثلا للخالق جل جلاله في شيء من الاشياء .

- ١٠ و كذلك النزاع في لفظ التحيز و الجهة و نحو ذلك ، فمن الناس من يقول : هو متحيز ، و هو في جهة ، و منهم من يقول : ليس بمتحيز ، و ليس في جهة ، و منهم من يقول : هو في جهة و ليس بمتحيز ، و لفظ المتحيز يتناول الجسم ، و الجوهر الفرد ، و لفظ الجوهر قد يراد به المتحيز ، و قد يراد به الجوهر الفرد . و من الفلاسفة من يدعى إثبات جواهر قائمة بأنفسها غير متحيزة . و متأخروا أهل الكلام كالشهرستاني والرازي والآمدي و نحوهم يقولون : ليس في العقل ما يحيل ذلك ، و لهذا كان من سلك سبيل هؤلاء — و هو إنما يثبت حدوث العالم بحدوث الأجسام — يقول بتقدير وجود جواهر عقلية ، فليس في هذا الدليل ما يدل على حدوثها ، و لهذا صار طائفة ممن خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية ، و حدوث الاجسام ، و ان السبب الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس ، و بعض أعيان المصنفين كان يقول بهذا .

٢٠ و كذلك الارموي^(٣٤٧) صاحب «اللباب» الذي أجاب عن شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة أنه لا بد للحدوث من سبب ، فأجاب بالجواب الباهر

(٣٤٦) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني ، صاحب كتاب «الملل والنحل» و شيخ اهل الكلام والحكمة ، كان كثير الحفظ ، قوى الفهم ، مليح الوعظ ، توفي سنة ٥٤٨ هـ .
انظر وفيات ابن خلكان (٢٧٣/٤ - ٢٧٥) السواق (٢٧٨/٣ - ٢٧٩) السير (٢٨٦/٢٠ - ٢٨٨) معجم المؤلفين (١٨٧/١٠) .

(٣٤٧) محمد بن ابي بكر بن حامد بن احمد التنوخي ، سراج الدين .
فقيه شافعي ، له اهتمام بالاصول و علم الكلام والفلسفة ، توفي سنة ٦٨٢ هـ .
و كتابه «اللباب» تلخيص لكتاب «الاربعين في اصول الدين» للفخر الرازي .
انظر كشف الظنون لحاجي خليفة (٦١/١) و معجم المؤلفين (١٥٥/١٢) .

الذى أخذه من كلام الرازى فى «المطالب العالية» فانه أجاب به و هو فى «المطالب العالية» يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين ، و هو فى مسألة الحدوث و القدم حائر ، و هذا الجواب من أفسد الأجوبة .

فإنه يقال : ما الموجب لحدوث تلك التصورات دائما ، ثم ان النفس عندهم لا بد ان تكون متصلة بالجسم ، فيمتنع وجود نفس بدون جسم .

و أيضا فالذى علم بالاضطرار من دين الرسل ان كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن .

و أيضا فما تثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية إنما يوجد فى الذهن لا فى الخارج ، و أما أكثر المتكلمين فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل . و قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع ، و بين أن ما تدعى الفلاسفة اثباته من الجواهر العقلية التى هى العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها فى الخارج ، و إنما هى أمور معقولة فى الذهن يجردها العقل من الامور المعينة كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين الاصناف : كالحيوانية الكلية ، والانسانية الكلية ، والكليات إنما تكون كليات فى الازهان لا فى الاعيان .

و من هؤلاء من يظن أنها تكون فى الخارج كليات ، و ان فى الخارج ماهيات كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة ، و كذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الاعيان يسمونها «المثل الافلاطونية» ، و منهم من يثبت دهرًا مجردًا عن المتحرك و الحركة ، و يثبت خلافا مجردا ليس هو متحيزا و لا قائما بمتحيز . و يثبت هيولى مجردة عن جميع الصور ، والهيولى فى لغتهم بمعنى المحل . يقال الفضة هيولى الخاتم ، و الدرهم و الخشب هيولى الكرسي . أى هذا المحل الذى تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصورة الصناعية عرض من الاعراض ، و يدعون أن للجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه ، و هذا غلط . و انما هذا يقدر فى النفس كما يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد ، و عدد مجرد عن كل معدود ، و مقدار مجرد عن كل مقدر ، و هذه كلها أمور مقدرة فى الازهان ، لا وجود لها فى الاعيان . و قد اعترف بذلك من عادته نصر الفلاسفة من اهل النظر ، كما قد بسط هذا فى غير هذا الموضع .

فالجواهر العقلية التي يثبتها هؤلاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاءها في الخارج . وأما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلاسفة اتباع أرسطو ، ولا يذكرونها بنفى ولا اثبات ، كما لا يعرفون النبوات ، ولا يتكلمون عليها بنفى ولا اثبات ، إنما تكلم في ذلك متأخروهم كابن سينا^(٣٤٨) وأمثاله ، الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة ، فلبسوا و دلسوا .

و كذلك «العلة الاولى» التي يثبتونها لهذا العالم إنما أثبتوا علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، و تحريكها للفلك من جنس تحريك الامام المقتدى به للمؤتم المقتدى ، اذا كان يجب ان يتشبه بامامه و يقتدى بامامه ، و لفظ «الاله» في لغتهم يراد به المتبوع الامام الذي يتشبه به ، فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالاله ، و لهذا جعلوا «الفلسفة العليا» و «الحكمة الاولى» إنما هي التشبه بالاله على قدر الطاقة ، و كلام أرسطو في علم ما بعد الطبيعة في «مقالة اللام» التي هي منتهى فلسفته و في غيرها كله يدور على هذا ، و تارة يشبه تحريكه للفلك بتحريك المعشوق للعاشق ، لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق ، او لغرض يناله منه ، و حركة الفلك عندهم ليست كذلك ، بل يتحرك ليتشبه بالعلة الاولى ، فهو يحبها أي يحب التشبه بها لا يجب ان يعبدها ، و لا يجب شيئا يحصل منها ، و يشبه ذلك أرسطو بحركة النواميس لإتباعها أي اتباع الناموس قائمون بما في الناموس ، و يقتدون به ، والناموس عندهم هي السياسية الكلية للمدائن التي وضعها لهم ذوو الرأي والعقل ، لمصلحة دنياهم ؛ لئلا يتظالموا و لا تفسد دنياهم .

و من عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الأنبياء من جنس نواميسهم ، و أن المقصود بها مصلحة الدنيا ؛ بوضع قانون عدلى ؛ و لهذا اوجب ابن سينا و امثاله النبوة ، و جعلوا النبوة لا بد منها لأجل وضع هذا الناموس ، و لما كانت الحكمة العملية عندهم هي الخلقية ، و المنزلية ، و المدنية ؛ جعلوا ما جاءت به الرسل من العبادات و الشرائع و الاحكام هي من جنس الحكمة الخلقية ،

(٣٤٨) ابو علي ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، و يلقب بالشيخ الرئيس العلامة الشهير ، صاحب التصانيف في الطب و الفلسفة و المنطق . توفي سنة ٤٢٨ هـ .

انظر ترجمته وفيات ابن خلكان (١٥٧/٢ - ١٦٢) الوافي (٣٩١/١٢ - ٤١٢) عيون الانبياء في طبقات الاطباء (٤٣٧ - ٤٥٩) السير (٥٣١/١٧ - ٥٣٦) .

والمنزلية ، والمدنية . فان القوم لا يعرفون الله ، بل هم أبعد عن معرفته من
كفار اليهود والنصارى بكثير . وأرسطو المعلم الاول من اجهل الناس بهرب
العالمين الى الغاية . لكن لهم معرفة جيدة بالامور الطبيعية ، وهذا بحر علمهم ،
وله تفرغوا ، وفيه ضيعوا زمانهم ، وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها
مبخوس جدا ، وأما ملائكته وانبياءه وكتبه ورسله والمعاد . فلا يعرفون
ذلك ألبة ، ولم يتكلموا فيه لا بنفى ولا اثبات ، وانما تكلم في ذلك متأخروهم
الداخلون في الملل .

وأما قدماء اليونان فكانوا مشركين من اعظم الناس شركا وسحرا ،
يعبدون الكواكب والأصنام ، ولهذا عظمت عناياتهم بعلم الهيئة والكواكب
لأجل عبادتها . وكانوا يبنون لها الهياكل ، وكان آخر ملوكهم (بطليموس)
صاحب «المجسطى» ولما دخلت الروم في النصرانية فجاء دين المسيح صلوات الله
عليه وسلامه ابطل ما كانوا عليه من الشرك .

ولهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع ديناً مركباً من دين الموحدين و
دين المشركين ، فان اولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب ، و
يصلون لها ويسجدون ، فجاء قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا
الصلاة الى المشرق ، وجعلوا السجود الى الشمس بدلاً عن السجود لها ، وكان
اولئك يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل ، فجاءت النصارى وصورت تماثيل
القدايس في الكنائس ، وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف بدل
الصور المجسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل .

وأرسطو كان وزير الاسكندر بن فيلبس المقدوني — نسبة الى مقدونية —
وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين ، الذين يسمون المشائين ، وهي اليوم
خراب أو غمرها الماء ، وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومى ،
وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة انه كان
وزيراً لدى القرنين المذكورين في القرآن ، ليعظم بذلك قدره ، وهذا جهل ؛ فان
ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جداً ، وذوالقرنين بنى سد يأجوج و
مأجوج ، وهذا المقدوني ذهب الى بلاد فارس ولم يصل الى بلاد الصين ، فضلاً
عن السد .

والملائكة التي اخبر الله ورسوله بها لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ليسوا عشرة ولا تسعة ، وهم عباد الله أحياء ناطقون ، ينزلون الى الارض ، و يصعدون الى السماء ،

ولا يفعلون الا بأذن ربهم ، كما اخبر الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾^(٢٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾^(٢٥٠) وأمثال هذه النصوص .

- وهؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية ، وأن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك ، والعقل الاول هو رب السموات والارض وما بينهما ، و الملاحدة الذين دخلوا معهم من اتباع بنى عبید : كأصحاب رسائل اخوان الصفا ، وغيرهم ، و كملاحدة المتصوفة : مثل ابن عربي ، وابن سبعين ، وغيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع : «أول ما خلق الله العقل» . وفي كلام أبي حامد الغزالي في «الكتب المضمون بها على غير أهلها» وغير ذلك من معاني هؤلاء قطعة كبيرة ، و يعبر عن مذاهبيهم بلفظ الملك والملكوت و الجبروت ، و مراده بذلك الجسم و النفس و العقل ، فيأخذ هؤلاء العبارات الاسلامية ، و يودعونها معاني هؤلاء ، و تلك العبارات مقبولة عند المسلمين ، فاذا سمعوها قبلوها ثم اذا عرفوا المعاني التي قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الاسلام ، وأن هذه معاني هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي

(٢٤٩) سورة الانبياء (٢٦/٢١ - ٢٨) .

(٢٥٠) سورة النجم (٢٦/٥٣) .

(٢٥١) اخوان الصفا : رجال لم يعرف اسماؤهم بالتحديد تجمعوا تحت هذا الاسم ، و كَوْنُوا جمعية سرّية ذات طابع سياسى دينى ، و كان اعضاؤها من الفرقة الاسماعيلية الباطنية .

(٢٥٢) راجع الفوائد المجموعة للشوكاني (ص ٤٧٨) .

(٢٥٣) محمد بن محمد بن محمد احمد ، الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام . صاحب التصانيف في الفقه ، و الاصول ، و التصوف و الحكمة ، و قد انكر العلماء عليه اشياء ، اما كتاب «المضنون به على غير اهله» فقال الذهبي : معاذ الله ان يكون له ، توفي سنة ٥٠٥ هـ . راجع وفيات ابن خلكان (٢١٦/٤ - ٢١٩) الوافي (٢٧٤/١ - ٢٧٧) السير (٢٢٢/١٩ - ٢٤٦) و معجم المؤلفين (٢٦٦/١١ - ٢٦٩) .

عناها محمد رسول الله — ﷺ — و اخوانه المرسلون : مثل موسى و عيسى —
صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

ولهذا ضل كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس ، و عدم المعرفة بحقيقة
ما جاء به الرسول ، و ما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من اهل العلم
والعبادة و التصوف ، و من ليس له غرض في مخالفة محمد ﷺ ، بل يحب اتباعه
مطلقا ، و لو عرف ان هذا مخالف لما جاء به لم يقبله ، لكن لعدم كمال علمه
بمعاني ما أخبر به الرسول و مقاصد هؤلاء ، يقبل هذا . لا سيما اذا كان المتكلم
به ممن له نصيب وافر في العلم والكلام و التصوف والزهد والفقه والعبادة . و
رأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع
الظاهر ، و فوق مرتبة المحدث ، الذي غايته ان ينقل ألفاظا لا يعلم معانيها ،
و كذلك المقرئ والمفسر ، و رأى من يعظمه من اهل الكلام ، اما موافق لهم و
إما خائف منهم ، و رأى بحوث المتكلمين معهم في مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق
يبين فساد قولهم ، بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة ، و تارة
يخالفونهم في أمر قالته الفلاسفة و يكون حقا ، مثل من يرى كثيرا من
المتكلمين يخالفهم في أمور طبيعية و رياضية ظاننا أنه ينصر الشرع ، و يكون
الشرع موافقا لما علم بالعقل . مثل استدارة الافلاك ، فانه لم يعلم بين السلف
خلاف في أنها مستديرة و الآثار بذلك معروفة ، و الكتاب و السنة قد دلا على
ذلك ، و كذلك استحالة الأجسام بعضها الى بعض ، هو مما اتفق عليه الفقهاء ،
كما قال هؤلاء . الى امور آخر .

لكن كثير من المتكلمين او اكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة و
آثار الصحابة والتابعين لهم باحسان ؛ بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين ، بل
اجماع المسلمين ، و لا يكون قد قالها أحد من السلف ؛ بل الثابت عن السلف
مخالف لها ، فلما وقع بين المتكلمين تقصير و جهل كثير بحقائق العلوم الشرعية ،
و هم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم ، و تارة يخالفونهم في
حقهم ، صارت المناظرات بينهم دولا . و ان كان المتكلمون أصح مطلقا في
العقليات الالهية والكلية ، كما انهم أقرب الى الشرعيات من الفلاسفة ؛ فان
الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدا ، وفيه تخليط

كثير ، و انما يتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية ، و في كلياتها ، فكلامهم فيها في الغالب جيد .

و أما الغيب الذى تخبر به الأنبياء ، و الكليات العقلية التى تعم الموجودات كلها ، و تقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة فلا يعرفونها ألبتة ؛ فان هذا لا يكون الا ممن أحاط بأنواع الموجودات ، و هم لا يعرفون الا الحسيات و بعض لوازمها ، و هذا معرفة بقليل من الموجودات جدا ، فان مالا يشهده الآدميون من الموجودات، أعظم قدرا و صفة مما يشهدونه بكثير .

و لهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا أخبار الأنبياء بالملائكة و العرش و الكرسي و الجنة و النار ، و هم يظنون أن لا موجود الا ما علموه هم و الفلاسفة : يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه ، و ان كان هذا لادليل عليه ، و ليس لهم بهذا النفى علم ؛ فان عدم العلم ليس علما بعدم لكن نفيهم هذا كنفى الطبيب للجن ؛ لأنه ليس فى صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن ، و الا فليس فى علم الطب ما ينفى وجود الجن ، و هكذا تجد من عرف نوعا من العلم و امتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لم يعلمه ، و بنوا آدم ضلالهم فيما جحدوه و نفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما أثبتوه و صدقوا به . قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيْطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ و هذا لان الغالب على الآدميين صحة الحس و العقل ، فاذا أثبتوا شيئا و صدقوا به كان حقا .

و لهذا كان التواتر مقبولا من جميع أجناس بنى آدم ؛ لأنهم يخبرون عما شاهدوه و سمعوه ، و هذا أمر لا يشترك الخلق العظيم فى الغلط فيه ، و لافى تعمد الكذب فيه ، فاذا علم انهم لم يتواطؤوا عليه ، و لم يأخذ بعضهم عن بعض ، كما تؤخذ المذاهب والآراء التى يتلقاها المتأخر عن المتقدم ، و قد علم ان هذا مما لا يغلط فيه عادة علم قطعا صدقهم ، فان الخبر اما أن يتعمد الكذب ، و اما أن يغلط ، و كلاهما مأمون فى التواترات ، بخلاف ما نفوه و كذبوا به ، فان غالبهم او كثيرا منهم ينفون ما لا يعلمون ، و يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه .

فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة ، اذا سمعوه ما

أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسى قالوا : العرش هو الفلك التاسع ، و
الكرسى هو الثامن ، وقد تكلمنا على ذلك في «مسألة الاحاطة» و بينا جهل
من قال هذا عقلا و شرعا ، و اذا سمعهم يذكرون الملائكة ظن انهم العقول
والنفوس التى يثبتها المتفلسفة ، والقوى التى فى الاجسام ، و كذلك الجن
والشياطين يظن أنها اعراض قائمة بالنفوس ، حيث كان هذا مبلغه من العلم ، و
كذلك يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله من ان الفرائب فى هذا العالم سببها
قوة فلكية ، او طبيعية او نفسانية و يجعل معجزات الأنبياء من باب القوى
النفسانية ، و هى من جنس السحر ، لكن الساحر قصده الشر ، والنبي قصده
الخير ، و هذا كله من الجهل بالامور الكلية المحيطة بالموجودات و أنواعها ، و من
الجهل بما جاء به الرسول ، فلا يعرفون من العلوم الكلية و لالعلوم الالهية الا
ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون ، و زيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام ، او عن
أهل الملة .

فلهذا صار كلام المتأخرين كابن سينا وأمثاله فى الالهيات و الكليات أجود
من كلام سلفه ، و لهذا قربت فلسفة اليونان الى أهل الاتحاد المبتدعة من أهل
الملل ، لما فيها من شوب الملة ، و لهذا دخل فيها بنو عبيد الملاحدة ، فأخذوا
عن هؤلاء الفلاسفة الصابئة المشركين العقل والنفوس ، و عن المجوس النور
والظلمة ، و سموه هم السابق والتالى ، و كذلك الملاحدة المنتسبون الى التصوف و
التأله : كابن سبعين ، وأمثاله سلكوا مسلكا جمعوا فيه بزعمهم بين الشرع
والفلسفة ، و هم ملاحدة ليسوا من الثنتين و السبعين فرقة ، و قد بسط الكلام
على هؤلاء و هؤلاء فى غير هذا الموضع .

و انما ذكروا هنا لأن أهل الكلام المحدث صاروا — لعدم علمهم بما علمه
السلف و ائمة السنة من الكتاب والسنة و آثار الصحابة ، و لما وقعوا فيه من
الكلاميات الباطلة — يدخل بسببهم هؤلاء الفلاسفة فى الاسلام امورا باطلة ،
و يحصل بهم من الضلال و الغي مالا يتسع هذا الموضع لذكره .

و لما أحدثت الجهمية محنتهم ، و دعوا الناس اليها و ضرب أحمد بن حنبل
فى سنة عشرين و مائتين ، كان مبدأ حدوث القرامطة الملاحدة الباطنية من
ذلك الزمان ، فصارت البدع باب الاتحاد ، كما ان المعاصى بريد الكفر ، و
لبسط هذا موضع آخر .

و المقصود هنا : الكلام على لفظ التحيز والجهمة ، وهؤلاء المتكلمون المتفلسفة صار بينهم نزاع في الملائكة ، هل هي متحيزة أم لا ؟ فن مال الى الفلسفة ورأى ان الملائكة هي العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة ، وان تلك ليست متحيزة ، قال: ان الملائكة ليست متحيزة ، لاسيما وطائفة من الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس ، كما هو المشهور عن المشائين ، بل قال : لا دليل على نفى الزيادة ، و رأى النبوات قد أخبرت بكثرة الملائكة ، فأراد أن يثبت كثرتهم بطريقة فلسفية ، كما فعل ذلك ابو البركات صاحب «المعتبر» والرازي في «المطالب العالية» وغيرها .

و أما المتكلمون فانهم يقولون : ان كل ممكن او كل محدث ، أو كل مخلوق ، فهو إما متحيز ، و اما قائم بمتحيز ، و كثير منهم يقول : كل موجود اما متحيز ، و اما قائم بمتحيز ، و يقولون : لا يعقل موجود الا كذلك ، كما قاله طوائف من اهل الكلام و النظر ، ثم المتفلسفة كابن سينا واتباعه ، والشهرستاني والرازي وغيرهم ، لما ارادوا اثبات موجود ليس كذلك ، كان اكبر عمدتهم اثبات الكليات كالانسانية المشتركة ، والحيوانية المشتركة ، و اذا كانت هذه لا تكون كليات الا في الذهن ، فلم ينازعهم الناس في ذلك ، و انما نازعهم في اثبات موجود خارج الذهن قائم بنفسه ، لا يمكن الا حساس به بحال ، بل لا يكون الا معقولا .

و قالوا لهم : المعقول ما كان في العقل ، و اما ما كان موجودا قائما بنفسه فلا بد ان يمكن الاحساس به ، و ان لم نحس نحن به في الدنيا ، كما لا نحس بالجن والملائكة وغير ذلك ، فلا بد ان يحس به غيرنا كالملائكة والجن ، و ان يحس به بعد الموت ، او في الدار الآخرة ، او يحس به بعض الناس دون بعض في الدنيا ، كالانبياء الذين رأوا الملائكة ، و سمعوا كلامهم .

و هذه الطريقة — و هو ان كل قائم بنفسه يمكن رؤيته — هي التي سلكها

ائمة النظائر : كابن كلاب وغيره ، و سلكها ابن الزاغوني وغيره ، و اما من

(٣٥٤) ابو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر ، ابن الزاغوني . شيخ الحنابلة ، ذوالمنون ، صاحب التصانيف ، كان من مجور العلم . قال الذهبي : رأيت لابي الحسن مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مأخذ والله يغفر له ، فيآيته سكت !

انظر ترجمته في السير (٦٠٥/١٩ - ٦٠٧) الوافي (١١٢/١٢) شذرات (٨٠/٤ - ٨١) .

قال : ان كل موجود يجوز رؤيته أو يجوز ان يحس بسائر الحواس الخمس ، كما يقوله الاشعري و موافقوه كالقاضي ^(٣٥٥) ابى يعلى ، و ابى المعالى و غيرها ، فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء ، بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة ، بعد التصور التام كما بسط في موضعه .

و كذلك نزاعهم في روح الانسان التى تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون : هى عين قائمة بنفسها ، ليست عرضا من اعراض البدن كالحياة و غيرها ، و لاجزاء من اجزاء البدن كالهواء الخارج منه ، فان كثيرا من المتكلمين زعموا انها عرض قائم بالبدن ، او جزء من اجزاء البدن ، لكن هذا مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والخلف ، و لقول جماهير العقلاء من جميع الامم ، و مخالف للدلة العقلية .

و هذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من اهل الكلام . قال القاضي ابو بكر : اكثر المتكلمين على ان الروح عرض من الاعراض ، و بهذا تقول اذا لم يعن بالروح النفس ، فانه قال : الروح الكائن في الجسد ضربان :

احدهما : الحياة القائمة به ، والآخر النفس ، والنفس ريح ينبث به ، والمراد بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من اجزاء الهواء المتحلل من المسام ، و هذا قول الاسفرائينى و غيره .

(٣٥٥) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي ، ابن الفراء .
شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف المفيدة في المذهب ، كان ذا عبادة و تهجد و ملازمة للتصنيف مع الجلالة والمهابة . توفى سنة ٤٥٨ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) طبقات الحنابلة (١٩٣/٢ - ٢٣٠) الوافي (٧/٣ - ٨) السير (٨٩/١٨) . (٩١)

(٣٥٦) هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصرى ، ابن الباقلاني .
صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل بفهمه و ذكائه ، له اهتمام بعلم الكلام و الاصول ، صنف في الرد على الرافضة و المعتزلة و الخوارج و الكرامية ، و انتصر لمذهب الاشعري ، توفى سنة ٤٠٣ هـ .
ترجمته في تاريخ بغداد (٣٧٩/٥ - ٣٨٢) وفيات ابن خلكان (٢٦٩/٤ - ٢٧٠) الوافي (١٧٧/٣) السير (١٩٠/١٧) معجم المؤلفين (١٠٩/١٠) .

(٣٥٧) الاستاذ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرائينى .
من فقهاء الشافعية ، و كبار ائمة الاصول ، أحد المجتهدين في عصره ، و صاحب المصنفات الباهرة . توفى سنة ٤١٨ هـ .
انظر وفيات ابن خلكان (٢٨٨/١) الوافي (١٠٤/٦) طبقات السبكي (٢٥٦/٦ - ٢٦٢) السير (٣٥٣/١٧ - ٣٥٦) .

وقال ابن فورك : هو ما يجرى في تجاويف الاعضاء ، و ابو المعالى خالف هؤلاء و أحسن في مخالفتهم فقال : ان الروح اجسام لطيفة مشابكة للاجسام المحسوسة ، أجرى الله العادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابكتها لها ، فثابته فارقته تعقب الموت الحياة في استمرار العادة .

- و مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان و سائر سلف الامة و ائمة السنة :
٥ ان الروح عين قائمة بنفسها ، تفارق البدن ، و تنعم و تعذب ، ليست هى البدن ، و لا جزءاً من اجزائه ، كالنفس المذكور . و لما كان الامام احمد ممن نص على ذلك ، كما نص عليه غيره من الائمة لم يختلف أصحابه في ذلك ؛ لكن طائفة منهم كالقاضي ابى يعلى زعموا انها جسم ، و انها الهواء المتردد في مخاريق البدن ؛ موافقة لاحد المعنيين الذين ذكرهما ابن الباقلاني . و هذه الاقوال لما كانت من أضعف الاقوال تسلط بها عليهم خلق كثير .

والمقصود هنا ان الذين قالوا : انها عين قائمة بنفسها غير البدن و اجزائه و أعراضه تنازعوا : هل هى جسم متحيز ؟ على قولين ، كتنازعهم في الملائكة .

- فالمتكلمون منهم يقولون : جسم ، و المتفلسفة يقولون : جوهر عقلى ليس بجسم ، و قد أشرنا فيما تقدم الى أن ما تسميه المتفلسفة جواهر عقلية ، لا توجد
١٥ الا في الذهن ، و أصل تسميتهم المجردات و المفارقات هو مأخوذ من نفس الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت . و تتجرد عنه سموها مفارقة مجردة ثم أثبتوا ما أثبتوه من العقول و النفوس و سموها مفارقات و مجردات ، بناء على ذلك ، و هم يريدون بالمفارق للمادة ما لا يكون جسماً و لا قائماً بجسم ، لكن النفس متعلقة بالجسم تعلق التدبير و العقل ، و لا تعلق له بالاجسام أصلاً ، و لا ريب ان
٢٠ جواهر العقلاء على اثبات الفرق بين البدن و الروح التى تفارق ، و الجمهور يسمون ذلك روحاً ، و هذا جسماً ، لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين ، بل الجسم هو الجسد كما تقدم ، و هو الجسم الغليظ او غلظه ، و الروح ليست مثل البدن في الغلظ و الكثافة ، و لذلك لا تسمى جسماً ، فمن جعل الملائكة و الارواح و نحو ذلك ليست اجساماً بالمعنى اللغوى
٢٥ فقد أصاب في ذلك ، و رب العالمين اولى ان لا يكون جسماً ، فانه من المشهور في اللغة الفرق بين الارواح و الاجسام .

(واما اهل الاصطلاح) من المتكلمين و المتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم أعم من ذلك ، و هو ما أمكنت الاشارة الحسية اليه ، و ما قيل الله هنا وهناك ، و ما قبل الابعاد الثلاثة ، و نحوذلك .

و كذلك المتحيز في الاصطلاح هؤلاء هو الجسم ، و يدخل فيه الجوهر الفرد عند من اثبتته ، و قد تقدم معنى الجسم في اللغة ، و أما المتحيز فقد قال تعالى : **هُوَ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** (٢٥٨)

و قال الجوهري : الحوز : الجمع ، و كل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا ، و حيازة ، و احتازه ايضا ، و الحوز والحيز : السوق اللين ، و قد حاز الابل يحوزها و يحيزها ، و حوز الابل ساقها الى الماء .

و قال الاصمعي : اذا كانت الابل بعيدة المرعى عن الماء فأول ليلة توجهها الى الماء ليلة الحوز ، و تحوزت الحية و تحيزت : تلوت . يقال مالك تتحوز تحوز الحية ، و تتحيز تحيز الحية ، قال سيبويه هو تفعل من حزت الشيء قال القطامي : (٢٦٠)

١٥ **تَحَيَّزُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتِ الْأَفْقَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ**

يقول تتنحى عنى هذه العجوز و تتأخر خشية ان انزل عليها ضيفا . و الحيز ما انضم الى الدار من مرافقها ، و كل ناحية حيز ، و أصله من الواو . و الحيز تخفيف الحيز ، مثل حين و حين ، و لين و لين ، و الجمع أحياز ، و الحوزة الناحية ، و انحاز عنه : انعدل ، و انحاز القوم : تركوا مركزهم الى آخر ، يقال للاولياء انحازوا عن العدو ، و حاصوا ، و الاعداء انهزموا و ولوا مدبرين ، و تجاوز الفريقان في الحرب ، انحاز كل فريق عن الآخر .

(٢٥٨) سورة الانفال (١٦/٨) .

(٢٥٩) راجع اللسان «حوز» .

(٢٦٠) اسمه عمير بن شيم من بني تغلب . كان شاعر الغزل ، حسن التشبيب . راجع الشعر والشعراء (٤٨٣) و ورد فيه البيت و لكن الشطر الاول : فردت كلاما كارها ثم اعرضت و راجع اللسان «حوز» و فيه «تحوز عنى» .

فهذا المذكور عن اهل اللغة في هذا اللفظ و مادته يقتضى ان التحيز والانحياز والتحوز ونحو ذلك يتضمن عدولا من محل الى محل ، وهذا اخص من كونه يحوزه أمر موجود ، فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة الى جهة ؛ ولهذا يقولون : حزت المال ، وحزت الابل ، وذلك يتضمن نقله من جهة الى جهة ، فالشيء المستقر في موضعه كالجبل والشمس والقمر لا يسمونه متحيزا ، و اعم من هذا ان يراد بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود ، فيسمى كل ما احاط به غيره انه متحيز ، وعلى هذا فما بين السماء والارض متحيز ؛ بل ما في العالم متحيز إلا سطح العالم الذى لا يحيط به شيء ، فان ذلك ليس بمتحيز ، وكذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار ، فانه ليس في عالم آخر احاط به ، والمتكلمون يريدون بالمتحيز ما هو اعم من هذا ، والحيز عندهم اعم من المكان ، فالعالم كله في حيز ، وليس هو في مكان ، والمتحيز عندهم لا يعتبر فيه انه يحوزه غيره ، ولا يكون له حيز و جودى ، بل كلما اشير اليه و امتاز منه شيء عن شيء فهو متحيز عندهم .

ثم هم مختلفون بعد هذا في المتحيز : هل هو مركب من الجواهر المنفردة ؟ ! او من المادة والصورة ؟ او هو غير مركب لا من هذا ولا من هذا ؟ كما تقدم نزاعهم في الجسم ، فالجسم عندهم متحيز ، ولا يخرج عنه شيء الا الجوهر الفرد عند من اثبتته ، وهؤلاء يعتقد كثير منهم او اكثرهم ان كل متحيز فهو مركب اى يقبل الانقسام الى جزء لا يتجزأ بل يظن بعضهم ان هذا اجماع المسلمين ، و اكثرهم يقولون المتحيزات متماثلة في الحد والحقيقة ، ومن كان معنى المتحيز عنده هذا فعليه ان ينزه الله تعالى ان يكون متحيزا بهذا الاعتبار ، واذا قال : الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار ، او الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك جمهور العقلاء من المسلمين وغيرهم ؛ بل لا يعرف احد من سلف الامة و ائمتها يقول : ان الملائكة متحيزة بهذا الاعتبار ، ولا قالوا لفظا يدل على هذا المعنى ، وكذلك روح بنى آدم التى تفارقه بالموت لم يقل احد من السلف انها متحيزة بهذا الاعتبار ، ولا قال فيها لفظا يدل على هذا المعنى ، فاذا كان اثبات هذا التحيز للملائكة والروح بدعة في الشرع و باطلا في العقل ، فلأن يكون ذلك بدعة و باطلا في رب العالمين بطريق الاولى والاخرى .

و من هنا يتبين ان عامة ما يقوله المتفلسفة و هؤلاء المتكلمة في نفوس بني آدم و في الملائكة باطلة ، فكيف بما يقولونه في رب العالمين و لهذا توجد الكتب المصنفة التي يذكر فيها مقالات هؤلاء و هؤلاء في هذه المسائل الكبار في رب العالمين ، و في ملائكته ، و في ارواح بني آدم ، و في المعاد ، و في النبوات ليس فيها قول يطابق العقل و الشرع و لا يعرفون ما قاله السلف و الائمة في هذا الباب ، و لا ما دل عليه الكتاب و السنة .

فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة ، فانهم اذا انخوا النظر لم يصلوا الى علم ؛ لان ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتل على باطل من الجانبين ، و لهذا قال ابو عبد الله الرازي في آخر عمره :

«لقد تأملت الطرق الكلامية ، و المناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عيلا ، و لا تروى غليلا ، و رأيت اقرب الطرق طريقة القرآن (٣٦١) اقرأ في الاثبات :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ . (٣٦٢)

و اقرأ في النفي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ . (٣٦٣)

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (٣٦٤) و من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

و اما من اعتقد ان المتحيز هو ما باين غيره فانحاز عنه ، و ليس من شرطه ان يكون مركبا من الاجزاء المنفردة ، و لا انه يقبل التفريق و التقسيم ، فاذا قال ، ان الرب متحيز بهذا المعنى ، اى انه بائن عن مخلوقاته فقد اراد معنى صحيحا ؛ لكن اطلاق هذه العبارة بدعة ، و فيها تلبيس ، فان هذا الذي اراده ليس معنى المتحيز في اللغة ، و هو اصطلاح له و لطائفته ، و في المعنى المصطلح نزاع بين العقلاء ، فصار يحتمل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه ، و ليس للانسان ان يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد ، و يفهم ذلك الغير ذلك الفاسد من غير بيان مراده ؛ بل هؤلاء المتكلمون الذين ارادوا بالمتحيز ما كان مؤلفا من اجزاء لا تقبل القسمة ، و هو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل

(٣٦١) سورة فاطر (١٠/٣٥) .

(٣٦٢) سورة طه (٥/٢٠) .

(٣٦٣) سورة الشورى (١١/٤٢) .

(٣٦٤) سورة طه (١١٠/٢٠) .

يمكن او كل محدث او كل مخلوق فهو : اما متحيز ، واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء يخالفونهم في هذا التقسيم ، ولم يكن احد من ائمة المسلمين لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، ولا سائر ائمة المسلمين ، وموافقا لهم على هذا التقسيم ، فكيف اذا قال من قال منهم : كل موجود فهو اما متحيز ، واما قائم بمتحيز ، و اراد بالمتحيز ما اراده هؤلاء ، فان قوله حينئذ ٥ يكون ابعد عن الشرع والعقل من قول اولئك ، ولهذا طالبهم متأخروهم بالدليل على هذا الحصر ، وليس خطأ هؤلاء من جهة ما اثبتته المتفلسفة من الجواهر العقلية ، فان تلك قد علم بطلانها بصريح العقل ايضا .

و ما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من انها لا يشار اليها ولا توصف بحركة ولا سكون ، ولا صعود ولا نزول ، وليست داخل العالم ولا خارجة ، هو ايضا كلام ابطال من كلام اولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء ، ولا سيما من يقول منهم — كابن سينا و امثاله — انها لاتعرف شيئا من الامور الجزئية ، وانما تعرف الامور الكلية ؛ فان هذا مكابرة ظاهرة ، فانها تعرف بدنها ، وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه وتقصده ، و تامر به وتحبه وتكرهه ، الى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها وعملها ، فكيف ١٥ يقال انها لا تعرف الامور المعينة . وانما تعرف امورا كلية ؟!

و كذلك قولهم ان تعلقها بالبدن ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصريف ، كتدبير الملك لمملكته من افسد الكلام ، فان الملك يدبر أمر مملكته فيأمر وينهى ، ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته ان لم يتحركوا هم بارادتهم و قدرتهم ، والملك لا يلتذ بلذة أحدهم ، ولا يتألم بتألمه ، وليس كذلك الروح ٢٠ والبدن ، بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ، ولكن دخول الروح فيه ليس هو ممثلا لدخول شيء من الاجسام المشهودة ، فليس دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من المائعات في الاوعية ، فان هذه انما تلاقي السطح الداخلى من الاوعية ، لا بطونها ولا ظهورها . وانما ٢٥ يلاقى الاوعية منها اطرافها دون اوساطها ، وليس كذلك الروح والبدن ؛ بل الروح متعلقة بجميع اجزاء البدن باطنه وظاهره ، وكذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الآكل ، فان ذلك له مجار معروفة ، وهو

مستحيل . — الى غير ذلك من صفاته — و لا جريانها في البدن كجريان الدم ، فان الدم يكون في بعض البدن دون بعض .

ففي الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل شيء منه متعلقا بالآخر ؛ بخلاف الروح و البدن ، لكن هي مع هذا في البدن قد ولجت فيه ، و تخرج منه وقت الموت ، و تسل منه شيئا فشيئا فتخرج من البدن شيئا فشيئا لا تفارقه كما يفارق الملك مدينته التي يدبرها ، والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير عن حقيقتها ، و هذا تنبيه لهم على ان رب العالمين لم يعرفوا حقيقته ، و لاتصوروا كيفيته سبحانه و تعالى ، و ان ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله ، فان الروح التي هي بعض عبيده توصف بانها تخرج اذا نام الانسان ، و تسجد تحت العرش ، و هي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية ، و الانسان في نومه يحس بتصرفات روحه تصرفات تؤثر في بدنه ، فهذا الصعود الذي توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات ، فانها اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية ، و حركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى مكان ، و حركة الروح بعروجها و سجودها ليس كذلك .

فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله ﷺ بانه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، و انه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، و انه كلم موسى في الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ، و انه استوى الى السماء و هي دخان ، فقال لها و للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين : لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة ، حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان و شغل آخر ، فان نزول الروح و صعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين ؟! و كذلك الملائكة لهم صعود و نزول من هذا الجنس .

فلا يجوز نفى ما اثبته الله و رسوله من الاسماء و الصفات ، و لا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات ، لا سيما ما لا نشاهده من المخلوقات فان ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الاسماء و الصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها ، فكيف برب العالمين الذي هو ابعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق ؟! و كل مخلوق فهو اشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق ، سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

و هذا الذي نبهنا عليه مما يظهر به ان ما يذكره صاحب «المحصل» و أمثاله من تقسيم الموجودات على رأى المتفلسفة و المتكلمة كله تقسيم غير حاصر ، و كل من الفريقين مقصر عن سلفه . اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم المسلك الذى دل عليه الكتاب والسنة ، و كان عليه سلف الامة ، و كذلك هؤلاء المتفلسفة اتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين ، فان اولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم ، و كانوا يقولون : ان فوق هذا العالم عالما آخر يصفونه ببعض ما وصف النبي ﷺ به الجنة ، و كانوا يثبتون معاد الأبدان ، كما يوجد هذا فى كلام سقراط و تاليس و غيرهما من اساطين الفلاسفة ، و قد ذكروا ان اول من قال منهم بقدم العالم ارسطو .

☆☆☆

فصل

و هذه الالفاظ المحدثه المجله النافيه مثل لفظ «الركب» و «المؤلف» و «المنقسم» و نحو ذلك ، قد صار كل من اراد نفى شيء مما أثبتته الله لنفسه من الاسماء والصفات عبر بها عن مقصوده ، فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذى ورد به القرآن ، و هو اثبات أحديته و صمديته ، و يكون قد ادخل فى تلك الالفاظ ما رآه هو منفيا و عبر عنه بتلك العبارة وضعا له و اصطلاحا اصطلاح عليه هو و من وافقه على ذلك المذهب ، و ليس ذلك من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، و لا من لغة احد من الامم ، ثم يجعل ذلك المعنى هوسمى الاحد والصمد والواحد ، و نحو ذلك من الاسماء الموجودة فى الكتاب و السنة ، و يجعل ما نفاه من المعانى التى اثبتها الله و رسوله من تمام التوحيد .

و اسم «التوحيد» اسم معظم جاءت به الرسل . و نزلت به الكتب فاذا جعل تلك المعانى التى نفاه من التوحيد ، ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول ﷺ انه يقول بالتوحيد الذى جاءت به الرسل ، و يسمى طائفته الموحدين ، كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة و من وافقهم على نفى شيء من الصفات ، و يسمون ذلك توحيدا . و طائفتهم الموحدين و يسمون علمهم علم التوحيد ، كما تسمى المعتزلة و من وافقهم نفى القدر عدلا ، و يسمون انفسهم العدلية ، و اهل العدل .

و مثل هذه البدع كثير جدا يعبر بألفاظ الكتاب و السنة عن معان مخالفة لما اراده الله و رسوله بتلك الالفاظ ، و لا يكون أصحاب تلك الاقوال تلقوها ابتداء عن الله عزوجل ، و رسوله ﷺ ، بل عن شبه حصلت لهم ، و ائمة لهم ، و جعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب و السنة حجة لهم ، و عمدة لهم ، ليظهر بذلك انهم متابعون للرسول الله ﷺ لا مخالفون له ، و كثير منهم لا يعرفون ان ما ذكروه مخالف للرسول الله ﷺ ؛ بل يظن ان هذا المعنى الذى اراده هو المعنى الذى اراده الرسول ﷺ و اصحابه فلهذا يحتاج المسلمون الى شيئين :

أحدهما : معرفة ما اراد الله و رسوله ﷺ بالفاظ الكتاب و السنة ، بان يعرفوا لغة القرآن التى بها نزل ، و ما قاله الصحابة و التابعون لهم باحسان ، و سائر علماء المسلمين فى معانى تلك الالفاظ ، فان الرسول لما خاطبهم بالكتاب و السنة عرفهم ما اراد بتلك الالفاظ ، وكانت معرفة الصحابة لمعانى القرآن أكمل من حفظهم لحروفه ، و قد بلغوا تلك المعانى الى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ، فان المعانى العامة التى يحتاج اليها عموم المسلمين ، مثل معنى التوحيد ، و معنى الواحد ، والاحد ، والايمان ، والاسلام ، و نحو ذلك ، كان جميع الصحابة يعرفون ما احب الله و رسوله ﷺ من معرفته و لا يحفظ القرآن كله الا القليل منهم ، و ان كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم اهل التواتر ، و القرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد ، و واحد ، و من ذكر ان الحكم واحد ، و من ذكر انه لا اله الا الله ، و نحو ذلك .

فلا بد ان يكون الصحابة يعرفون ذلك ، فان معرفته اصل الدين و هو اول ما دعا الرسول ﷺ اليه الخلق ، و هو اول ما يقاتلهم عليه ، و هو اول ما امر رسله ان يأمروا الناس به ، و قد تواتر عنه انه اول ما دعا الخلق الى ان يقولوا لا اله الا الله ، و لما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال : «أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله و انى رسول الله » .

و فى الصحيحين^(٣٦٦) انه لما بعث معاذ الى اليمن قال له : «انك تاتى قوما

(٣٦٥) أخرجه البخارى و مسلم وأخرجه البيهقى فى شعب الايمان (رقم ٤) وانظر تخريجه فيه .

(٣٦٦) من حديث ابن عباس أخرجه البخارى فى الزكاة (١٢٥/٢ - ١٣٦) وفى المفازى (١٠٩/٥) وفى التوحيد (١٦٤/٨) و مسلم فى الايمان (٥٠/١) .

من اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاعلمهم ان الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فاعلمهم ان الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فتد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فايك و كرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب» .

فقال لمعاد : ليكن اول ما تدعوهم اليه التوحيد ، ومع هذا كانوا من اهل الكتاب ، كانوا يهودا ، فان اليهود كانوا كثيرين بأرض اليمن ، وهذا الذي امر به معاذ موافق لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْضَرُوا لَهُمْ لَهَا لَكُمْ فِيهِمْ مَرْصِدٌ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (٣٦٧) وفي الآية الاخرى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْهُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (٣٦٨)

وهذا مطابق لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٣٦٩)

وفي الصحيحين عنه (٣٧٠) ﷺ انه قال : «الايان بضع وستون ، او بضع و سبعون شعبة ، افضلها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان» .

(فالمقصود) ان معرفة ما جاء به الرسول و ما اراده بألفاظ القرآن و الحديث هو اصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ، ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها .

واخرجه ايضا ابو داود (٢٤٢/٢) والترمذي (٢١/٣) والنسائي (٥٥/٥) وابن ماجه (٥٦٨/١) رقم (١٧٨٣) والدارمي (ص ٣٧٩) واحمد (٢٣٣/١) .

(٣٦٧) سورة التوبة (٥/٩) .

(٣٦٨) سورة التوبة (١١/٩) .

(٣٦٩) سورة البينة (٥/٩٨) .

(٣٧٠) و اخرجه البيهقي في شعب الايمان (رقم ١) وانظر الكلام عليه و تخريجه هناك .

والالفاظ نوعان :نوع يوجد في كلام الله و رسوله ، ونوع لا يوجد في كلام الله و رسوله . فيعرف معنى الاول ، و يجعل ذلك المعنى هو الاصل ، و يعرف ما يعنيه الناس بالثاني ، و يرد الى الاول . هذا طريق اهل الهدى والسنة ، و طريق اهل الضلال والبدع بالعكس ، يجعلون الالفاظ التي احدثوها ومعانيها هي الاصل ، و يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعاً لهم ، فيردونها بالتأويل والتحريف الى معانيهم ، و يقولون : نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة ، يعنون انهم يعتقدون معنى بعقلهم و رأيهم ، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ، و لهذا قال الامام أحمد : أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس .

١٠ وقال : يحتنب المتكلم في الفقه هذين الاصلين المجمل والقياس ، و هذه الطريق يشترك فيها جميع اهل البدع الكبار والصغار ، فهي طريقة الجهمية والمعتزلة و من دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة .

و أما حذاق الفلاسفة فيقولون : ان المراد بخطاب الرسول ﷺ انما هو ان يخيل الى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم ، و ان لم يكن ذلك مطابقاً للحق ، قالوا : وليس مقصود الرسول ﷺ بيان الحق و تعريفه ، بل مقصوده ١٥ ان يخيل اليهم ما يعتقدونه . و يجعلون خاصة النبوة قوة التخيل . فهم يقولون : ان الرسول ﷺ لم يبين ، و لم يفهم ؛ بل و لم يقصد ذلك ، و هم متنازعون هل كان يعلم الامور على ما هي عليه ؟ على قولين :

٢٠ منهم من قال : كان يعلمها ؛ لكن ما كان يمكنه بيانها . و هؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف .

و منهم من يقول : بل ما كان يعرفها ، او ما كان حاذقاً في معرفتها ، و انما كان يعرف الامور العملية و هؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي ﷺ ؛ لان الامور العلمية أكمل من العملية ، ف هؤلاء يجعلون خبر الله و خبر الرسول ﷺ انما فيه التخيل ، و اولئك يقولون لم يقصد به التخيل ، ولكن قصد ٢٥ معنى يعرف بالتأويل ، و كثير من اهل الكلام الجهمية يوافق اولئك على انه ما كان يمكنه ان يبوح بالحق في باب التوحيد ، فخاطب الجمهور بما يخيل لهم ، كما

يقولون : انه لو قال : ان ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا يشار اليه ، ولا هو فوق العالم ، ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه ، وقالوا هذا لا يعرف ، قالوا فخاطبهم بالتجسيم ، حتى يثبت لهم ربا يعبدونه ، وان كان يعرف ان التجسيم باطل ، وهذا يقوله طوائف من اعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا ان مذهب النفاة هو الصحيح ، واحتاجوا ان يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ من الاثبات ، كما يوجد في كلام غير واحد .

وتارة يقولون : انما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ، ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ، و يجتهدوا في تأويل ألفاظه ، فتعظم أجورهم على ذلك ، وهو اجتهادهم في عقلياتهم ، وتاويلاتهم ، ولا يقولون انه قصد به افهام العامة الباطل ، كما يقول أولئك المتفلسفة . وهذا ، قول اكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ، ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل و أمثاله . و ابو حامد ، وابن رشد الحفيد و أمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الاول . و ابو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره ، و صنف «الجام العوام عن علم الكلام» ، محافظة على هذا الاصل ، لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم الا بابقاء الظواهر على ما هي عليه ، و إن كان هو يرى ما ذكره في كتبه «المضنون بها» ان النفي هو الثابت في نفس الامر .

فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى ، كما وصف الله به كتابه و نبيه حيث قال : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٣٧٢) .
وقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾^(٣٧٣) .
وقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣٧٤) .

(٣٧١) على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي ، الظمري .
شيخ الحنابلة ، العلامة ، المتكلم ، صاحب التصانيف ، قال الذهبي : كان بحر معارف ، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته ، و علق كتاب «الفنون» و هو ازيد من اربعمائة مجلد ، حشد فيه كل ما جرى له و رآه و سمعه . توفي سنة ٤١٣ هـ .
راجع طبقات الحنابلة (٢٥٩/٢) المنتظم (٢١٢/٩) لسان الميزان (٢٤٢/٤ - ٢٤٤) السير (٤٤٣/١٩ - ٤٥١) شذرات (٤٠ - ٣٥/٤) .

(٣٧٢) سورة البقرة (٢/٢) .

(٣٧٣) سورة آل عمران (١٣٨/٣) .

(٣٧٤) سورة يوسف (٢/١٢) .

وقال : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٣٧٥)
 وقال . ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ ﴾ ^(٣٧٦)
 وامثال ذلك .

وقال النبي ﷺ ^(٣٧٧) (تركتم على البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها
 بعدى الا هالك) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
 فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(٣٧٨)
 وقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
 وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٣٧٩)
 وقال : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا
 نَهْدِي بِهِ مَنِ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٣٨٠)
 وقال : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
 أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣٨١)

و ثم طائفة ثالثة كثرت في المتأخرين المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن
 ان الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما انزل عليه من القران كآيات الصفات ؛
 بل لازم قولهم ايضا انه كان يتكلم بأحاديث الصفات ، و لا يعرف معانيها .

و هؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين

(٣٧٥) سورة النور (٥٤/٢٤) والعنكبوت (١٨/٢٩) .

(٣٧٦) سورة ابراهيم (١٦/١٤) .

(٣٧٧) أخرجه احمد في مسنده (١٢٦/٤) وابن ماجة في المقدمة (١٦/١ رقم ٤٣) والحاكم في المستدرک (٩٦/١) و راجع
 الصحيحة للالباني (رقم ٩٣٧) .

(٣٧٨) سورة الانعام (١٥٤/٦) .

(٣٧٩) سورة المائدة (١٥/٥ - ١٦) .

(٣٨٠) سورة الشورى (٥٢/٤٢) .

(٣٨١) سورة الاعراف (١٥٧/٧) .

لهم باحسان ان الوقف التام عند قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢٨٢)
وافقوا السلف ، وأحسنوا في هذه الموافقة ؛ لكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو
معنى اللفظ و تفسيره ، او هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير
من متأخري أهل الفقه والاصول ، و هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى
الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، فهم قد سمعوا كلام هؤلاء و هؤلاء ، فصار
لفظ التأويل عندهم هذا معناه .

ولما سمعوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ظنوا ان لفظ
التأويل في القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل في كلام هؤلاء ، فلزم من ذلك
انه لا يعلم احد معنى النصوص الا الله ، لا جبريل و لا محمد و لا غيرها ؛ بل
كل من الرسولين على قولهم يتلوا أشرف ما في القرآن من الاخبار عن الله بأسمائه
وصفاته ، و هو لا يعرف معنى ذلك أصلا ، ثم كثير منهم يذمون و يبطلون
تاويلات اهل البدع من الجهمية والمعتزلة و غيرها ، و هذا جيد ؛ لكن قد
يقولون تجرى على ظواهرها ، و ما يعلم تأويلها الا الله ، فان عنوا بظواهرها ما
يظهر منها من المعاني ، كان هذا مناقضا لقولهم إن لها تأويلا يخالف ظاهرها لا
يعلمه الا الله ، و ان عنوا بظواهرها مجرد الألفاظ : كان معنى كلامهم انه يتكلم
بهذه الالفاظ ، و لها باطن يخالف ما ظهر منها ، و هو التأويل ، و ذلك لا
يعلمه الا الله .

و فيهم من يريد باجرائها على ظواهرها هذا المعنى ، و فيهم من يريد
الاول ، و عامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث ، و قد يريدون به الثاني ،
فانه أحيانا قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ، و تبين من هذا (انه) ليس من
التأويل الثالث ، فيأبون ذلك و يكرهون تدبر النصوص و النظر في معانيها
أعنى النصوص التي يقولون إنه لم يعلم تأويلها الا الله .

ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم ، فان كانوا من القدرية قالوا
النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا محكمة ، والنصوص المثبتة لكون الله تعالى
خالق أفعال العباد أو مريدا لكل ما وقع نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا

الله ، اذا كانوا ممن لا يتأولها ، فان عامة الطوائف منهم من يتأول ما يخالف قوله ، و منهم من لا يتأوله .

و ان كانوا من الصفاتية المثبتين للصفات إلى زعموا انهم يعلمونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخري الكلائية ، كأبي المعالي في آخر عمره ، و ابن عقيل في كثير من كلامه ، قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندهم بالعقل : هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله . و كثير منهم يكون له قولان و حالان : تارة يتأول و يوجب التأويل او يجوزها ، و تارة يجرمه ، كما يوجد لأبي المعالي و لابن عقيل و لأمثالهما من اختلاف الاقوال .

و من أثبت العلو بالعقل ، و جعله من الصفات العقلية : كأبي محمد ابن كلاب ، و أبي الحسن بن الزاغوني ، و من وافقه ، و كالقاضي أبي يعلى في آخر قوليه ، و أبي محمد ؛ أثبتوا العلو ، و جعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون لا يعلم معناها الا الله ، و ان كانوا ممن يرى أن الفوقية و العلو أيضا من الصفات الخبرية ، كقول القاضي أبي بكر ، و أكثر الاشعرية ، و قول القاضي أبي يعلى في اول قوليه ، و ابن عقيل في كثير من كلامه ، و أبي بكر البيهقي^(٢٨٢) ، و أبي المعالي و غيرهم و من سلك مسلك اولئك . و هذه الامور مبسطة في موضعها .

(والمقصود هنا) ان كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن ، يجعلون تلك النصوص من المتشابهة ، ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله : و ما يعلم تأويله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قالوا لا يعلم معناها الا الله ، فيلزم ان لا يكون محمد و جبريل و لا احد علم معاني تلك الآيات والاخبار ، وان رأوا أن الوقف على قوله : (والراسخون في العلم) . جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ، و يقولون إن الرسول ﷺ انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقولهم و أذهانهم . و يجتهدون في تخريج ألفاظه على اللغات العربية ، فيجتهدون في معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون

(٢٨٢) هو الامام العلامة ابو بكر احمد بن الحسين بن علي ، البيهقي .
شيخ الشافعية في عصره ، ترك مصنفات جيدة في الحديث ، و الفقه ، و الاصول ، و انتصر لمذهب الشافعي .
توفي سنة ٤٥٨ هـ .
ترجمته في وفيات ابن خلكان (٧٥/١) التذكرة (١١٣٢/٣) السير (١٦٣/١٨ - ١٧٠) الوافي (٣٥٤/٦) طبقات الشافعية (٢/٣) .

بها من التأويل ، وهذا ان قالوا انه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا في نفس الأمر . وان قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل ، قالوا : لم يقصد بهذه الألفاظ الا ما يفهمه العامة والجمهور ، وهو باطل في نفس الأمر ، لكن اراد أن يخيل لهم ما ينتفعون به ، ولم يمكنه ان يعرفهم الحق ، فانهم كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه ، وأمامن قال من الباطنية الملاحدة وفلاسفتهم بالتأويل ، فانه يتأول كل شيء مما أخبرت به الرسل ، من أمر الايمان بالله واليوم الآخر ثم يؤولون العبارات كما هو معروف من تأويلات القرامطة الباطنية .

و ابو حامد في « الاحياء »^(٢٨٤) ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة وقال انهم أسرفوا في التأويل ، وأسرفت الحنابلة في الجهود ، وذكر عن احمد بن حنبل كلاما لم يقله أحد ، فانه لم يكن يعرف ما قاله أحد ، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ، ولا ما جاء به القرآن والحديث ، وقد سمع مضافا الى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ، ومن غيرهم من المالكية والشافعية ، وغيرهم في الحرف والصوت ، وبعض الصفات : مثل قولهم : إن الاصوات المسموعة من القراءة قديمة أزلية ، وإن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا ويخلو منه العرش ، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه ، وبعضها تحته ، الى غير ذلك من المنكرات . فانه مامن طائفة الا وفي بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها الفساد ، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ، ويشنع بها عليهم ، وان كان اكثرهم ينكرها ويدفعها ، كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعي ، فان جماهير هذه الطوائف ينكرها ، وأحمد وجمهور أصحابه منكرون لها .

و كلامهم في انكارها و ردها كثيرا جدا ، لكن يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الاثبات اكثر مما يوجد في أهل الكلام ، و يوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي اكثر مما يوجد في أهل الحديث ؛ لأن الحديث انما جاء باثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي

(٢٨٤) انظر كتاب «قواعد العقائد» من احياء العلوم الدين (٨٩/١ - ١٢٣) و بخاصة الفصل الثاني و الفصل الثالث .

نفرد به أهل الكلام ، والكلام المأخوذ عن الجهمية و المعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث ؛ بل والعقل الصريح أيضا ؛ لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي ، وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام ، و زادوا في الاثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم ، لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف اكثر .

- والمنتسبون الى السنة من الحنابلة وغيرهم ، الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين ، يتمسكون بما يجدونه في كلام الأئمة في التشابهة مثل قول احمد في رواية حنبل : « و لا كيف و لا معنى » . ظنوا أن مراده انا لا نعرف معناها . و كلام احمد صريح بخلاف هذا في غير موضع ، و قد بين انه انما ينكر تأويلات الجهمية و نحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله ، و صنف كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن و تأويلته على غير تأويله» فانكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله و رسوله ، و هم اذا تأولوه يقولون : معنى هذه الآية كذا ، والمكيفون يثبتون كيفيته . يقولون : انهم علموا كيفية ما أخبر به من صفات الرب . فنفي أحمد قول هؤلاء ، و قول هؤلاء : قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية ، و قول المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، و يقولون معناه كذا و كذا .

- و قد كتبت كلام أحمد بالفاظه — كما ذكره الخلال في كتاب السنة ، و كما ذكره من نقل كلام أحمد باسناده في الكتب المصنفة في ذلك — في غير هذا الموضع . و بين أن لفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن ، كقوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾^(٢٨٥)

(٢٨٥) ابو بكر احمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي ، الخلال .
شيخ الحنابلة ، جمع علوم احمد و تطلّبا ، و سافر لأجلها و كتبها و صنّفها كتباً . توفي ٣١١ هـ .
راجع تاريخ بغداد (١١٢/٥ - ١١٣) طبقات الحنابلة (١٢/٢ - ١٥) السير (٢٩٧/١٤) الوافي (٩٩/٨) التذكرة . (٧٨٥/٣)

(٢٨٦) سورة الاعراف (٥٢/٧) .

و عن ابن عباس في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ تصديق ما وعد في القرآن . (٣٨٧)

و عن قتادة : تأويله : ثوابه . (٣٨٨)

و عن مجاهد : جزاءه . (٣٨٩)

و عن السدي : عاقبته . (٣٩٠)

و عن ابن زيد : حقيقته . قال بعضهم تأويله ما يؤول إليه أمرهم من العذاب و ورود النار . (٣٩١)

و قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ قال بعضهم تصديق ما وعدوا به من الوعيد : والتأويل ما يؤول إليه الأمر ، و عن الضحاك يعنى عاقبة ما وعد الله في القرآن انه كائن من الوعيد ، والتأويل ما يؤول إليه الأمر . (٣٩٢)

و قال الثعلبي : تفسيره . و ليس بشيء . و قال الزجاج : لم يكن معهم علم تأويله . و قال يوسف الصديق عليه السلام : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ فجعل نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه . (٣٩٣)

و قال قبل هذا ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا فِي تَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ (٣٩٤)

أى قبل أن يأتكما التأويل . و المعنى لا يأتكما طعام ترزقانه في المنام لما قال أحدهما : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا ﴾ . ﴿ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا فِي تَأْوِيلِهِ ﴾ في اليقظة ﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ الطعام . هذا قول اكثر المفسرين ، وهو الصواب . (٣٩٥)

(٣٨٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٢١٠/٣) . (٣٨٨) اخرجه الطبري (٢٠٢/٨) .

(٣٨٩) اخرجه الطبري (٢٠٢/٨) . (٣٩٠) اخرجه الطبري (٢٠٤/٨) .

(٣٩١) اخرجه الطبري . (٣٩٢) سورة يونس (٣٩/١٠) .

(٣٩٣) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٢/٤) . (٣٩٤) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٣٩٥) سورة يوسف (٣٧/١٢) . (٣٩٦) سورة يوسف (١١/١٢) .

(٣٩٧) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٢٤/٤) والقرطبي (١٩١/٩) .

وقال بعضهم لا ياتيكما طعام ترزقانه تطعمانه . و تاكلانه ، إلا نباتكما بتأويله بتفسيره ، و ألوانه ، أى طعام أكلتم ، و كم أكلتم ، و متى أكلتم ؟ فقالوا : هذا فعل العرافين والكهنة . فقال ما انا بكاهن ، و انما ذلك العلم مما يعلمنى ربى ، و هذا القول ليس بشيء فانه قال : ﴿ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ و قد قال أحدهما : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أُغَصِرُ خَمْرًا وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ .

فطلبنا منه تأويل ما رآياه ، و أخبرهما بتأويل ذلك ، و لم يكن تأويل الطعام فى اليقظة ، و لا فى القرآن انه أخبرهما بما يرزقانه فى اليقظة ، فكيف يقول قولاً عاماً : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ و هذا الاخبار العام لا يقدر عليه الا الله ، و الأنبياء يخبرون ببعض ذلك . لا يخبرون بكل هذا .

و أيضاً فصفة الطعام و قدره ليس تأويلاً له .

و أيضاً فالله انما أخبر أنه علمه تأويل الرؤيا ، قال يعقوب عليه السلام : ﴿ وَ كَذَٰلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِّنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾^(٣٩٨) .

و قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِمَّا تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾^(٣٩٩) .

و قال : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤٠٠) .

و لما رأى الملك الرؤيا قال له الذى اذكر بعد أمة : ﴿ أَنَا أَنَبْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾^(٤٠١) .

و الملك قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبِرُونَ ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾^(٤٠٢) . فهذا لفظ التأويل فى مواضع متعددة كلها بمعنى واحد .

و قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(٤٠٣) .

(٣٩٨) سورة يوسف (٦/١٢) .

(٣٩٩) سورة يوسف (١٠١/١٢) .

(٤٠٠) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٤٠١) سورة يوسف (٤٤ - ٤٣/١٢) .

(٤٠٢) سورة يوسف (٤٤ - ٤٣/١٢) .

(٤٠٣) سورة النساء (٥٩/٤) .

قال مجاهد^(٤٠٤) وقَتادة : جزاء و ثوابا ، وقال السدى وابن زيد وابن قتيبة والزجاج : عاقبة . وعن ابن زيد أيضا : تصديقا . كقوله : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُويَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ وكل هذه الأقوال صحيحة . والمعنى واحد ، وهذا تفسير السلف أجمعين .

ومنه قوله : ﴿ مَا نَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^(٤٠٥) فلما ذكر له ما ذكر قال : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^(٤٠٦) وهذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤول إليه ما فعلته ، من مصلحة أهل السفينة ، ومصلحة أبوى الغلام ومصلحة أهل الجدار .

وأما قول بعضهم : ردكم الى الله والرسول أحسن من تأويلكم ، فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم ، وهذا من جنس ما ذكر في تلك الآية في لفظ التاويل ، وهو تفسير له بالاصطلاح الحادث ، لا بلفظ القرآن ، فأما قدماء المفسرين فلفظ التاويل والتفسير عندهم سواء^(٤٠٧) ، كما يقول ابن جرير : القول في تأويل هذه الآية . أى في تفسيرها .

ولما كان هذا معنى التاويل عند مجاهد ، وهو امام التفسير جعل الوقف على قوله : (والراسخون في العلم) . فان الراسخين في العلم يعلمون تفسيره ، وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة . وكان ابن قتيبة يميل الى مذهب احمد واسحاق ، وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في « المشكل » وغيره .

وأما متأخروا المفسرين كالثعلبي فيفرقون^(٤٠٨) بين التفسير والتأويل . قال : فعنى التفسير هو التنوير ، وكشف المغلق من المراد بلفظه ، والتأويل : صرف

(٤٠٤) راجع هذه الأقوال في تفسير الطبرى (١٥١/٥ - ١٥٢) والدر المنثور (٥٧٩/٢) وتفسير ابن الجوزى (١١٧/٢) . (١١٨)

(٤٠٥) سورة الكهف (٧٨/١٨) .

(٤٠٦) سورة الكهف (٨٢/١٨) .

(٤٠٧) راجع التفسير والمفسرون (١٩/١ - ٢٢) للفرق بين معانى التفسير والتاويل . وانظر الاتقان (١٧٣/٢) .

(٤٠٨) نقله البغوى وعنه اخذ الخازن في تفسيره (١٤/١) .

الآية الى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها ، و تكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه ، الا أن التاويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر ، وأبو الفرج ابن الجوزي يقول : اختلف العلماء هل التفسير والتاويل بمعنى واحد ؟ أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون الى العريضة : الى انها بمعنى ، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين ،

و ذهب قوم يميلون الى الفقه : الى اختلافها ، فقالوا : التفسير اخراج الشيء عن مقام الخفاء الى مقام التجلي ، والتاويل : نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ، فهو ماخوذ من قولك آل الشيء الى كذا : أى صار إليه ^(٤٠٩) .

فهؤلاء لا يذكرون للتاويل الا المعنى الاول ، والثاني ، وأما التاويل في لغة القرآن فلا يذكرونه ، وقد عرف ان التاويل في القرآن هو الموجود الذى يؤول اليه الكلام ، وان كان ذلك موافقا للمعنى الذى يظهر من اللفظ ، بل لا يعرف في القرآن لفظ التاويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ ، خلاف اصطلاح المتأخرين .

والكلام نوعان : انشاء ، و اخبار . فالانشاء الأمر والنهى والاباحة ، و تاويل الامر والنهى نفس فعل المأمور ، و نفس ترك المحذور . كما فى الصحيح ^(٤١٠) عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه و سجوده سبحانك اللهم ربنا و بحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن » . فكان هذا الكلام تأويل قوله : ﴿ قَسَبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ ﴾ ^(٤١١) . قال ابن عيينة ^(٤١٢) : السنة تأويل الأمر والنهى .

(٤٠٩) الى هنا ينتهى قول ابن الجوزي فى تفسيره (٤/١) .

(٤١٠) راجع البخارى فى الاذان (١٩٩/١) و فى التفسير (٩٣/٦) و مسلم فى الصلوة (٣٥١/١) و أخرجه ايضا ابو داود (٥٤٦/١) و النسائى (٢١٩/٣ - ٢٢٠) وابن ماجة (٢٨٧/١) رقم ٨٨٩ و احمد (٤٣/٦ ، ٤٩ ، ١٩٠) .

(٤١١) سورة النصر (٣/١١٠) .

(٤١٢) هو الامام ابو محمد سفيان بن عيينة ، الهلالى ، الكوفى . من ائمة الحديث ، انتهى اليه علو الاسناد ، و رحل اليه من البلاد . و هو قرين الامام مالك . قال الشافعى : لولا مالك و سفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز . توفى سنة ١٩٨ هـ . انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٤٩٧/٥) الحلية (٢٧٠/٧) وفيات ابن خلكان (٣٩١/٢) تاريخ بغداد (١٧٤/٩) التذكرة (٦٢/١) طبقات الداودى (١٩٦/١) البير (٤٥٤/٨ - ٤٧٤) .

وقال ابو عبيدة لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نهى النبي ﷺ عن اشتغال الصماء قال^(٤١٤) : والفقهاء أعلم بالتأويل . يقول : هم أعلم بتأويل ما أمر الله به ، وما نهى عنه ، فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها .

وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج ؛ بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه . فالتفسير من جنس الكلام : يفسر الكلام بكلام يوضحه . وأما التأويل فهو فعل المأمور به ، وترك المنهى عنه ، ليس هو من جنس الكلام .

والنوع الثاني : الخبر كإخبار الرب عن نفسه تعالى باسمائه وصفاته ، وإخباره عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد ، وهذا هو التأويل المذكور في قوله : ﴿ وَ لَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾^(٤١٥) . وهذا كقولهم : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

ومثله قوله : ﴿ إِنطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾^(٤١٦) . وقوله : ﴿ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾^(٤١٧) ونظائره متعددة في القرآن . وكذلك قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَغْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٤١٨) .
فإن ما وعدوا به في القرآن لما يأتيهم بعد ، وسوف يأتيهم .

(٤١٣) ابو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله .

الامام الحافظ اللغوي ، ذوالفنون ، و مصنف التصانيف المفيدة . كان حسن الرواية ، صحيح النقل . اثنى عليه كثير من العلماء . توفي سنة ٢٢٤ هـ .

راجع طبقات ابن سعد (٣٥٥/٧) تاريخ بغداد (٤٠٣/١٢ - ٤١٩) معجم ياقوت (٢٥٤/١٦ - ٢٦١) انباه الرواة (١٢/٣ - ٢٣) وفيات ابن خلكان (٦٠/٤ - ٦٣) السير (٤٩٠/١٠ - ٥٠٨) طبقات الداودي (٣٧/٢ - ٤٣) .

(٤١٤) راجع عريب الحديث (١١٨/٢) . (٤١٥) سورة الاعراف (٥٢/٧ - ٥٣) .

(٤١٦) سورة يس (٥٢/٣٦) . (٤١٧) سورة المرسلات (٣٩/٧٧) .

(٤١٨) سورة الملك (٢٥/٦٨ - ٢٧) . (٤١٩) سورة يونس (٣٨/١٠ - ٣٩) .

فالتفسير هو الاحاطة بعلمه ، والتأويل هو نفس ما وعدوا به اذا أتمام ، فهم كذبوا بالقرآن الذى لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ؛ وقد يحيط الناس بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، فالرسول ﷺ يحيط بعلم ما أنزل الله عليه ، وان كان تأويله لم يأت بعد ، وفي الحديث عن النبي ﷺ لما نزل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الآية (٤٢٠) قال : انها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد (٤٢١)

قال تعالى ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴿ (٤٢٢) قال بعضهم : موضع قرار وحقيقة ومنتهى ينتهى اليه ، فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه .

وقال مقاتل : لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه ، من غير خلف ولا تاخير .

وقال ابن السائب (٤٢٣) : لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه ، وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم ، وسوف تعلمون .

وقال الحسن : لكل عمل جزاء ، فمن عمل عملا من الخير جوزى به في الجنة ، ومن عمل عمل سوء جوزى به النار ، وسوف تعلمون . ومعنى قول الحسن : أن الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد ، فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذى له المستقر ، فبين المعنى ، ولم يرد ان نفس الجزاء هو نفس النبأ .

وعن السدى قال : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ أى ميعاد ، وعدتكوه ، فسياتيكم حتى تعرفونه .

وعن عطاء : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه ، فاذا عمل

(٤٢٠) سورة الانعام (٦٥/٦)

(٤٢١) أخرجه احمد (١٧١/١) والترمذى (٢٦٢/٥) وقال : حسن غريب .

(٤٢٢) سورة الانعام (٦٦/٦ - ٦٧) .

(٤٢٣) أخرج الطبري بنحوه عن مجاهد (٢٢٧/٧) .

وقال الطبري : وكان الحسن يتأول في ذلك انه الفتنة التي كانت بين اصحاب رسول الله ﷺ وراجع الدرر المنثور (٢٩١/٣) .

ذنبه عاقبه ، أى لا يعاقب بالوعيد ، حتى يفعل الذنب الذى توعدده عليه ،
ومنه قول كثير من السلف فى آيات : هذه ذهب تأويلها ، وهذه لم يأت
تأويلها ، مثل ما روى^(٤٢٤) أبو الاشهب عن الحسن والربيع عن ابي العالية أن هذه
الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾
الآية .

فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فاذا ردت عليكم
فعليكم أنفسكم ، ثم قال : ان القرآن نزل حيث نزل ، فمنه أى قد مضى تأويلهن
قبل أن ينزلن . ومنه أى وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ ، ومنه أى وقع
تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير ، ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه أى يقع
تأويلهن فى آخر الزمان ، ومنه أى يقع تأويلهن يوم القيامة ؛ ما ذكر من
الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيئا ، ولم
يذق بعضكم بأس بعض ، فأمرُوا وانهاؤا ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم
شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه
الآية .

فابن مسعود رضى الله عنه — قد ذكر فى هذا الكلام تأويل الأمر ،
وتأويل الخبر ، فهذه الآية ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ من باب الامر ، وما ذكر
من الحساب والقيامة من باب الخبر ، وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود الخبر
به ، وتأويل الامر هو فعل المأمور به فالآية التى مضى تأويلها قبل نزولها هى
من باب الخبر : يقع الشيء فيذكره الله ، كما ذكر ما ذكره من قول المشركين
لِلرَّسُولِ وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ ، وهى وإن مضى تأويلها فهى عبرة ومعناها ثابتة فى
نظيرها ، ومن هذا قول ابن مسعود : خمس قد مضين ، ومنه قوله تعالى :
﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٤٢٥) .

واذا تبين ذلك ؛ فالمتشابه من الامر لا بد من معرفة تأويله ؛ لأنه لا بد
من فعل المأمور ، وترك المحذور ، وذلك لا يمكن إلا بعد العلم ؛ لكن ليس فى
القرآن ما يقتضى أن فى الامر متشابها ، فان قوله : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مَتَشَابِهَاتٍ ﴾^(٤٢٦)

(٤٢٤) راجع تفسير الطبرى (٩٤/٧ - ٩٦) والدر المنثور (٢١٦/٣) .

(٤٢٥) سورة القمر (١/٥٤) .

(٤٢٦) سورة آل عمران (٧/٣) .

قد يراد به من الخبر ، فالمتشابه من الخبر مثل ما أخبر به في الجنة من اللحم واللبن والعسل والماء والحرير والذهب ، فان بين هذا وبين ما في الدنيا تشابها في اللفظ والمعنى ، ومع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا ، وتلك الحقيقة لا نعلمها نحن في الدنيا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤٢٧) .

وفي الحديث الصحيح^(٤٢٨) يقول الله تعالى : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

فهذا الذي وعد الله به عباده المؤمنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، وكذلك وقت الساعة لا يعلمه إلا الله واشراطها ، وكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراف والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته إلا الله ، فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة ، ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به ، فهو من تأويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله .

وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك ، فان كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله ، كما قال ربيعه بن أبي عبد الرحمن ، ومالك بن انس . وسائر أهل العلم : ﴿ تَلَقَّوْا هَذَا الْكَلَامَ عَنْهَا بِالْقَبُولِ لِمَا قِيلَ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ﴾ كيف استوى ؟ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . هذا لفظ مالك . فأخبر أن الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ ، وأخبر أن الكيف مجهول ، وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها .

(٤٢٧) سورة الم سجد (١٧/٣٢) .

(٤٢٨) رواه البخاري ومسلم . وهو في شعب الايمان للبيهقي . وانظر تخريجه فيه .

(٤٢٩) ربيعه بن أبي عبد الرحمن ، المعروف بريبعة الراي . وفق المدينة ، وعالم الوقت ، من صفار التابعين ، وائمة الاجتهاد ، عنه اخذ مالك بن انس . توفي سنة ١٣٦ هـ .

راجع تاريخ بغداد (٤٢٠/٨) وفيات ابن خلكان (٢٨٨/٢ - ٢٩٠) السير (٩٨/٦ - ٩٦) التذكرة (١٥٧/١) .

(٤٣٠) سورة طه (٥/٢٠) وقول مالك نقله الذهبي بسنده في السير (١٠٠/٨) في ترجمته الامام المبسوطه (٤٨/٨) - (١٣٥) وذكره ايضا ابو نعيم في الحلية (٣٢٥/٦ - ٣٢٦) .

وكذلك سائر السلف كابن الماجشون^(٤٣١) ؛ واحد بن حنبل ، وغيرها يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، فالكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله . وأما نفس المعنى الذي بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه ، فانهم يفهمون معنى السمع ، ومعنى البصر ، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا ، ويعرفون الفرق بينهما ، وبين العليم والقدير ، وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره ، بل الروح التي فيهم يعرفونها من حيث الجملة ، ولا يعرفون كيفيتها ، كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش ، وأنه يتضمن علو الرب على عرشه ، وارتفاعه عليه ، كما فسر به السلف قبلهم ، وهذا معنى معروف من اللفظ لا يحتمل في اللغة غيره ، كما قد بسط في موضعه ؛ ولهذا قال مالك : الاستواء معلوم .

ومن قال : الاستواء له معان متعددة فقد أجل كلامه ، فانهم يقولون : استوى فقط . ولا يصلونه بحرف ، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا وله معنى ، واستوى إلى كذا ، وله معنى ، واستوى مع كذا وله معنى ، فتتنوع معانيه بحسب صلاته . وأما استوى على كذا فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد .

قال تعالى : ﴿ فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾^(٤٣٢)
وقال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ﴾^(٤٣٣)
وقال : ﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(٤٣٤)

وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْقُلُوبِ ﴾^(٤٣٥)

(٤٣١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون ، المدني .
تلميذ الإمام مالك ، كان مفتي أهل المدينة في زمانه ، لم يكن من فرسان الحديث . توفي سنة ٢١٣ هـ .
ترجمته في طبقات ابن سعد (٤٤٢/٥) وفيات ابن خلكان (١٦٦/٣) ميزان الاعتدال (٦٥٨/٢) السير (٣٥٩/١٠) .

(٤٣٢) سورة الفتح (٢٩/٤٨) .

(٤٣٣) سورة هود (٤٤/١١) .

(٤٣٤) سورة الزخرف (١٣/٤٣) .

(٤٣٥) سورة المؤمنون (٢٨/٢٣) .

وقد اتى النبي ﷺ بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال : « بسم الله »
فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله » .
وقال ابن عمر^(٤٣٧) : أهل رسول الله ﷺ بالحج لما استوى على بعيره .

وهذا المعنى يتضمن شيئين : علوه على ما استوى عليه ، واعتداله أيضا . فلا
يسمون المائل على الشيء مستويا عليه ، ومنه حديث الخليل بن أحمد^(٤٣٨) لما قال :
استروا . وقوله :
استوى بشر على العراق من غير سيف او دم مهراق

هو من هذا الباب ؛ فان المراد به بشر بن مروان ، واستواؤه عليها أى على
كرسى ملكها ، لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء ، بل استواء منه عليها ؛ اذ لو كان
كذلك لكان عبد الملك الذى هو الخليفة قد استوى ايضا على العراق ، وعلى
سائر مملكة الاسلام ، وكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان
والشام ومصر ، وسائر ما فتحه ، وكان رسول الله ﷺ قد استوى على اليمن
وغيرها مما فتحه . ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من
هذا ، وانما قيل فين استوى بنفسه على بلد ؛ فانه مستو على سرير ملكه ، كما
يقال جلس فلان على السرير ، وقعد على التخت . ومنه قوله : ﴿ وَرَفَعَ
أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾^(٤٤٠)
وقوله : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤٤١)

(٤٣٦) أخرجه الترمذى في الدعوات (٥٠١/٥) و ابوداود في الجهاد (٧٧/٣) والنسائى في عمل اليوم والليلة (٥٠٢) عن
على بن أبى طالب .

(٤٣٧) الرواية في الصحيحين وفي غيرهما ، ولكن عندهما بلفظ «استوت به راحلته» .

(٤٣٨) الخليل بن احمد الفراهيدى ، ابو عبد الرحمن .
امام النحو ، صاحب المعريية ، ومنشئ علم العروض ، كان راسا في لسان العرب ورعا ، متواضعا كبير
الشان . مات في سنة بضع وستين .
راجع معجم ياقوت (٧٢/١١ - ٧٧) انباء الرواة (٣٤١/١ - ٣٤٧) وفيات ابن خلكان (٢٤٤/٢ - ٢٤٨) السير
(٤٢٩/٧) .

(٤٣٩) اخو عبد الملك بن مروان - ولى له العراقيين بعد مقتل مصعب ، توفى سنة ٧٥ هـ .

(٤٤٠) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٤٤١) سورة النمل (٢٣/٢٧) .

(٤٤٢) وقول الزمخشري وغيره : « استوى على كذا بمعنى ملك » دعوى مجردة . فليس لها شاهد في كلام العرب ، ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلا في استواء الله على العرش ؛ لأنه أخبر أنه خلق السموات والارض في ستة ايام ، ثم استوى على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات والارض ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه ، فكيف يكون الاستواء عليه مؤخرا عن خلق السموات والارض ؟ ! .

وأيا فهو مالك لكل شيء مستول عليه ، فلا يخص العرش بالاستواء وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤٤٣) فإنه قد يخص لعظمته ، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش ، ورب كل شيء ، وأما الاستواء فمختص بالعرش ، فلا يقال استوى على العرش وعلى كل شيء ، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ، ولا يوجد في كتاب ولا سنة ، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة ، وفي كل شيء عامة ، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التي تخص ، وتعم . كقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾^(٤٤٤) . فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش ، لا تضاف الى غيره ، لا خصوصا ولا عموما ، وهذا مبسوط في موضع آخر .

وانما الغرض بيان صواب كلام السلف في قولهم : الاستواء معلوم ، بخلاف من جعل هذا اللفظ له بضعة عشر معنى . كما ذكر ذلك ابن عربي المعافري^(٤٤٥) .

(٤٤٢) ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوازمي ، الملقب بجار الله ، الزمخشري . من كبار علماء المعتزلة ، نبغ في اللغة والنحو ، والتفسير ، وصنف تصانيف بدیعة . تفسيره «الكشاف» من أم التفاسير ، وان كان مال فيه الى الانتصار لمذهبه الاعتزالي ، والمجوم على اهل السنة . توفي سنة ٥٣٨ هـ . انظر تفسير والمفسرون (٤٢٩/١ - ٤٨٢) طبقات الداودي (٣١٤/٢ - ٣١٧) معجم ياقوت (١٢٦/١٩ - ١٣٥) انباء الرواة (٢٦٥/٣ - ٢٧٢) وفيات ابن خلکان (١٦٨/٥ - ١٧٤) السير (١٥١/٢٠ - ١٥٦) .

(٤٤٣) سورة يونس (١٢٩/١٠) . (٤٤٤) سورة العلق (١/٩٦ - ٢) .

(٤٤٥) هو القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن احمد ، المعافري ، الاندلسي ، الاشبيلي ، المالكي . العلامة ، أحد كبار فقهاء المذهب المالكي ، صاحب التصانيف . رحل الى الشرق ثم رجع الى الاندلس ، و توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

من أم كتبه «احكام القرآن» . ترجمته في الصلة لابن بشكوال (٥٩٠/٢) وفيات ابن خلکان (٢٩٦/٤) الوافي (٣٣٠/٣) الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٢/٢ - ٢٥٦) السير (١٩٧/٢٠ - ٢٠٣) و راجع التفسير والمفسرون (٤٤٨/٢ - ٤٥٦) طبقات الداودي (١٦٧/٢ - ١٧٠) .

يبين هذا أن سبب نزول هذه الآية^(٤٤٦) كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي ﷺ في أمر المسيح ، كما ذكر ذلك أهل التفسير ، وأهل السيرة ، وهو من المشهور ، بل من المتواتر أن نصارى نجران قدموا على النبي ﷺ ودعاهم إلى المباهلة المذكورة في سورة آل عمران ، فاقروا بالجزية ولم يباهلوه ، وصدر آل عمران نزل بسبب ما جرى ، ولهذا عامتها في أمر المسيح ، وذكروا أنهم احتجوا بما في القرآن من لفظ ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ونحو ذلك على أن الآلهة ثلاثة فاتبعوا التشابه وتركوا الحكم الذى فى القرآن من أن الاله واحد ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ وابتغاء تأويله ﴿فَانْهَم قَصَدُوا بِذَلِكَ الْفِتْنَةَ﴾ وهى فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تأويل لفظ ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُ﴾ هذه الاسماء ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ لأن هذه الاسماء انما تقال للواحد الذى له أعوان إما أن يكونوا شركاء له ، وإما أن يكونوا ممالك له . ولهذا صارت متشابهة ، فان الذى معه شركاء يقول : فعلنا نحن كذا ، وانا نفعل نحن كذا ، وهذا ممتنع فى حق الله تعالى ، والذى له ممالك و مطيعون يطيعونه — كالمملك — يقول : فعلنا كذا . أى انا فعلت بأهل ملكى وملكى ، وكل ما سوى الله مخلوق له مملوك له ، وهو سبحانه يدبر أمر العالم بنفسه ، وملائكته التى هى رسله فى خلقه و أمره ، وهو سبحانه أحق من قال : « إِنَّا » و « نَحْنُ » بهذا الاعتبار ، فان ما سواه ليس له ملك تام ، ولا أمر مطاع طاعة تامة ، فهو المستحق أن يقول : ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾ ، والملوك لهم شبه بهذا ، فصار فيه ايضا من التشابه معنى آخر ، ولكن الذى ينسب لله من هذا الاختصاص لا يماثله فيه شيء ، وتأويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم واقدارهم ، وكيف يدبر بهم أمر السماء والارض .

وقد قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤٤٧) فهذا التأويل لهذا التشابه لا يعلمه إلا هو ، وان علمنا تفسيره ومعناه ؛ لكن لم نعلم تأويله الواقع فى الخارج ؛ بخلاف قوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤٤٨)

(٤٤٦) اى الآية رقم ٧ من سورة آل عمران .

(٤٤٧) سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٤٤٨) سورة السجدة (٤/٣٢) .

فانها آية محكمة ليس فيها تشابه ، فان هذا الاسم مختص بالله ، ليس مثل ﴿ إِنَّا ﴾ و ﴿ نَحْنُ ﴾ التي تقال لمن له شركاء ، ولمن له أعوان يحتاج إليهم ، والله تعالى منزّه عن هذا وهذا . كما قال : ﴿ قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ وَلَا مَالَةٍ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴾ . (٤٤٩)
وقال ﴿ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ . (٤٥٠)
فالمعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز ان يكون نظيره ثابتا لله ؛
فلهذا صار متشابها .

وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فانه قد قال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ وقال : ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوْقِهِ ﴾ وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ وقال : ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه ، وأنه لو عدم من تحته لخر ، والله تعالى غنى عن العرش ، وعن كل شيء ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش ، وحمله العرش ، وقد روى : انهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم ان يقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله .

فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها ، فنحن نعلم معناه ، وانه العلو والاعتدال ؛ لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش ، بل مع حاجة العرش ، وكل شيء محتاج إليه من كل وجه ، وانا لم نعهد في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى ، فصار متشابها من هذا الوجه ، فان بين اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا ، وبينها قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ، ونحن نعرف الفارق الذي امتاز الرب به ، فصرنا نعرفه من وجه ، ونجهله من وجه ، وذلك هو تاويله ، والاول هو تفسيره .

(٤٤٩) سورة سبا (٢٢/٣٤) . (٤٥٠) سورة الاسراء (١٧/١١١) .

(٤٥١) سورة السجدة (٤/٣٢) . (٤٥٢) سورة هود (١١/٤٤) .

(٤٥٣) سورة الفتح (٢٩/٤٨) . (٤٥٤) سورة المومن (٨/٢٣) .

(٤٥٥) سورة الزخرف (١٣/٤٣) .

و كذلك ما اخبر الله به في الجنة من الطعام والمشارب والملابس : كاللبن والعسل والخمر والماء ، فاننا لا نعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج من بين فرث و دم ، واذا بقى اياما يتغير طعمه ، و لا نعرف عسلا الا من نحل تصنعه في بيوت الشمع المسدسة ، فليس هو عسلا مصفى ، ولا نعرف حريرا الا من دود القز ، وهو يبلى ، وقد علمنا ان ما وعد الله به عباده ليس مماثلا لهذه ، لا في المادة ، ولا في الصورة والحقيقة ، بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه ، وذلك هو من التاويل الذى لا نعلمه نحن ، قال ابن عباس^(٤٥٦) : ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء .

لكن يقال : فالملائكة قد تعلم هذا ، فيقال : هي لا تعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة ، وايضا فن النعم مالا تعرفه الملائكة ، والتاويل يتناول هذا كله . واذا قدرنا انها تعرف مالا نعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندها ، ويكون من المتشابه عندنا ، فان المتشابه قد يراد به ما هو صفة لازمة للآية ، وقد يراد به ما هو من الامور النسبية ، فقد يكون متشابهها عند هذا مالا يكون متشابهها عند هذا .

وكلام الامام احمد وغيره من السلف يحتمل ان يراد به هذا فان احمد ذكر في رده على الجهمية :^{*} انها احتجت بثلاث آيات من المتشابه : قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤٥٧) . وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٤٥٨) . وقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾^(٤٥٩) . وقد فسر احمد قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . فاذا كانت هذه الآيات مما علمنا معناها لم تكن متشابهة عندنا ، وهي متشابهة عند من احتج بها ، وكان عليه ان يردّها هو الى ما يعرفه من الحكم ، وكذلك قال احمد في ترجمة كتابه الذى صنّفه في الحبس ، وهو (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله) ثم فسر احمد تلك الآيات آية آية ، فبين انها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها .

٢٥

(٤٥٨) سورة الشورى (١١/٤٢) .

(٤٥٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٤/١) وقد مرّ .

(٤٥٩) سورة الانعام (١٠٤/٦) .

(٤٥٧) سورة الانعام (٢/٦) .

وعلى هذا فالراسخون في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه ، الذى هو تفسيره ، وأما التأويل الذى هو الحقيقة الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها الا الله ، ولكن قد يقال هذا المتشابه الاضافى ليس هو المتشابه المذكور في القرآن ، فان ذلك قد أخبر الله انه لا يعلم تأويله الا الله ، وإنما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها ، وغيرهم من الناس يعرف معناها وعلى هذا فقد يجاب بجوابين :

احدهما : ان يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقراءة من يقف عند قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وكلتا القراءتين حق ، ويراد بالاولى المتشابه في نفسه الذى استأثر الله بعلم تأويله ، ويراد بالثانية المتشابه الاضافى الذى يعرف الراسخون تفسيره ، وهوتاويله ، ومثل هذا يقع في القرآن كقوله : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٤٦٠) ﴿ لِيَنْزُولَ ﴾ فيه قراءتان مشهورتان بالنفى والاثبات وكل قراءة لها معنى صحيح .

وكذلك القراءة المشهورة : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٤٦١) وقرأ طائفة من السلف ﴿ لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ وكلا القراءتين حق ، فان الذى يتعدى حدود الله هو الظالم وتارك الانكار عليه قد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه ، وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب وعلى هذا قوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤٦٢) .

فأنجى الله ^(٤٦٣) الناهين . وأما اولئك الكارهون للذنوب الذين قالوا : ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا ﴾ ^(٤٦٣) فالأكثر ^(٤٦٣) على انهم نجوا لأنهم كانوا كارهين ، فانكروا بحسب قدرتهم .

(٤٦٠) سورة ابراهيم (٤٦/١٤) .

(٤٦١) سورة الانفال (٢٥/٨) .

(٤٦٢) سورة الاعراف (١٦٥/٧) .

(٤٦٣) سورة الاعراف (١٦٤/٧) .

وأما من ترك الانكار مطلقا فهو ظالم يعذب . كما قال النبي ﷺ : « ان
الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه » وهذا^(٤٦٤)
الحديث موافق للآية .

والمقصود هنا انه يصح النفي والاثبات باعتبارين ، كما ان قوله : ﴿ لَا
تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

أى لا تختص بالمعتدين ، بل يتناول من رأى المنكر فلم يغيره ومن قرأ : ﴿
لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

أدخل فى ذلك من ترك الانكار مع قدرته عليه ، وقد يراد بذلك أنهم يعذبون
فى الدنيا ، ويعيشون على نياتهم ، كالجيش الذين يغزون البيت فيخسف بهم
كلهم ، ويحشر المكره على نيته .

والجواب الثانى : القطع بان المتشابه المذكور فى القرآن هو تشابهها فى نفسها
اللازم لها ، وذاك الذى لا يعلم تأويله الا الله ، وأما الاضافى الموجود فى كلام
من اراد به التشابه الاضافى ، فرادهم انهم تكلموا فيما اشتبه معناه واشكل معناه
على بعض الناس ، وان الجهمية استدلوا بما اشتبه عليهم واشكل ، وان لم يكن
هو من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله ، وكثيرا ما يشتبه على الرجل ما
لا يشتبه على غيره .

ويحتمل كلام الامام احمد انه لم يرد الا المتشابه فى نفسه ، الذى يلزمه
التشابه ، ولم يرد بشيء منه التشابه الاضافى ، وقال « تأويلته على غير تأويله »
أى غير تأويله الذى هو تأويله فى نفس الامر ، وان كان ذلك التأويل لا
يعلمه الا الله ، وأهل العلم يعلمون ان المراد به ذلك التأويل ، فلا يبقى مشكلا
عندهم محتملا لغيره ، ولهذا كان المتشابه فى الخبريات إما عن الله ، وإما عن
الآخرة ، وتاويل هذا كله لا يعلمه الا الله ، بل الحكم من القرآن قد يقال : له
تأويل كما للمتشابه تأويل . كما قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ ومع هذا^(٤٦٥)
فذلك التأويل لا يعلم وقته وكيفيته الا الله ، وقد يقال : بل التأويل
للمتشابه ، لأنه فى الوعد والوعيد ، وكله متشابه ، وأيضا فلا يلزم فى كل آية
ظنها بعض الناس متشابهها ان تكون من المتشابه :

(٤٦٤) رواه احمد (٦٥٠٢/١) وابن ماجة فى الفتن (١٣٣٧/٢) رقم (٤٠٠٥) عن أبى بكر الصديق ، و روى بلفظ مختلف
عند الترمذى (٢٥٧/٥) وأبى داود (٥١٠/٤) . (٤٦٥) سورة الاعراف (٥٢/٧) .

فقول أحمد : احتجوا بثلاث آيات من التشابه ، وقوله ما شكت فيه من متشابه القرآن ، قد يقال ان هؤلاء أو أن احمد جعل بعض ذلك من التشابه وليس منه ، فان قول الله تعالى : ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^(٤٦٦) .

لم يرد به هنا الاحكام العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع آيات القرآن ، وهو المذكور في قوله : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾^(٤٦٧) . وفي قوله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾^(٤٦٨) .

فوصفه هنا كله بأنه متشابه ، أي متفق غير مختلف ، يصدق بعضه بعضا ، وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله : ﴿ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٤٦٩) .

وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ، يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفِكَ ﴾^(٤٧٠) . فان هذا التشابه يعم القرآن ، كما أن احكام آياته تعمه كله ، وهنا قد قال : ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ . فجعل بعضه محكما و بعضه متشابها ، فصار التشابه له معنيان .

وله معنى ثالث وهو الاضافي ، يقال قد اشتبه علينا هذا ، كقول بني اسرائيل : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾^(٤٧١) . وان كان في نفسه متميزا منفصلا بعضه عن بعض ، وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل ، كقوله ﷺ في الحديث : « ^(٤٧٢) الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمن كثير من الناس » .

(٤٦٦) سورة آل عمران (٧/٣) .

(٤٦٧) سورة هود (١/١١) .

(٤٦٨) سورة الزمر (٣٩/٢٣) .

(٤٦٩) سورة النساء (٤/٨٢) .

(٤٧٠) سورة الذاريات (٥١/٨ - ٩) .

(٤٧١) سورة البقرة (٢/٧٠) .

(٤٧٢) أخرجه البخاري ومسلم وهو في شعب الايمان للبيهقي وانظر تخريجه هناك

فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها ، فليست مشتبهة على جميع الناس ، بل على بعضهم ، بخلاف ما لا يعلم تأويله إلا الله ، فان الناس كلهم مشتركون في عدم العلم بتأويله ، ومن هذا ما يروى عن المسيح — عليه السلام — انه قال : الامور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه .

فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الآخرين ان يعرفوا الحق فيه ويبينوا الفرق بين المشتبهين . وهذا هو الذى اراده من جعل الراسخين يعلمون التأويل ، فانه جعل المشتبهات في القرآن من هذا الباب الذى يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه لم يعرفه بعض الناس ، وهذا صحيح في نفسه لا ينكر ، ولا ريب أن الراسخين في العلم يعلمون ما اشتبه على غيرهم ، وقد يكون هذا قراءة في الآية كما تقدم ، من انه يكون فيها قراءتان ؛ لكن لفظ التأويل على هذا يراد به التفسير ، ووجه ذلك انهم يعلمون تأويله من حيث الجملة ، كما يعلمون تأويل الحكم ، فيعرفون الحساب والميزان والصراط والثواب والعقاب وغير ذلك مما أخبر الله به ورسوله معرفة مجملة ، فيكونون عالمين بالتأويل ، وهو ما يقع في الخارج على هذا الوجه ، ولا يعلمونه مفصلا ، إذ هم لا يعرفون كلفيته وحقيقته ، اذ ذلك ليس مثل الذى علموه في الدنيا وشاهدوه ، وعلى هذا يصح أن يقال علموا تأويله ، وهو معرفة تفسيره ، ويصح أن يقال لم يعلموا تأويله ، وكلا القراءتين حق .

وعلى قراءة النفي هل يقال ايضا : ان الحكم له تأويل لا يعلمون تفصيله ؟ فان قوله : وما يعلم تأويل ما تشابه منه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ لا يدل على ان غيره يعلم تأويل الحكم ، بل قد يقال : ان من الحكم ايضا ما لا يعلم تأويله الا الله ، وانما خص التشابه بالذكر ، لأن اولئك طلبوا علم تأويله ، أو يقال بل الحكم يعلمون تأويله لكن لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته .

وقد قال كثير من السلف : ^(٤٧٢) إن الحكم ما يعمل به ، والتشابه ما يؤمن به ، ولا يعمل به ، كما يجيء في كثير من الآثار ، ونعمل بحكمه ؛ ونؤمن بمشابهه ، ^(٤٧٣)

(٤٧٢) راجع في تفسير «الحكم» و«التشابه» تفسير ابن الجوزى (١/٢٥٠ - ٢٥٢) .
وللمؤلف رسالة «الاكلیل فی التشابه والتأويل» تناول هذه المسئلة بوضوح .

وكما جاء عن ابن مسعود^(٤٧٤) وغيره في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُم الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ .

قال يحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه . وكلام السلف في ذلك يدل على ان التشابه أمر اضافي . فقد يشته على هذا مالا يشته على هذا ، فعلى كل احد ان يعمل بما استبان له ، و بكل ما اشتبه عليه الى الله ، كقول ابي بن كعب^(٤٧٥) — رضى الله عنه — في الحديث الذى رواه الثورى عن مغيرة — وليس بالضبي — عن ابي العالية ، قال : قيل لأبي بن كعب أوصنى فقال : اتخذ كتاب الله اماما ، ارض به قاضيا ، وحاكما ، هو الذى استخلف فيكم رسوله شفيح مطاع ، وشاهد لا يتهم ، فيه خبر ما قبلكم ، وخبر ما بينكم ، وذكر ما قبلكم ، وذكر ما فيكم .

وقال سفيان عن رجل سمى عن ابن ابرى عن ابي قال : فما استبان لك فاعمل به ، وما شبه عليك فآمن به ، وكله إلى عالمه .

فمنهم من قال : المتشابه هو المنسوخ ، ومنهم من جعله الخبريات مطلقا ، فمن قتادة والربيع والضحاك والسدى المحكم الناسخ الذى يعمل به : والمتشابه المنسوخ يؤمن به ، ولا يعمل به ، وكذلك في تفسير العوفى عن ابن عباس .

وأما تفسير الوالى عن ابن عباس فقال : محكمات القرآن : ناسخه وحلاله وحرامه وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به .

والمشبهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ، ولا يعمل به .

أما القول الأول فهو — والله أعلم — ماخوذ من قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ﴾^(٤٧٦) .

فقابل بين المنسوخ وبين المحكم ، وهو سبحانه إنما اراد نسخ ما القاه الشيطان ؛ لم

(٤٧٤) راجع الطبرى (٥١٩/١) .

(٤٧٥) واخرجه ابو نعيم في الحلية من طريق ابي خالد عن المغيرة بن مسلم عن الربيع بن انس عن ابي العالية به

(٢٥٢/١) والمغيرة بن مسلم من رجال التهذيب صدوق ، وهو — كما قال المؤلف غير الضبي — المغيرة بن مقسم

(٤٧٦) سورة الحج (٥١/٢٢) .

يرد نسخ ما أنزله ، لكن هم جعلوا جنس المنسوخ متشابهاً لأنه يشبه غيره في التلاوة والنظم ، وأنه كلام الله وقرآن ومعجز و غير ذلك من المعاني ، مع ان معناه قد نسخ .

ومن جعل المتشابه كل ما لا يعمل به من المنسوخ ، والاقسام والامثال ، فلأن ذلك متشابه ، ولم يؤمر الناس بتفصيله ، بل يكفيهم الايمان المجمل به ، بخلاف المعمول به فانه لا بد فيه من العلم المفصل . وهذا بيان لما يلزم كل الامة ، فانهم يلزمهم معرفة ما يعمل به تفصيلاً ليعملوا به ، وما أخبروا به فليس عليهم معرفته ، بل عليهم الايمان به ، وان كان العلم به حسناً أو فرضاً على الكفاية فليس فرضاً على الأعيان ؛ بخلاف ما يعمل به ، ففرض على كل انسان معرفة ما يلزمه من العمل مفصلاً ، وليس عليه معرفة العمليات مفصلاً .

وقد روى عن مجاهد^(٤٧٧) وعكرمة : المحكم ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضاً . فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِي ﴾^(٤٧٨) . والحلال مخالف للحرام ، وهذا على قول مجاهد : ان العلماء يعلمون تأويله ؛ لكن تفسير المتشابه بهذا مع ان كل القرآن متشابه . وهنا خص البعض به فيستدل به على ضعف هذا القول .

وكذلك قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾^(٤٧٩) . لو اريد بالمتشابه تصديق بعضه بعضاً لكان اتباع ذلك غير محذور ، وليس في كونه يصدق بعضه بعضاً ما يمنع ابتغاء تأويله ، وقد يحتج لهذا القول بقوله « متشابهات » فجعلها أنفسها متشابهات ، وهذا يقتضى ان بعضها يشبه بعضاً ليست مشابهة لغيرها .

ويجاب عن هذا بأن اللفظ إذا ذكر في موضعين بمعنىين صار من المتشابه ، كقوله : ﴿ اَنَا ﴾ و﴿ نَحْنُ ﴾ المذكور في سبب نزول الآية ، وقد ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قال :^(٤٨٠) المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتل في التأويل أوجهها .

(٤٧٧) راجع الطبرى (١٧٣/٣) .
(٤٧٩) سورة آل عمران (٧/٣) .
(٤٧٨) سورة الزمر (٣٩/٣٣) .
(٤٨٠) انظر تفسير الطبرى (١٧٤/٣) .

لم يظلم نفسه حق بين لهم ، ^(٤٩٧)
ولما نزل قوله : ﴿ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ شق عليهم حق بين لهم الحكمة في ذلك ،
ولما قال النبي ﷺ : « من نوقش الحساب عذب » قالت عائشة : « ألم يقل الله : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟
قال : انما ذلك العرض » ^(٤٩٨)

قالوا : والدليل على ما قلناه اجماع السلف ، فانهم فسروا جميع القرآن ،
وقال مجاهد ^(٤٩٩) عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أقفه عند كل
آية وأسأله عنها . وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ ، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي ^(٥٠٠) :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا
ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن ، الا ما قد
يشكل على بعضهم فيقف فيه ، لا لأن أحدا من الناس لا يعلمه ، لكن لأنه هو
لم يعلمه .

وايضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ولم يستثن منه شيئا لا يتدبر ،
ولا قال : لا تدبروا المتشابه ، والتدبر بدون الفهم ممتنع ، ولو كان من القرآن ما
لا يتدبر لم يعرف ، فان الله لم يميز المتشابه بحد ظاهر حتى يجتنب تدبره .

(٤٩٧) أخرجه البخارى في الايمان (١٤/١) وفي الانبياء (١١٢/٤ - ١٣٧) وفي التفسير (١٩٣/٥ ، ٢٠/٦) ومسلم في
الايمان (١٢٤/١) والترمذى في التفسير (٢٦٢/٥) واحمد في مسنده (٤٤٤، ٤٢٤، ٣٧٨/١) من حديث عبد الله بن
مسعود .

(٤٩٨) أخرجه البخارى في العلم (٣٤/١) وفي التفسير (٨١/٦) وفي الرقاق (١٩٨/٧) ومسلم في الجنة (٢٢٠٤/٣) .
وأخرجه ايضا الترمذى (٤٣٥/٥) واحمد (١٣٧، ١٠٨، ٩١، ٤٧/٦) .

(٤٩٩) انظر السير (٤٥٠/٤) والجلي (٢٧٩/٣ - ٢٨٠) وتفسير الطبرى (٤٠/١) .

(٥٠٠) هو المقرئ الامام عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، الكوفى .
من كبار التابعين ، ومن اثبت الناس في القراءة . توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غيره .
راجع ترجمته في طبقات ابن سعد (١٧٢/٦) الحلية (١٩١/٤) تاريخ بغداد (٤٣٠/٩) التذكرة (٥٥/١) السير
(٣٦٧/٤ - ٣٧١) .

واثره أخرجه الطبرى (٣٦/١) وابن سعد (١٧٢/٦) .

ومعنى هذا أن ذلك اللفظ المحكم لا يكون تأويله في الخارج الا شيئا واحدا ،
وأما التشابه فيكون له تأويلات متعددة ، لكن لم يرد الله الا واحدا منها ،
وسياق الآية يدل على المراد ، وحينئذ فالراسخون في العلم يعلمون المراد من
هذا ، كما يعلمون المراد من المحكم ، لكن نفس التأويل الذى هو الحقيقة ووقت
الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لا من هذا لا من هذا .

وقد قيل : إن نصارى نجران احتجوا بقوله : ﴿ كَلِمَةً اللَّهُ ﴾ ^(٤٨١) وَرُوحٌ
مِّنْهُ ﴿ وَلَفْظُ كَلِمَةِ اللَّهِ : يراد به الكلام ، و يراد به المخلوق بالكلام ؛ وروح
منه : يراد به ابتداء الغاية ، ويراد به التبويض ، فعلى هذا اذا قيل تأويله لا
يعلمه الا الله ، المراد به الحقيقة ، أى لا يعلمون كيف خلق عيسى بالكلمة ،
ولا كيف ارسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا ، ونفخ فيها من روحه .

وفى صحيح البخارى ^(٥٨٢) عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم الذين
يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

والمقصود هنا : أنه لا يجوز ان يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ، ولا يجوز
ان يكون الرسول ﷺ وجميع الامة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله
من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ، سواء كان مع هذا تأويل
القرآن لا يعلمه الراسخون ، او كان للتأويل معنيان : يعلمون أحدهما ،
ولا يعلمون الآخر ، وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى
المتشابه من القرآن وبين أن يقال : الراسخون في العلم يعلمون كان هذا الاثبات
خيرا من ذلك النفي ، فان معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة واقوال
السلف على ان جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره ، وهذا مما يجب القطع
به ، وليس معنا قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير المتشابه ،
فان السلف قد قال كثير منهم انهم يعلمون تأويله ، منهم مجاهد — مع جلالة

(٤٨١) لم يرد في القرآن « كلمة الله » للمسيح بل جاء فيه « بكلمة من الله » (٣٩/٣) و « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله و كلمته القاها الى مريم و روح منه » (سورة النساء ١٢١/٤) .

(٤٨٢) أخرجه في التفسير (١٦٦/٥) و عنده « رأيت » و رواه مسلم بلفظ المتن (٢٠٥٣/٢) وابوداود (٦/٥) والترمذى
(٢٢٢/٥) .

قدره — والربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وتقلوا ذلك عن ابن عباس ، وأنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ^(٤٨٣) .

وقول احمد فيما كتبه في «الرد على الزنادقة والجهمية» فيما شكت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله ، وقوله عن الجهمية انها تأولت ثلاث آيات من المتشابه ، ثم تكلم على معناها ؛ دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه ، وأن المذموم تأويله على غير تأويله ، فاما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم ، وهذا يقتضى أن الراسخين في العلم يعملون التأويل الصحيح للمتشابه عنده ، وهو التفسير في لغة السلف . ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها ، بل يتلون لفظا لا يعرفون معناه ، وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقي ، وغيرهما .

وابن قتيبة هو من المنتسبين الى أحمد واسحق ^(٤٨٤) والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله في ذلك مصنفات متعددة ، قال فيه صاحب «كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث» : هو أحد أعلام الأئمة ، والعلماء والفضلاء ، أجودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف ، وكان يميل الى مذهب أحمد ، واسحق ، وكان معاصرا لابراهيم الحربي ، ومحمد بن نصر المروزي ، وكان ^(٤٨٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٥/٣) .

^(٤٨٤) هو الامام الكبير ، ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد . الحنظلي ، المعروف بابن راهويه . من كبار الائمة الحديث والفقهاء ، كان مجتهدا وكان قرين احمد . وقال احمد : لا اعرف لاسحاق نظيرا في الدنيا . توفي سنة ٢٣٨ هـ .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣٤٥/٦ - ٣٥٥) وفيات ابن خلكان (١٩٩/١ - ٢٠١) التذكرة (٤٣٣/٢) الوافي (٢٨٦/٨ - ٢٨٨) السير (٣٥٨/١١ - ٣٨٢) طبقات الداودي (١٠٣/١) .

^(٤٨٥) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم ، البغدادي ، الحربي ، ابواسحاق . الامام ، الحافظ ، العلامة ، مؤلف «غريب الحديث» كان اماما في العلم ، راسا في الزهد ، عارفا بالفقهاء ، بصيرا بالاحكام ، حافظا للحديث ، جماعة للغة . قال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضي يقول : لا نعلم ببغداد اخرجت مثل ابراهيم الحربي في الادب والفقهاء والحديث والزهد . قال الذهبي : يريد من اجتمع فيه هذه الامور الاربعة . توفي سنة ٢٨٥ هـ .

راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٢٨٦/٦ - ٤٠) طبقات الحنابلة (٨٦/١ - ٩٣) انباء الرواة (١٥٥/١ - ١٥٨) فوات الوفيات (١٤/١ - ١٧) الوافي (٣٢٠/٥ - ٣٢٤) السير (٣٥٧/١٣ - ٣٧٢) التذكرة (٥٨٤/٢ - ٥٨٦) .

^(٤٨٦) ابو عبد الله محمد بن نصر الحجاج المروزي .

أهل المغرب يعظمونه ، ويقولون : من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه ، قلت : ويقال : هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فانه خطيب السنة ، كما ان الجاحظ خطيب المعتزلة .

- (٤٨٧) وقد نقل عن ابن عباس ايضا القول الآخر ، ونقل ذلك عن غيره من الصحابة ، وطائفة من التابعين ، ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصا عن رسول الله ﷺ ، فصارت مسألة نزاع ، فترد الى الله وإلى الرسول ، وأولئك احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله ، وبأن النبي ﷺ ذم مبتغى التشابه ، وقال « اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم » .
- (٤٨٨) ولهذا ضرب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — صبيغ بن عسل لما سأله عن التشابه ، ولأنه قال : ﴿ وَ الرَّاٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ ﴾ ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد لا واو الاستئناف التى تعطف جملة على جملة لقال : و يقولون .

فأجاب الآخرون عن هذا بان الله قال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (٤٨٩) ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .

- (٤٩٠) قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد ، والفعل حال من المعطوف فقط ، وهو نظير قوله : ﴿ وَالرَّاٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

الامام ، الحافظ ، قال الحاكم : امام عصره بل مدافقه في الحديث ، واعلم الائمة باختلاف العلماء ، صنف كتبها الآثار والفقه . توفي عام ٢٩٤ هـ . ترجمته في تاريخ بغداد (٣١٥/٣ - ٣١٨) التذكرة (٦٥٠/٢ - ٦٥٣) السر (٢٣/١٤ - ٤٠) الوافي (١١١/٥) .

(٤٨٧) يعنى انه لا يعلم تاويله الا الله وحده . راجع تفسير الطبرى (١٨٢/٣) و تفسير ابن الجوزى (٣٥٤/١) و ابن كثير (٣٤٦/١ - ٣٤٧) .

(٤٨٨) راجع الدارمى (٥٤ - ٥٥) والاصابة (١٩١/٢) .

(٤٨٩) سورة الحشر (٨/٥٩ - ١٠) . (٤٩٠) سورة آل عمران (٧/٣) .

قالوا ولأنه لو كان المراد مجرد الوصف بالايان لم يخص الراسخين ، بل قال :
والمؤمنون يقولون آمنا به ، فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به ، فلما خص
الراسخين في العلم بالذكر علم أنهم امتازوا بعلم تأويله ، فعملوه لأنهم عالمون ،
وآمنا به لأنهم يؤمنون ، وكان ايمانهم به مع العلم أكمل في الوصف ، وقد قال
عقيب ذلك : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وهذا يدل على ان هنا
تذكرا يختص به اولوا الالباب ، فان كان ما ثم إلا الايمان بالفاظ فلا يذكر لما
يدلهم على ما اريد بالمتشابه .

ونظير هذا قوله في الآية الاخرى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ
وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(٤٩١)
فلما وصفهم بالرسوخ في العلم ، وانهم يؤمنون ، قرن بهم المؤمنين ، فلو اريد
هنا مجرد الايمان لقال والراسخون في العلم والمؤمنون يقولون آمنا به ، كما قال في
تلك الآية لما كان مراده مجرد الاخبار بالايان جمع بين الطائفتين .

قالوا : وأما الذم فانما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة ، وابتغاء
تأويله ، وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا
يطلبون الا المتشابه لافساد القلوب ، وهي فتنتها به ، ويطلبون تأويله وليس
طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء ، بل لأجل الفتنة ، وكذلك صبيغ بن
عسل ضربه عمر ؛ لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة ، وهذا كن
يورد اسئلة واشكالات على كلام الغير ، ويقول ماذا اريد بكذا وغرضه
التشكيك والطمع فيه ، ليس غرضه معرفة الحق ، وهؤلاء هم الذين عناهم النبي
ﷺ بقوله : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه » ولهذا (يتبعون) أى
يطلبون المتشابه ويقصدونه دون الحكم ، مثل المتبع للشيء الذى يتحراه
ويقصده ، وهذا فعل من قصده الفتنة .

وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه ،
وهو عالم بالمحكم متبع له ، مؤمن بالمتشابه ، لا يقصد فتنة ، فهذا لم يذمه الله ،
وهكذا كان الصحابة يقولون رضى الله عنهم : مثل الأثر المعروف الذى رواه

ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني وقد ذكره الطلمنكي^(٤٩٣) — حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية ثنا عتبة بن ابي حكيم^(٤٩٤) ثنى عمارة بن راشد الكناني عن زياد عن معاذ بن جبل قال : يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى ونية يغليه فلى الرأس ، يلتبس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم ، أولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى ، ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يغليه فلى الرأس . فما تبين له منه عمل به ، وما اشتبه عليه وكله الى الله ، ليتفقهن فيه فقها ما فقعه قوم قط ، حق لو ان احدهم مكث عشرين سنة ، فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه ، أو يفهمه اياها من قبل نفسه . قال بقية اشهدنى ابن عيينة حديث عتبة هذا .

فهذا معاذ يذم من اتبع المتشابه لقصد الفتنة ، وأما من قصده الفقه فقد أخبر ان الله لا بد أن يفقهه بفهمه المتشابه فقها ما فقعه قوم قط ، قالوا : والدليل على ذلك ان الصحابة كانوا اذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك ، كما سأل عمر فقال : ألم تكن تحدثنا أنا نأق البيت ونطوف به ؟^(٤٩٥)

وسأله ايضا عمر : ما بالنا تقصر الصلاة ، وقد أمنا ؟^(٤٩٦)
ولما نزل قوله : ﴿ وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شق عليهم وقالوا : أينما

(٤٩٣) ابو اسحاق ، ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق ، الجوزجاني . من علماء الحديث ، صنف كتباً في الجرح والتعديل والضعفاء . توفي سنة ٢٥٦ هـ . راجع تذكرة الحفاظ (٥٤٩/٢) تهذيب التهذيب (١٨١/١ - ١٨٣) شذرات (١٣٩/٢) تاريخ التراث (٢٦٢/١) .

(٤٩٣) الطلمنكي (يفتح الطاء المهملة واللام والميم ، وسكون النون بعدها كاف) نسبة الى طلمنك مدينة بالاندلس . وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي عيسى ، المعافري ، الاندلسي . كان من بحور العلم وكان صعباً في حفظ علوم القرآن ، قراءته ، ولغته ، و اعرابه واحكامه ومنسوخه ، و معانيه . صنف كتباً كثيرة في السنة . توفي سنة ٤٢٩ هـ . انظر ترجمته في الصلة (٤٤/١) التذكرة (١٠٩٨/٣) الديباج (١٧٨/١ - ١٨٠) الواقي (٣٢/٨) طبقات الداودي (٢٩/١) السير (٥٦٧/١٧ - ٥٦٨) .

(٤٩٤) عتبة بن ابي حكيم الحمواني ، قال الحافظ في التقریب : صدوق يخطئ كثيراً ، و عمارة بن راشد بن كنانة . قال ابن ابي حاتم في الجرح : مجهول وتعقبه الذهبي في الميزان ، وقال : محله الصدق . و زياد لم أعرفه .

(٤٩٥) وذلك بعد الصلح الحديبية . راجع البخاري في الشروط (١٧٨/٣ - ١٨٤) و أخرجه احمد (٣٣٠/٤) .

(٤٩٦) أخرجه مسلم عن يعلى بن أمية (٤٧٨/١) . وأخرجه ايضا الترمذي (٢٤٢/٥) والنسائي (١١٦/٣) وابن ماجه (٣٣٩/١) رقم (١٠٦٥) .

وهذا ايضا مما يحتجون به ، ويقولون المتشابه أمر نسي اضافى فقد يشتبه على هذا مالا يشتبه على غيره ، قالوا : ولأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدى وشفاء ونور ، ولم يستثن منه شيئا عن هذا الوصف ، وهذا ممتنع بدون فهم المعنى ، قالوا : ولأن من العظيم أن يقال : ان الله أنزل على نبيه كلاما لم يكن يفهم معناه ، لا هو ولا جبريل ، بل وعلى قول هؤلاء كان النبي ﷺ يحدث باحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن عندهم ، ولم يكن يعرف معنى ما يقوله ، وهذا لا يظن بأقل الناس .

وأىضا فالكلام انما المقصود به الافهام ، فاذا لم يقصد به ذلك كان عبثا وباطلا ، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث ، فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام ينزله على خلقه لا يريد به إفهامهم ، وهذا من أقوى حجج الملحددين .

وأىضا فما فى القرآن آية الا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم باحسان فى معناها ، و بينوا ذلك ، واذا قيل فقد يختلفون فى بعض ذلك . قيل كما قد يختلفون فى آيات الأمر والنهى ، وآيات الامر والنهى مما اتفق المسلمون على أن الراسخين فى العلم يعلمون معناها ، وهذا أيضا مما يدل على أن الراسخين فى العلم يعلمون تفسير المتشابه ، فان المتشابه قد يكون فى آيات الأمر والنهى ، كما يكون فى آيات الخبر ، وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها ، فكذلك الاخرى ، فانه على قول النفاة لم يعلم معنى المتشابه الا الله ، لا ملك ولا رسول ولا عالم ، وهذا خلاف إجماع المسلمين فى متشابه الأمر والنهى .

وأىضا فلفظ التأويل يكون للمحكم ، كما يكون للمتشابه ، كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك ، وهم يعلمون معنى الحكم فكذلك معنى المتشابه ، وأى فضيلة فى المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده ، فأى فضيلة فى المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه ؟ وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا ، ولم يذكر فى القرآن آية تدل على وقت الساعة ، ونحن نعلم ان الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها ، وانما النزاع فى كلام أنزله ، وأخبر انه هدى وبيان وشفاء ، وأمر بتدبره ، ثم يقال ان منه ما لا يعرف معناه الا الله ، ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذى لا

يعرف أحد معناه ، ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من التشابه بمجرد دعواه .

ثم سبب نزول الآية : قصة أهل نجران ، وقد احتجوا بقوله ﴿ اِنَّا ﴾ ﴿ نَحْنُ ﴾ وبقوله : ﴿ كَلِمَةً مِّنْهُ ﴾ ﴿ وَرُوحَ مِّنْهُ ﴾ ، وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه ، فكيف يقال : ان التشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبياء ، ولا أحد من السلف ، وهو من كلام الله الذى أنزله إلينا ، وأمرنا ان نتدبره و نعقله ، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء ونور ، وليس المراد من الكلام الا معانيه ، ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لامعنى له .

وقد قال الحسن : ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيما ذا أنزلت ، وماذا عنى بها .

ومن قال :^(٥٠١) أن سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم فى ﴿ الم ﴾ بحساب الجمل ، فهذا نقل باطل .

أما أولا : فلأنه من رواية الكلبي .

وأما ثانيا : فهذا قد قيل انهم قالوه فى اول مقدم النبي ﷺ الى المدينة ، وسورة آل عمران انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر ، وفيها فرض الحج ، وانما فرض سنة تسع أو عشر ، لم يفرض فى اول الهجرة باتفاق المسلمين .

وأما ثالثا : فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الأمة ، ليس هو من تأويل القرآن الذى استأثر الله بعلمه ، بل اما أن يقال انه ليس مما اراده الله بكلامه ، فلا يقال انه انفرد بعلمه ، بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل ، واما أن يقال بل يدل عليه فقد علم بعض الناس ما يدل عليه ، وحينئذ فقد علم الناس ذلك ، أما دعوى دلالة القرآن على ذلك ، وان أحدا لا يعلم فهذا هو الباطل .

(٥٠١) أخرجه الطبرى من طريق الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس (٩٣/١) وانظر الدر المنثور (١٤٦/٢ - ١٤٧) .

وايضا فاذا كانت الامور العلمية التي أخبر الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول ، كان هذا من أعظم قدح الملاحظة فيه ، وكان حجة لما يقولونه من أنه كان لا يعرف الأمور العلمية ، أو أنه كان يعرفها ولم يبينها ، بل هذا القول يقتضى انه لم يكن يعلمها ، فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي ولا غيره .

وبالجملة : فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول : إن في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره .

نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء ، فضلا عن غيرهم ، وليس ذلك في آية معينة ، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا ، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره ، وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق ، وتارة لعدم التدبر التام ، وتارة لغير ذلك من الاسباب ، فيجب القطع بان قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ .

ان الصواب قول من يجعله معطوفا ، ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد ، او يكون كلا القولين حقا ، وهى قراءتان ، والتأويل المنفى غير التأويل المثبت ، وان كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف ، فيكون التأويل المنفى علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره ، وهذا فيه نظر ، وابن عباس جاء عنه انه قال : انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وجاء عنه ان الراسخين لا يعلمون تأويله .

وجاء عنه انه قال : ^(٥٠٢) التفسير على اربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله ، من ادعى علمه فهو كاذب . وهذا القول يجمع القولين ، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره مالا يعلمه غيرهم ، وان فيه مالا يعلمه الا الله . فاما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وجعل التأويل بمعنى التفسير ، فهذا خطأ قطعاً .

(٥٠٢) أخرجه الطبري (٣٤/١) ورواه ايضا مرفوعا بسند فيه الكلي . وانظر الدر المنثور (١٥٢/٢) .

وأما التأويل بالمعنى الثالث ، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة ، بل ولا التابعين ، بل ولا الأئمة الأربعة ، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا في القرون الثلاثة ، بل ولا علمت أحدا منهم خص لفظ التأويل بهذا ، ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعا في عرف كثير من المتأخرين ، فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه ، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه ، وفرقوا دينهم بعد ذلك ، و صاروا شيعا ، والمتشابه المذكور الذى كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد ، وإنما الخطأ في فهم السامع . نعم قد يقال : أن مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب ، ولكن فرق بين عدم دلالاته على المطلوب ، وبين دلالاته على تقيض المطلوب ، فهذا الثانى هو المنفى ؛ بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل ألبتة ، كما قد بسط في موضعه .

ولكن كثير من الناس يزعم أن لظاهر الآية معنى ، أما معنى يعتقده وأما معنى باطلا فيحتاج إلى تأويله ، ويكون ما قاله باطلا لا تدل الآية على معتقده ، ولا على المعنى الباطل ، وهذا كثير جدا ، وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيرا ما يحتاج إلى التأويل المحدث ، وهو صرف اللفظ عن مدلوله إلى خلاف مدلوله .

ومما يحتج به من قال الراسخون في العلم يعلمون التأويل : ما ثبت في صحيح البخارى وغيره — عن ابن عباس : « أن النبي ﷺ دعا له وقال : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » .

فقد دعا له بعلم التأويل مطلقا ، وابن عباس فسر القرآن كله . قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره ، أقفه عند كل آية وأسأله عنها ، وكان يقول : أنا من الراسخين في العلم ، الذين يعلمون تأويله .

(٥٠٣) لم يخرج البخارى بهذا اللفظ فعنده في الوضوء (٤٥/١) اللهم فقهه في الدين . في العلم (٢٧/١) وفي الاعتصام (١٣٨/٨) اللهم علمه الكتاب — . وفي مناقب الصحابة (٢١٧/٤) اللهم علمه الحكمة . وراجع فتح البارى (١٦٩/١ - ١٧٠) .

نعم أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ (٣٢٥، ٣٢٨، ٣١٤، ٣٦٦/١) وابن سعد في طبقاته (٣٦٥/٢) .

وأيضاً فالنقول متواترة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الأمر والخبر ، فله من الكلام في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ، ومن الكلام في الأمر والنهى والاحكام ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القرآن .

وأيضاً قد قال ابن مسعود^(٥٠٤) ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم بماذا أنزلت .

وايضاً فانهم متفقون على ان آيات الاحكام يعلم تأويلها ، وهى نحو خمائة آية ، وسائر القرآن خبر عن الله واسمائه وصفاته ، او عن اليوم الآخر والجنة والنار ، او عن القصص ، وعاقبة أهل الايمان ، وعاقبة أهل الكفر ، فان كان هذا هو التشابه الذى لا يعلم معناه إلا الله ، فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه ، لا الرسول ولا أحد من الامة ، ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة .

وأيضاً فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذى يخبر به ، فان دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جمهور الناس ؛ بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه ، فاذا كان الله قد علم عباده تأويل الاحاديث التى يرونها فى المنام ، فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربى المبين الذى ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأخرى ، قال يعقوب ليوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾^(٥٠٥)

وقال يوسف : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾^(٥٠٦)

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾^(٥٠٧)

وأيضاً فقد ذم الله الكفار بقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٥٠٨)

(٥٠٤) أخرجه الطبرى (٣٦/١) . (٥٠٦) سورة يوسف (١٠١/١٢) . (٥٠٨) سورة يونس (٣٨/١٠ - ٣٩) .

(٥٠٥) سورة يوسف (٦/١٢) . (٥٠٧) سورة يوسف (٣٧/١٢) .

وقال : ﴿ وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ قَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥٠٩)

وهذا ذم لمن كذب بما لم يحيط بعلمه .

- ٥ فما قاله الناس من الاقوال المختلفة في تفسير القرآن و تأويله ليس لأحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ، و لا يكذب بشيء منها ، الا ان يحيط بعلمه ، وهذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذي اريد بالآية ، فيعلم ان ما سواه باطل ، فيكذب بالباطل الذي احاط بعلمه ، و أما إذا لم يعرف معناها ، و لم يحيط بشيء منها علما ، فلا يجوز له التكذيب بشيء منها ، مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا ، ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالاقوال المتناقضة ،
١٠ والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل ، و فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

- وايضا فانه ان بقى على ما يعتقده من انه لا يعلم معاني الآيات الخيرية إلا الله لزمه أن يكذب كل من احتج بآية من القرآن خبرية على شيء من امور الايمان بالله واليوم الآخر ، ومن تكلم في تفسير ذلك ، وكذلك يلزم مثل ذلك في احاديث الرسول ﷺ ، .
١٥

- وان قال : المتشابه هو بعض الخبريات ، لزمه أن يبين فصلا يتبين به ما يجوز ان يعلم معناه من آيات القرآن ، ومالا يجوز أن يعلم معناه ، بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا أحد من الصحابة ، ولا غيرهم . ومعلوم أنه لا يمكن أحدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس ، وبين مالا يجوز أن يعلم معناه أحد . ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه ،
٢٠ فلم أن المتشابه ليس هو الذي لا يمكن أحدا معرفة معناه ، وهذا دليل مستقل في المسألة .

وايضا فقله : ﴿ لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾^(٥١٠) .
﴿ أ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾^(٥١١) .

سورة النمل (٨٤/٢٧) .

(٥١١)

(٥٠٩) سورة النمل (٨٣/٢٧ - ٨٤) .

(٥١٠) سورة يونس (٣٩/١٠) .

ثم لم على عدم الاحاطة مع التكذيب ، ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم التشابه لم يكن في ذمهم بهذا الوصف فائدة ، ولكن الذم على مجرد التكذيب ، فان هذا بمنزلة أن يقال أكذبت بما لم تحيطوا به علما ولا يحيط به علما إلا الله ؟ ومن كذب بما لا يعلمه إلا الله كان أقرب إلى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس ، فلو لم يحيط بها علما الراسخون كان ترك هذا الوصف اقوى في ذمهم من ذكره .

ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل في المسألة : وهو ان الله ذم الزائغين بالجهل وسوء القصد ، فانهم يقصدون التشابه يبتغون تأويله ، ولا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم ، وليسوا منهم ، وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^(٥١٢) .
فان المعنى بقوله : ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ افهمهم القرآن

يقول : لو علم الله فيهم حسن قصد وقبولا للحق لأفهمهم القرآن . لكن لو أفهمهم لتولوا عن الايمان وقبول الحق لسوء قصد ، فهم جاهلون ظالمون ، كذلك الذين في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد ، مع طلب علم مالم يسوا من أهله ، وليس إذا عيب هؤلاء على العلم ومُنْعَوْه يعاب من حسن قصده وجعله الله من الراسخين في العلم .

فان قيل : فاكثر السلف على ان الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل ، وكذلك اكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وعروة ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز ، والفراء ، وأبي عبيد ، وثعلب ، وابن الأنباري .

قال ابن الأنباري^(٥١٣) : في قراءة عبد الله : إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم .

(٥١٢) سورة الانفال (٢٣/٨) .

(٥١٣) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٥٤/١) .

وفي قراءة أبي وابن عباس : ويقول الراسخون في العلم ، قال : وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥١٤) .

وقوله : ﴿ وَ قَرُّوْنَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾^(٥١٥) .

فانزل الحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ، ويكفر به الكافر فيشقى .

قال ابن الانباري : والذي روى القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد .

فيقال قول القائل : ان اكثر السلف على هذا قول بلا علم ، فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه .

وعن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت : « كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بحكمه وبمتشابهه ولا يعلمونه »^(٥١٦) .

فقد روى البخاري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها الحديث المرفوع في هذا ، وليس فيه هذه الزيادة ولم يذكر أنه سمعها من القاسم ، بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك ، وكذلك نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم .

وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتاج بها ، والمعروف عن ابن مسعود انه كان يقول :^(٥١٨) ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيماذا أنزلت ، وماذا عني بها .

وقال ابو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن : عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .

(٥١٤) سورة الاحزاب (٦٣/٣٢) . (٥١٧) في تفسير سورة آل عمران (١٦٧/٥) .

(٥١٥) سورة الفرقان (٢٥/٢٨) . (٥١٨) أخرجه الطبري (٣٧/١) وقد مر .

(٥١٦) أخرجه ابن جرير الطبري (١٨٢/٣) . (٥١٩) نفس المرجع (١٢/١) و مر ايضا .

وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير ، وله اسناد معروف ، يخلاف ما ذكر من قراءتها .

وكذلك ابن عباس قد عرف عنه انه كان يقول : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه دعاه بعلم تأويل الكتاب ، فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله: إن تأويله إلا عند الله لا تناقض هذا القول ، فان نفس التأويل لا يأتي به إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾^(٥٢٠)

وقال : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ ﴾^(٥٢١)

وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من التشابه ، وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به ، وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو ، وليس في القرآن : إن علم تأويله إلا عند الله ، كما قال في الساعة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفَقًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ﴾^(٥٢٢)

وكذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ؟ ! قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾^(٥٢٣)

فلو كانت قراءة ابن مسعود تقتضى نفى العلم عن الراسخين لكانت : « ان علم تأويله إلا عند الله » لم يقرأ ان تأويله إلا عند الله ، فان هذا حق بلا نزاع ، وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس ، فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه ، وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد ، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري .

(٥٢٠) سورة الاعراف (٥٢/٧) .

(٥٢١) سورة يونس (٣٩/١٠) .

(٥٢٢) سورة الاعراف (١٨٧/٧ - ١٨٨) .

(٥٢٣) سورة طه (٥١/٢٠ - ٥٢) .

قال الثوري^(٥٢٤): إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير ، وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه : ان تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير ، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد ، الا أن يكون نظيره في الصحة ، ثم معه ما يصدقه ، وهو قوله : عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

وأيضاً فابي بن كعب رضي الله عنه قد عرف عنه انه كان يفسر ما تشابه من القرآن ، كما فسر قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾^(٥٢٥) .
وفسر قوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٥٢٦) .
وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾^(٥٢٧) . وغير ذلك .

وتقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من تقل هذه القراءة التي لا يعرف لها اسناد ، وقد كان يسئل عن التشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر ، وسئل عن ليلة القدر .

وأما قوله : ان الله أنزل الجمل ليؤمن به المؤمن ، فيقال هذا حق ، لكن هل في الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف أن الانبياء والملائكة والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام الجمل ؟ أم العلماء متفقون على أن الجمل في القرآن يفهم معناه و يعرف ما فيه من الاجمال ، كما مثل به من وقت الساعة ، فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة ، وأنها آتية لا محالة ، وان الله انفرد بعلم وقتها ، فلم يطلع على ذلك أحداً ، ولهذا قال النبي ﷺ لما سأله السائل عن الساعة ، وهو في الظاهر أعرابي لا يعرف قال له : متى الساعة ؟ « قال : ما المسئول عنها باعلم من السائل » .

- (٥٢٤) راجع تفسير الطبري (٤٠/١) . (٥٢٥) سورة مريم (١٧/١٩) وتفسيره أخرجه الحاكم (٣٧٢/٢) .
(٥٢٦) سورة النور (٢٥/٢٤) وراجع تفسيره عند الطبري (١٢٥/١٨ - ١٢٨) وانظر الدر المنثور (١٩٧/٦) .
(٥٢٧) سورة الاعراف (١٧٢/٧) أخرجه تفسيره الحاكم في المستدرک (٣٢٣/٢) والطبري (١١٥/٩) وانظر الدر المنثور (٦٠٠/٣) .
(٥٢٨) أخرجه البخاري ومسلم — وهو عند البيهقي في شعب الايمان وانظر تخريجه هناك .

ولم يقل : ان الكلام الذى نزل فى ذكرها لا يفهمه أحد ، بل هذا خلاف
اجماع المسلمين ، بل العقلاء ؛ فان اخبار الله عن الساعة وأشراتها كلام بين
واضح يفهم معناه .

وكذلك قوله : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٥٢٩) قد علم المراد بهذا
الخطاب ، وان الله خلق قرونا كثيرة لا يعلم عددهم إلا الله .

كما قال : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جَنَّاتُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٥٣٠) فأى شيء فى هذا مما يدل
على ان ما اخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا
من الملائكة ولا من الانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم ؟ ! .

وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه انه كان لا يفسر عامة
آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ، ومعلوم أنه إذا لم يعرف عروة
التفسير لم يلزم انه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين ، وعلماء الصحابة ؛
كابن مسعود ، وأبى بن كعب ، وابن عباس . وغيرهم .

وأما اللغويون الذين يقولون ان الراسخين لا يعلمون معنى التشابه فهم
متناقضون فى ذلك ، فان هؤلاء كلهم يتكلمون فى تفسير كل شيء فى القرآن ،
ويتوسعون فى القول فى ذلك ، حتى ما منهم أحد الا وقد قال فى ذلك أقوالا لم
يسبق إليها ، وهى خطأ . وابن الانبارى الذى بالغ فى نصر ذلك القول هو من
أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الاقوال ما لم ينقل
عن أحد من السلف ، ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة ، وقصده
بذلك الانكار على ابن قتيبة ، وليس هو اعلم بمعانى القرآن والحديث ، واتبع
للسنة من ابن قتيبة ، ولا افقه فى ذلك . وان كان ابن الانبارى من احفظ
الناس للغة ؛ لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة .

وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبى عبيد أشياء من تفسيره
غريب الحديث ، وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك ، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله
من أهل العلم ، وهو وأمثاله يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى ، فان كان التشابه
لا يعلم معناه إلا الله ، فهم كلهم يجترئون على الله ، يتكلمون فى شيء لا سبيل
الى معرفته ، وان كان ما بينوه من معانى التشابه قد أصابوا فيه — ولو فى كلمة

سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٥٣٠)

سورة الفرقان (٢٨/٢٥) .

(٥٢٩)

واحدة — ظهر خطوهم في قولهم : ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، ولا يعلمه أحد من المخلوقين ، فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا .

ومعلوم أنهم أصابوا في شيء كثير مما يفسرون به المتشابه ، وأخطأوا في بعض ذلك ، فيكون تفسيرهم هذه الآية بما أخطأوا فيه العلم اليقيني ، فانهم أصابوا في كثير من تفسير المتشابه .

وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، فكتابه في التفسير من أشهر الكتب ، ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه ، ورواية سعيد بن أبي عروبة عنه ، ولهذا كان المصنفون في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل عنه ، ومع هذا يفسر القرآن كله محكه ومتشابه .

والذى اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بان المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع كالجهمية والقدرية من المعتزلة وغيرهم ، فصار أولئك يتكلمون في تأويل القرآن برأيهم الفاسد ، وهذا أصل معروف لأهل البدع ، أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي ، وتأويلهم اللغوى ، فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما اراده الله ورسوله ، فانكار السلف والأئمة هو لهذه التأويلات الفاسدة ، كما قال الامام أحمد في ما كتبه في « الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله »^{*} فهذا الذى أنكره السلف والأئمة من التأويل .

فجاء بعدم قوم انتسبوا إلى السنة بغير خبرة تامة بها ، وبما يخالفها ، وظنوا ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، فظنوا ان معنى التأويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين : وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى المرجوح ، فصاروا في موضع يقولون وينصرون ان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله . ثم يتناقضون في ذلك من وجوه :

أحدها : أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ، ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ، ولهذا يبطلون كل تأويل يخالف الظاهر ، ويقرون المعنى

الظاهر ، ويقولون مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه الا الله والتأويل عندم ما يناقض الظاهر ، فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر ، وقد قرر معناه الظاهر ، وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم ، حتى أنكر ذلك ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى .

ومنها انا وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بنص يخالف قولهم ، لا في مسألة أصلية ، ولا فرعية ، الا تأولوا ذلك النص بتأويلات متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه ، من جنس تأويلات الجهمية والقدرية للنصوص التي تخالفهم ، فإين هذا من قولهم : لا يعلم معاني النصوص المتشابهة الا الله تعالى ؟ ! واعتبر هذا بما تجده في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة في مسائل الصفات والقرآن والقدر ، إذا احتجت المعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض قول هؤلاء ، مثل أن يحتجوا بقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ ﴾^(٥٣١)

﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾^(٥٣٢)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٥٣٣)

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾^(٥٣٤)

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥٣٥)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾^(٥٣٦)

ونحو ذلك ، كيف تجدم يتأولون هذه النصوص بتأويلات غالبها فاسد ، وإن كان في بعضها حق ، فإن كان ما تأولوه حقا ، دل على أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه ، فظهر تناقضهم ، وإن كان باطلا فذلك أبعد لهم .

وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في المحنة الذي قد صار للمسلمين معيارا يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن و تأويلته على غير تأويله) تكلم على معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله آية آية ، وبين معناها ، وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين ، واحتج على أن الله يرى ، وإن

(٥٣١) سورة البقرة (٢/٢٠٥) .

(٥٣٢) سورة الزمر (٣٩/٧) .

(٥٣٣) سورة البقرة (٢/٣٠) .

(٥٣٤) سورة الانعام (٦/١٠٣) .

(٥٣٥) سورة يس (٣٦/٨٢) .

(٥٣٦) سورة البقرة (٢/٣٠) .

القرآن غير مخلوق ، وإن الله فوق العرش ؛ بالحجج العقلية والسمعية ، ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية ، و بين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة ، وفسرها آية آية ، وكذلك لما ناظروه واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية ، وحديثاً حديثاً ، ويبين فساد ما تناولها عليه الزائفون ، ويبين هو معناها ، ولم يقل أحد إن هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها إلا الله ، ولا قال أحد له ذلك ، بل الطوائف كلها مجتمعة على امكان معرفة معناها ، لكن يتنازعون في المراد كما يتنازعون في آيات الأمر والنهي ، وكذلك كان أحد يفسر المتشابه من الآيات والاحاديث التي يحتج بها الزائفون من الخوارج وغيرهم ، كقوله :^(٥٢٧)

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية ، وقول الخوارج ، والمعتزلة .

وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابه على قولها ، ولم يقل أحد لا من أهل السنة ، ولا من هؤلاء ، لما يستدل به هو ، أو يستدل به عليه منازعه : هذه آيات وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر ، فامسكوا عن الاستدلال بها :

وكان الامام أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال بسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ، والتابعين ، الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن ، كما بلغهم ألفاظه ، وتقلوا هذا كما تقلوا هذا ، لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ، ويدعون ان هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون ، وهم مبطلون في ذلك ، لا سيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة ، وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم .

ولكن هؤلاء يعترفون بانهم لا يعلمون التأويل ، وانما غايتهم أن يقولوا : ظاهر هذه الآية غير مراد ، ولكن يحتمل ان يراد كذا ، وأن يراد كذا ، ولو تأولوا الواحد منهم بتأويل معين ، فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله ، بل يجوز

(٥٢٧) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وراجع تخريجه في شعب الايمان للبيهقي .

أن يكون مراد الله و رسوله عندهم غير ذلك ، كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب ، كما يذكرونه في قوله : ﴿ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ^(٥٣٨) .

و « ينزل ربنا » ^(٥٣٩) .

﴿ وَ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٥٤٠) .

﴿ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ .

﴿ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥٤١) .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٥٤٢) .

وامثال ذلك من النصوص فان غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك ، وليس هذا علما بالتأويل ، وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ، ولم يعرف المراد ، فانه لم يعرف تفسير ذلك و تأويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد .

ومن زعم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تفيد العلم ، فمضون مدلولاته لا يعلم احد تفسير الحكم ، و لا تفسير التشابه ، و لا تأويل ذلك ، وهذا اقرار منه على نفسه بانه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل التشابه ، فضلا عن تأويل الحكم ، فاذا انضم إلى ذلك أن يكون كلامهم في العقلية فيه من السفسطة والتلبس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لا معرفة بالسمعية ولا بالعقلية ، وقد أخبر الله عن أهل النار انهم قالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٥٤٣) .

ومدح الذين إذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يفقهون و يعقلون ، و ذم الذين لا يفقهون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه ،

(٥٣٨) سورة الفجر (٢٢/٨٩) .

(٥٣٩) حديث النزول يروى بطرق متعددة . راجع شعب الايمان — وانظر شرح حديث النزول للمؤلف .

(٥٤٠) سورة طه (٥/٢٠) .

(٥٤١) سورة الفتح (٦/٤٨) .

(٥٤٢) سورة يس (٨٢/٣٦) .

(٥٤٣) سورة الملك (١٠/٦٧) .

وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق ، وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات ، وهم يجعلون ألفاظاً لهم جملة متشابهة تتضمن حقاً و باطلاً ، يجعلونها هي الأصول المحكمة ، و يجعلون ما عارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندهم إلا الله ، وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد ، فيجعلون البراهين شبهات ، والشبهات براهين ، كما قد بسط ذلك في موضع آخر .

وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد أنه قال : الحكم ما استقل بنفسه ، ولم يحتاج الى بيان ، والمتشابه ما احتاج الى بيان ، وكذلك قال الامام احمد في رواية .

والشافعي قال : الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحداً ، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوهاً وكذلك قال الامام احمد ، وكذلك قال ابن الانباري : الحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهها واحداً ، والمتشابه الذي تعتوره التأويلات فيقال حينئذ فجميع الأمة سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القرآن التي تحتمل التأويلات .

وهؤلاء الذين ينصرون أن الراسخين في العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاماً فيه .

والائمة كالشافعي وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معاني ، ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة في جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية ، ولا يعرف عن عالم من علماء المسلمين أنه قال عن نص احتج به محتج في مسألة : ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ، ولو قال أحد ذلك لقل له مثل ذلك ، واذا ادعى في مسائل النزاع المشهورة بين الائمة ان نصه محكم يعلم معناه ، وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه ، قوبل بمثل هذه الدعوى ، وهذا بخلاف قولنا : ان من النصوص ما معناه جلي واضح ظاهر لا يحتمل إلا وجهها واحداً لا يقع فيه اشتباه ، ومنها ما فيه خفاء ، واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم ، فان هذا تفسير صحيح ، وحينئذ فالخلف في المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه ، فمن قال انه يعرف معناه يبين حجته على ذلك .

(٥٤٤) راجع تفسير ابن الجوزي (٢٥١/١) .

وايضا فما ذكره السلف والخلف في التشابه يدل على انه كله يعرف معناه .
فمن قال : ان التشابه هو المنسوخ فعنى المنسوخ معروف ، وهذا القول مأثور عن
ابن مسعود ، وابن عباس وقتادة ، والسدى وغيرهم^(٥٤٥)

وابن مسعود وابن عباس ، وقتادة ، هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في
العلم لا يعلمون تأويله ، ومعلوم قطعاً باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى
المنسوخ ؛ وأنه منسوخ ، فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ، ويدل على
أنه كذب ان كان هذا صدقاً ، والا تعارض النقلان عنهم ، والمنقول عنهم ان
الراسخين يعلمون معنى التشابه .

والقول الثاني مأثور عن جابر بن عبد الله^(٥٤٦) أنه قال : المحكم ما علم العلماء
تأويله ، والتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل ، كقيام الساعة ، ومعلوم
ان وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمون على انه لا يعلمه إلا الله ، فاذا أريد
بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله إلا الله ، وهذا حق ،
ولا يدل ذلك على انه لا يعرف معنى الخطاب بذلك ، وكذلك ان اريد
بالتأويل حقائق ما يوجد ، وقيل لا يعلم كيفية ذلك إلا الله ، فهذا قد
قدمناه ، وذكر انه على قول هؤلاء من وقف عند قوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ ﴾ هو الذي يجب أن يراد بالتأويل . وأما ان يراد بالتأويل التفسير ،
ومعرفة المعنى ويوقف على قوله إلا الله ، فهذا خطأ قطعاً مخالف للكتاب
والسنة ، وإجماع المسلمين .

ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ، ويقول ما
يناقضه . وهذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ، ويوجب
القدح في الرسالة ، ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه ، وحقيقته بل
اطلقوه وكان أكبر قصدم دفع تأويلات أهل البدع للتشابه . وهذا الذي
قصدوه حق ، وكل مسلم يوافقهم عليه ؛ لكن لا ندفع باطلاً بباطل آخر ، ولا
نرد بدعة بيدعة ، ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال : الرسول ﷺ
والصحابه كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ، ففي هذا من الطعن في
الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض
الآيات ، والعاقل لا يبنى قصراً ويهدم مصراً .

(٥٤٦) نفس المرجع (١٧٥/٣) .

(٥٤٥) راجع تفسير الطبري (١٧٢/٣ - ١٧٣) .

والقول الثالث : ان المتشابه الحروف المقطعة في اوائل السور ، يروى هذا عن ابن عباس^(٥٤٧) ، وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الاسمية والفعلية ، وانما هي اسماء موقوفة ، ولهذا لم تعرب ، فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما نطق بها موقوفة ، كما يقال : ا ب ت ث ، ولهذا تكتب بصورة الحرف ، لا بصورة الاسم الذي ينطق به ، فانها في النطق اسماء ، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد ، قالوا : زاء ، قال : نطقتم بالاسم ، وانما النطق بالحرف زه ، فهي في اللفظ أسماء ، وفي الخط حروف مقطعة ، ﴿الم﴾ لاتكتب الف لام ميم ، كما يكتب قول النبي ﷺ « من قرأ القرآن فاعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول — حرف — ولكن « الف » حرف ، و « لام » حرف ، و « ميم » حرف » .^(٥٤٨)

والحرف في لغة الرسول ﷺ واصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلًا وحرفًا ، ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل . فانه لما كان معروفًا من اللغة ان الاسم حرف ، والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل ، وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام .

واما حروف الهجاء فتلك انما تكتب على صورة الحرف المجرد ، وينطق بها غير معربة ، ولا يقال فيها معرب ولا مبني ؛ لأن ذلك انما يقال في المؤلف ، فاذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود ، فانه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، ثم يقال : هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس ، فان كان معناها معروفًا فقد عرف معنى المتشابه ، وان لم يكن معروفًا وهي المتشابه كان ما سواه معلوم المعنى . وهذا المطلوب .

(٥٤٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣٥١/١) .

(٥٤٨) رواه الترمذي عن ابن مسعود ولفظه : من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة عشر أمثالها لأقول « الم » حرف ٠٠٠ (١٧٥/٥) واخرجه الحاكم بنحوه (٥٦٦/١) .

وايضا فان الله تعالى قال : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^(٥٤٩) وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء ، وإنما يعدها آيات الكوفيون .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح : يدل على ان غيرها ايضا متشابه ، ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء .

والرابع : أن التشابه ما اشتبهت معانيه ، قاله مجاهد^(٥٥٠) ، وهذا يوافق قول أكثر العلماء ، وكلهم يتكلم في تفسير هذا التشابه ، ويبين معناه .

والخامس : أن التشابه ما تكررت الفاظه ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم^(٥٥١) .

قال المحكم : ما ذكر الله تعالى في كتابه ، من قصص الانبياء ففصله وبينه ، والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح : ﴿ أَخْمِلْ فِيهَا ﴾^(٥٥٢) .

وقال في موضع آخر : ﴿ أَسْأَلُكَ فِيهَا ﴾^(٥٥٣) .
وقال في عصى موسى : ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾^(٥٥٤) .
وفي موضع آخر : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾^(٥٥٥) .

وصاحب هذا القول جعل التشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، كما يشتهه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذاك اللفظ ، وقد صنف بعضهم في هذا التشابه ، لأن القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين ، فاشتبه على القارى أحد اللفظين بالآخر ، وهذا التشابه لا ينفي معرفة المعاني بلا ريب ، ولا يقال في مثل هذا ان الراسخين يختصون بعلم تأويله ، فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا ، وان كان ضعيفا لم يضرنا .

(٥٤٩) سورة آل عمران (٧/٣) . (٥٥٠) أخرجه الطبرى (١٧٣/٣) وراجع تفسير ابن الجوزى (٣٥١/١) .

(٥٥١) راجع تفسير ابن الجوزى وتفسير الطبرى (١٧٤/٣) .

(٥٥٢) سورة هود (٤٠/١١) .

(٥٥٣) سورة المؤمنون (٢٧/٢٣) .

(٥٥٤) سورة طه (٢٠/٢٠) .

(٥٥٥) سورة الشعراء (٣٢/٢٦) .

والسادس : انه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد .

والسابع : انه ما احتمل وجوها ، كما نقل عن الشافعى ، واحمد ، وقد روى عن ابي الدرداء رضى الله عنه انه قال ، ^(٥٥٦) إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها .

وقد صنف الناس ^(٥٥٧) « كتب الوجوه والنظائر » فالنظائر اللفظ الذى اتفق معناه فى الموضعين ، وأكثر . والوجوه : الذى اختلف معناه ، كما يقال الاسماء المتواطئة والمشاركة ، وان كان بينهما فرق ، ولبسطه موضع آخر .

وقد قيل : هى نظائر فى اللفظ ومعانيها مختلفة ، فتكون كالمشاركة ، وليس كذلك ؛ بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الاول : وقد تكلم المسلمون سلفهم و خلفهم فى معانى الوجوه ، وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل وجوها فلم يقينا ان المسلمين متفقون على ان جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه و علم ان من قال ان من القرآن مالا يفهم أحد معناه ، ولا يعرف معناه إلا الله ، فانه مخالف لاجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة .

والثامن : أن المتشابه هو القصص والامثال وهذا ايضا يعرف معناه .

والتاسع : انه ما يؤمن به ولا يعمل به ، وهذا ايضا مما يعرف معناه .

والعاشر : قول بعض المتأخرين إن المتشابه آيات الصفات ، وأحاديث الصفات ، وهذا ايضا مما يعلم معناه ، فان اكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على انه يعرف معناها ، والبعض الذى تنازع الناس فى معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ، ونفوا علم الناس بكيفيته : كقول مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وكذلك قال سائر ائمة السنة . وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم ، وبين الكيف المجهول ، فان سمي الكيف تأويلا ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه الا الله ، كما قدمناه أولا .

واما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا ، وقيل : ان النبي ﷺ وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا

(٥٥٦) أخرجه أحمد فى الزهد (١٣٤) ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية (٢١١/١) .

(٥٥٧) راجع كتاب الاتقان للسيوطى (١٤٢/١) .

- يعرفون معنى قوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(٥٥٨) .
- ولا يعرفون معنى قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ^(٥٥٩) .
- ولا معنى قوله : ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٥٦٠) .
- بل هذا عندهم بمنزلة الكلام المجمل ، الذي لا يفهمه العربي . وكذلك إذا قيل كان عندهم قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ^(٥٦١) .
- وقوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ^(٥٦٢) .
- وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ^(٥٦٣) .
- وقوله : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ^(٥٦٤) .
- وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ ^(٥٦٥) .
- وقوله : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٥٦٦) .
- وقوله : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٥٦٧) .
- وقوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ^(٥٦٨) .
- وقوله : ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ^(٥٦٩) .
- وقوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ^(٥٧٠) .
- وقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ^(٥٧١) .
- وقوله : ﴿وَ جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ^(٥٧٢) .
- وقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ^(٥٧٣) .

(٥٥٨)	سورة طه (٥/٢٠) .	(٥٦٤)	سورة المجادلة (٢٢/٥٨) .	(٥٧٠)	سورة النمل (٨/٢٧) .
(٥٥٩)	سورة ص (٧٥/٣٨) .	(٥٦٥)	سورة محمد (٢٨/٤٧) .	(٥٧١)	سورة البقرة (٢/٢١٠) .
(٥٦٠)	سورة الفتح (٦/٤٨) .	(٥٦٦)	سورة البقرة (٢/١٩٥) .	(٥٧٢)	سورة الفجر (٢٢/٨٩) .
(٥٦١)	سورة الزمر (٦٧/٣٩) .	(٥٦٧)	سورة التوبة (٩/١٠٥) .	(٥٧٣)	سورة الانعام (٦/١٥٨) .
(٥٦٢)	سورة الانعام (٦/١٠٤) .	(٥٦٨)	سورة الزخرف (٣/٤٣) .		
(٥٦٣)	سورة النساء (٤/١٣٤) .	(٥٦٩)	سورة التوبة (٩/٦) .		

وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٥٧٤)
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥٧٥) . الى
 أمثال هذه الآيات .

فمن قال عن جبريل و محمد صلوات الله و سلامه عليهما ، وعن الصحابة
 والتابعين لهم باحسان ، وائمة المسلمين والجماعة : أنهم كانوا لا يعرفون شيئا من
 معاني هذه الآيات ، بل استأثر الله بعلم معناها ، كما استأثر بعلم وقت الساعة ،
 وانما كانوا يقرأون ألفاظا لا يفهمون لها معنى ، كما يقرأ الانسان كلاما لا يفهم
 منه شيئا ، فقد كذب على القوم ؛ والنقول المتواترة عنهم تدل على تقيض هذا ،
 وانهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن ، وان كان كنهه الرب
 عزوجل لا يحيط به العباد ، ولا يحصون ثناءً عليه ، فذاك لا يمنع أن يعلموا
 من اسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى ، كما انهم اذا علموا أنه بكل شيء
 عليم ، وانه على كل شيء قدير ، لم يلزم ان يعرفوا كيفية علمه وقدرته . واذا
 عرفوا انه حق موجود لم يلزم ان يعرفوا كيفية ذاته .

وهذا مما يستدل به على ان الراسخين في العلم يعلمون التأويل ، فان الناس
 متفقون على انهم يعرفون تأويل الحكم ، ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما اخبر
 الله به عن نفسه في الآيات المحكمات ، فدل ذلك على ان عدم العلم بالكيفية لا
 ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه ؛ بل يعلمون تأويل
 الحكم والمتشابه ، ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ، ولا في هذا .

فان قيل : هذا يقدر فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به
 التفسير ، وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى .

قيل لا يقدر في ذلك ، فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في
 القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام ، فان الشيء
 له وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في
 البيان ، فالكلام لفظ له معنى في القلب ، ويكتب ذلك اللفظ بالخط ، فاذا
 عرف الكلام وتصور معناه في القلب ، وعبر عنه باللسان ، فهذا غير الحقيقة
 الموجودة في الخارج ، وليس كل من عرف الاول ، عرف عين الثاني .

مثال ذلك : أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ وخبره ونعته ، وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره ، وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث ، فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام ، وكذلك الانسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمسجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ، ولا يعرف أعيان الأمكنة حتى يشاهدها ، فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله : ﴿ وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .^(٥٧٦)

وكذلك ارض عرفات هي المذكورة في قوله : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ .^(٥٧٧)

وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأزمي عرفة ، ووادي محسر ، يعرف أنها المذكورة في قوله : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ .

وكذلك الرؤيا يراها الرجل ، ويذكر له العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره : مثل أن يقول : هذا يدل على انه كان كذا ، ويكون كذا وكذا ، ثم اذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ، ولهذا قال يوسف الصديق : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ .^(٥٧٨)

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ .^(٥٧٩)

فقد أنبأها بالتأويل قبل أن يأتي التأويل ، والانباء ليس هو التأويل ، فالنبي ﷺ عالم بالتأويل ، وان كان التأويل لم يقع بعد ، وان كان لا يعرف متى يقع ، فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد ، وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ الآية .^(٥٨٠)

وقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ .^(٥٨١)

(٥٨٠) سورة الاعراف (٥٢/٧) .

(٥٨١) سورة الانعام (٦٧/٦) .

(٥٧٦) سورة آل عمران (٩٧/٣) .

(٥٧٧) سورة البقرة (١٩٨/٢) .

(٥٧٨) سورة يوسف (١٠٠/١٢) .

(٥٧٩) سورة يوسف (٣٧/١٢) .

فنحن نعلم مستقرباً الله ، وهو الحقيقة التي أخبر الله بها . ولا نعلم متى يكون ، وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها ، وسواء في هذا تأويل الحكم والمتشابه . كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَ يُذِيقَ بَغْضَكُمْ بَأْسًا بَعْضٍ ﴾ ^(٥٨٢) .

قال النبي ﷺ إنها كائنة ، ولم يات تأويلها بعد ^(٥٨٣) .

فقد عرف تأويلها ، وهو وقوع الاختلاف والفتن ، وإن لم يعرف متى يقع ، وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته ، فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية ، وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان عرفه ، فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن ، فانه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٥٨٤) .

قال الزبير ^(٥٨٥) : لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما ارانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

وايضا فان الله قد ذم في كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه ، وذم من لم يتدبره ، ومدح من يسمعه ويفقهه ، فقال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ﴾ الآية ^(٥٨٦) .

فاخبر انهم كانوا يقولون لأهل العلم : ماذا قال الرسول في هذا الوقت المتقدم فدل على أن أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون من معاني كلام رسول الله ﷺ ما لا يعرفه غيرهم ، وهؤلاء هم الراسخون في العلم الذين يعلمون معاني القرآن محكمه ومتشابهه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ^(٥٨٧) .

فدل على أن العالمين يعقلونها ، وإن كان غيرهم لا يعقلها .

(٥٨٢) سورة الانعام (٦٥/٦) .

(٥٨٣) أخرجه أحمد (١٧١/١) والترمذي (٢٦٢/٥) وقد مر .

(٥٨٤) سورة الانفال (٢٥/٨) .

(٥٨٥) راجع تفسير ابن الجوزي (٣٤١/٣) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١٨/٩) وانظر الدر المنثور (٤٦/٤) .

(٥٨٦) سورة محمد (١٦/٤٧) . (٥٨٧) سورة العنكبوت (٤٣/٢٩) .

والامثال : هي التشابه عند كثير من السلف . وهي الى التشابه اقرب من غيرها لما بين المثل والمثل به من التشابه ، وعقل معناها هو معرفة تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم ، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٥٨٨)

فلولا انهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا أنه حق وباطل ، وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق أو باطل ؟ !

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٥٨٩)
وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٥٩٠)

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٥٩١)

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (٥٩٢)

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُمَيَّا نًا ﴾ (٥٩٣)

وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥٩٤)
وقال : ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٥٩٥)

وقال : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا ﴾ (٥٩٦) الى قوله : ﴿ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ .

(٥٩٢) سورة الفرقان (٧٣/٢٥) .

(٥٩٤) سورة يوسف (٢/١٢) .

(٥٩٥) سورة هود (١/١١) .

(٥٩٦) سورة فصلت (٣/٤١ - ٥) .

(٥٨٨) سورة سبا (٦/٣٤) .

(٥٨٩) سورة محمد (٢٤/٤٧) .

(٥٩٠) سورة النساء (٨٢/٤) .

(٥٩١) سورة المؤمنون (٦٨/٢٣) .

(٥٩٢) سورة الزمر (١٧/٣٩ - ١٨) .

فاذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يكن التدبر المعقول الا بعضه ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن ، لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كآيات الخيرية ، والاخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار ، وعن نفى الشركاء والاولاد عن الله ، وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا واثباتا ، وما يخبرهم به عن اليوم الآخر ، وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره .

فعلم ان الله يأمر بعقل ذلك و تدبره ، وقد قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَ لَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ﴾^(٥٩٧) .
 وقال : ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾^(٥٩٨) .
 وقال تعالى : ﴿ وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ، وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ الآية .^(٥٩٩)

وقد استدل بعضهم بان الله لم ينف عن غيره علم شيء الا كان منفردا به ،
 كقوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٦٠٠) .
 وقوله : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لَوَفَّتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٦٠١) .
 وقوله : ﴿ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٦٠٢) .

فيقال ليس الامر كذلك ، بل هذا بحسب العلم المنفى ، فان كان مما استأثر الله به قيل فيه ذلك ، وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك ، كقوله :
 ﴿ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٦٠٣) .
 وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ الى قوله :
 ﴿ وَ رَصَدًا ﴾^(٦٠٤) .

(٦٠١) سورة الاعراف (١٨٧/٧) .

(٥٩٧) سورة يونس (٤٢/١٠ - ٤٣) .

(٦٠٢) سورة المدثر (٣١/٧٤) .

(٥٩٨) سورة الانعام (٢٥/٦) .

(٦٠٣) سورة البقرة (٢٥٥/٢) .

(٥٩٩) سورة الاسراء (٤٥/١٧ - ٤٦) .

(٦٠٤) سورة الجن (٢٦/٧٢ - ٢٧) .

(٦٠٠) سورة النمل (٦٥/٢٧) .

وقوله : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ﴾^(٦٠٥)

وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ ﴾^(٦٠٦)

وقوله : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ الى قوله :
﴿ شَهِيدًا ﴾^(٦٠٧)

وقوله : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^(٦٠٨)

وقال للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٦٠٩)

وقالت الملائكة : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾^(٦١٠)

وفي كثير من كلام الصحابة : الله ورسوله اعلم .

وفي الحديث المشهور^(٦١١) : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته
في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » .

وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ ﴾^(٦١٢) ، واول النزاع النزاع في معاني القرآن ، فان لم يكن الرسول عالما

بمعانيه امتنع الرد اليه ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة

الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه وتعبر عن مجمله ، وانها تفسر

محمل القرآن من الامر والخبر . وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ

اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ الى قوله : ﴿ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

(٦٠٥) سورة الرعد (٤٣/١٣) .

(٦٠٦) سورة آل عمران (١٨/٣) .

(٦٠٧) سورة النساء (١٦٦/٤) .

(٦٠٨) سورة الكهف (٢٢/١٨) .

(٦٠٩) سورة البقرة (٣٠/٢) .

(٦١٠) سورة البقرة (٣٢/٢) .

(٦١١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥٢،٣٩١/١) عن ابن مسعود .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦/١٠) ونسبه لأحمد وإبى يعلى والبزار وقال : « رجال أحمد وإبى يعلى
رجال الصحيح غير أبى سلمة الجهني ، وقد وثقه ابن حبان » .

ورواه الحاكم (٥٠٩/١ - ٥١٠) وراجع كلام الشيخ أحمد بن شاکر في المسند (٣٧١٢) في تصحيح هذا الحديث .

(٦١٢) سورة النساء (٥٩/٤) . (٦١٣) سورة البقرة (٢١٣/٢) .

ومن اعظم الاختلاف الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايان
بالله واليوم الآخر ، فلا بد ان يكون الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه
من ذلك ، ويمتنع ان يكون حاكما ان لم يكن معرفة معناه ممكنا ، وقد نصب
الله عليه دليلا ، والا فالحاكم الذى لا يبين ما فى نفسه لا يحكم بشيء ، وكذلك اذا
قيل هو الحاكم بالكتاب ، فان حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل ، وهذا
انما يكون بالبيان ، وقد قال تعالى فى القرآن : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾^(٦١٤) .
اى فاصل يفصل بين الحق والباطل ، فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى
معرفة معناه سبيل ؟ ! .

وايضا فان الله قال : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ
وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(٦١٥) .
فدم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، كما ذم الذين يحرفون معناه
ويكذبون ، فقال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ الى قوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٦١٦) .
فهذا أحد الصنفين ، ثم قال تعالى : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ
الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ ﴾ أى تلاوة ﴿ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .
ثم ذم الذين يفترون كتباً يقولون هى من عند الله ، وما هى من عند
الله ، فقال : ﴿ قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الى قوله :
﴿ يَكْسِبُونَ ﴾^(٦١٧) .

وهذه الاصناف الثلاثة تستوعب أهل الضلال والبدع ، فان أهل البدع
الذين ذمهم الله ورسوله نوعان :

أحدهما : عالم بالحق يتعمد خلافه .

والثانى : جاهل متبع لغيره .

(٦١٤) سورة الطارق (١٣/٨٦) .

(٦١٥) سورة البقرة (٧٨/٢) .

(٦١٦) سورة البقرة (٧٥/٢ - ٧٦) .

(٦١٧) سورة البقرة (٧٩/٢) .

فالاولون : يبتدعون ما يخالف كتاب الله ، ويقولون هو من عند الله ، إما أحاديث مفتريات ، وإما تفسير تأويل للنصوص باطل ، ويعضدون ذلك بما يدعون من الراى والعقل ، وقصدهم بذلك الرياسة والمآكل ، فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل ، وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك ، وهؤلاء اذا عورضوا بنصوص الكتب الالهية ، وقيل لهم هذه تخالفكم ، حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَتَعْلَمُونَ أَنَّ يَوْمِئِذٍ لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ قَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وأما النوع الثانى : الجهال . فهؤلاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وان هم الا يظنون . فمن ابن عباس^(٦١٨) وقتادة فى قوله : ﴿ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ أى غير عارفين بمعانى الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه ، وقوله : ﴿ إِلَّا أَمَانِي ﴾ أى تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه الكتاب ، انما يقتصرون على ما يسمعون يتلى عليهم ، قاله الكسائى والزجاج ، وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب ، ولا كتابته الا امانى : الا ما يحدثهم به علماءهم .

وقال ابو روق وابو عبيدة : أى تلاوة وقراءة عن ظهر القلب ، ولا يقرأونها فى الكتب ، ففى هذا القول جعل الامانى التى هى التلاوة تلاوة الاميين أنفسهم ، وفى ذلك جعله ما يسمعون من تلاوة علمائهم ، وكلا القولين حق ، والآية تعمها فانه سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . لم يقل لا يقرأون ولا يسمعون ، ثم قال : ﴿ إِلَّا أَمَانِي ﴾ وهذا استثناء منقطع . لكن يعلمون امانى إما بقراءتهم لها ، وإما بسماعهم قراءة غيرهم .

وان جعل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب الا علم امانى ، لا علم تلاوة فقط بلا فهم ،

(٦١٨) راجع تفسير ابن جرير (٣٧٥/١) وتفسير ابن الجوزى (١٠٥/١) وتفسير ابن كثير (١١٦/١ - ١١٧) .

(٦١٩) راجع تفسير البغوى (٧٧/١) .

والاماني جمع أمنيّة وهي التلاوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾^(٦٢٠)

قال الشاعر : ^(٦٢١)

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

والاميون نسبة الى الأمة ، قال بعضهم الى الامة وما عليه العامة ، فعنى الامى العامى الذى لا تميز له ، وقد قال الزجاج هو على خلق الامة التى لم تتعلم ، فهو على جبلته ، وقال غيره هو نسبة الى الامة ؛ لأن الكتابة كانت فى الرجال دون النساء و لأنه على ما ولدته أمه .

والصواب : انه نسبة الى الامة كما يقال عامى نسبة الى العامة التى لم تتميز عن العامة بما تمتاز به الخاصة ، وكذلك هذا لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ، ويقال الأمى لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرأونه وان كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل ؛ وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين ، فانه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ اسْلَمْتُمْ فَإِنْ اسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۝ ﴾^(٦٢٣)

وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ۝ ﴾^(٦٢٤)

وقد كان فى العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب ، وكلهم اميون . فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار انهم لا يقرأون كتابا من حفظهم ، بل

(٦٢٠) سورة الحج (٥٢/٢٢) .

(٦٢١) هو كعب بن مالك يرقى عثمان بن عفان .
والبيت فى تفسير القرطبي (٦/٢) واللسان « منى » .

(٦٢٢) راجع اللسان « امم » .

(٦٢٣) سورة آل عمران (٢٠/٣) .

(٦٢٤) سورة الجمعة (٢/٦٢) .

هم يقرأون القرآن من حفظهم ، وانا جيئهم في صدورهم ، لكن بقسوا أميين باعتبار انهم لا يحتاجون الى كتابة دينهم ، بل قرآنهم محفوظ في قلوبهم ، كما في الصحيح عن عياض بن حمار الجاشعي عن النبي ﷺ انه قال « خلقت عبادي يوم خلقتهم خنفاء — وقال فيه — إني مبتليكم و مبتلي بك ، وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤة نائما ويقظانا » .

فأمتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم ، بل لو عُدِمَت المصاحف كلها كان القرآن محفوظا في قلوب الامة ، وبهذا الاعتبار فالمسلمون أمة أمية بعد نزول القرآن وحفظه . كما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ انه قال : « إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب ؛ الشهر هكذا وهكذا » .

فلم يقل إنا لا نقرأ كتابا ، ولا نحفظ ، بل قال : لا نكتب ولا نحسب ، فديننا لا يحتاج ان يكتب و يحسب ، كما عليه أهل الكتاب من انهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرم بكتاب وحساب ، ودينهم معلق بالكتب لو عُدِمَت لم يعرفوا دينهم ، ولهذا يوجد أكثر أهل السنة يحفظون القرآن والحديث أكثر من أهل البدع ، وأهل البدع فيهم شبهة بأهل الكتاب من بعض الوجوه .

وقوله : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ﴾ ^(١٢٧) هو أمي بهذا الاعتبار ؛لانه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب ، لا باعتبار انه لا يقرأ من حفظه ، بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ ، والاممي في اصطلاح الفقهاء خلاف القاريء ، وليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الاول ، ويعنون به في الغالب من لا يحسن الفاتحة ، فقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ ^(١٢٨)

اي لا يعلمون الكتاب الا تلاوة لا يفهمون معناها ، وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبل ، وانما يسمع أمانى علما ، كما قال ابن السائب ،

(١٢٥) رواه مسلم في الجنة (٢١٩٧/٣) ولفظه مختلف عما هنا ، وكذا أخرجه احمد (١٦٢/٤) .

(١٢٦) أخرجه البخارى في الصوم (٢٣٠/٢) وكذا مسلم (٧٦١/١) وأبو داود (٧٣٩/٢) والنسائي (١٣٩/٤ - ١٤٠) واحد في مسنده (١٢٢، ٥٢، ٤٢/٢) .

(١٢٧) سورة الاعراف (١٥٨/٧) .

(١٢٨) سورة البقرة (٧٨/٢) .

ويتناول من يقرأه عن ظهر قلبه ولا يقرأه من الكتاب ، كما قال ابو روق ،
وابو عبيدة .

وقد يقال : ان قوله : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى الخط ، أى لا
يحسنون الخط ، وانما يحسنون التلاوة ، ويتناول ايضا من يحسن الخط والتلاوة
ولا يفهم ما يقرأه ويكتبه ، كما قال ابن عباس وقتادة : غير عارفين بمعانى
الكتاب ، يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه . والكتاب هنا
المراد به : الكتاب المنزل ، وهو التوراة ، ليس المراد به الخط ، فانه قال :
﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

فهذا يدل على انه نفى عنهم العلم بمعانى الكتاب ، والا فكون الرجل لا
يكتب بيده لا يستلزم ان يكون لا علم عنده ، بل يظن ظنا ، بل كثير ممن
يكتب بيده لا يفهم ما يكتب ، وكثير ممن لا يكتب يكون عالما بمعانى ما
يكتبه غيره .

وايضا فان الله ذكر هذا فى سياق الذم لهم ، وليس فى كون الرجل لا يخط
ذم اذا قام بالواجب ، وانما الذم على كونه لا يعقل الكتاب الذى انزل اليه ،
سواء كتبه وقرأه او لم يكتبه ولم يقرأه ، كما قال النبي ﷺ : « هذا أَوَانُ يَرْفَعُ
الْعِلْمَ . فقال له زياد بن ليلى : كيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله
لنقرأه ولنقرئنه نساءنا ، فقال له : إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ،
أو ليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى ؟ فإذا تَغْنَى عنهم ؟ » .
وهو حديث معروف ، رواه الترمذى^(٦٢٩) ، وغيره ،

ولانه قال تعالى قبل هذا : ﴿ وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ
اللّٰهِ ثُمَّ يَحَرِّفُوْنَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ ﴾^(٦٣٠) .

فاولئك عقلوه ثم حرّفوه ، وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقلوبهم
ويكتبونه ويقرأونه حفظا وكتابة ، أو لم يكونوا كذلك ، فكان من المناسب ان
يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه الا امانى ، فان القرآن انزله الله
كتابا متشابهة مثنى ، ويذكر فيه الاقسام والامثال فيستوعب الاقسام ، فيكون

(٦٢٩) أخرجه فى العلم من حديث ابى الدرداء (٣١/٥) وأخرجه احمد (٢١٩/٤) وابن ماجة فى الفتن (١٣٤٤/٢) رقم
(٤٠٤٨) من حديث زياد بن ليلى - والدارمى من حديث ابى امامة (٧٧) .

(٦٣٠) سورة البقرة (٧٥/٢) .

مثنى ؛ ويذكر الامثال فيكون متشابهاً ، وهؤلاء وان كانوا يكتبون ويقرأون فهم أميون من اهل الكتاب ، كما نقول نحن لمن كان كذلك هو أمي ، وساذج ، وعامي ، وان كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب اذا كان لا يعرف معناه .

واذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب الا تلاوة دون فهم معانيه ، كما ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهو يعلمون ، دل على ان كلا النوعين مذموم : الجاهل الذي لا يفهم معاني النصوص ، والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه ، وهذا حال اهل البدع ، فانهم احد رجلين :

إما رجل يحرف الكلم عن مواضعه ، ويتكلم برأيه ، ويؤوله بما يضيفه الى الله فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله ، ويجعلون تلك المقالات التي ابتدعوها هي مقالة الحق ، وهي التي جاء بها الرسول ، والقي كان عليها السلف ، ونحو ذلك ، ثم يحرفون النصوص التي تعارضها . فهؤلاء اذا تعمّدوا ذلك ، وعلموا ان الذي يفعلونه يخالف للرسول ، فهم من جنس هؤلاء اليهود ، وهذا يوجد في كثير من الملاحدة ، ويوجد في بعض الاشياء في غيرهم . واما الذين قصدوا اتباع الرسول باطنا وظاهرا ، وغلطوا فيما كتبوه وتأولوه فهؤلاء ليسوا من جنسهم ؛ لكن قد وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل ، كما قيل : إِذَا زَلَّ الْعَالَمُ زَلٌّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ ، وهذا حال متأولين من هذه الامة .

و إما رجل مُقلّد أمي لا يعرف من الكتاب الا ما يسمعه منهم ، او ما يتلوه هو ، ولا يعرف الا امانى وقد ذمه الله على ذلك ، فعلم ان الله ذم الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه ، كما صرح القرآن بذهمهم في غير موضع ، فيمتنع مع هذا أن يقال : إنّ اكثر القرآن او كثيرا منه لا يعلمه احد من الخلق الا امانى ، لاجبريل ولا محمد ولا الصحابة ولا احد من المسلمين ، فان هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيما ذمهم الله به .

فان قيل : أفلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية ؟

قيل : نعم ، لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية ، وعلى كل مسلم

معرفة ما لا بد منه ، وهؤلاء ذمهم الله لأنهم لا يعلمون معاني الكتاب الا تلاوة ،
وليس عندهم الا الظن ، وهذا يشبه قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ
مُرِيبٍ ﴾^(٦٣١)

فان قيل : فقد قال بعض المفسرون : ﴿ إِلَّا أَمَانِي ﴾ إلا ما يقولونه
بافواههم كذبا وباطلا ، وروى هذا عن بعض السلف واختاره الفراء . وقال :
﴿ الْأَمَانِي ﴾ الأكاذيب المفتعلة ، قال بعض العرب لابن دأب — وهو
يحدث — : أهذا شيء رَوَيْتَهُ أَمْ تَمَنَيْتَهُ أَيْ افْتَعَلْتَهُ ؛ فاراد بالاماني الاشياء التي
كتبها علماءهم من قبل انفسهم ثم اضافوها الى الله من تغيير صفة محمد ﷺ ،
وقال بعضهم : ﴿ الْأَمَانِي ﴾ يَتَمَنُونَ على الله الباطل والكذب ، كقولهم :
﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾^(٦٣٢)
وقولهم : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^(٦٣٣)
وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾^(٦٣٤)
وهذا ايضا يروى عن بعض السلف .

قيل : كلا القولين ضعيف . والصواب الاول ؛ لانه سبحانه قال :
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾^(٦٣٥)
وهذا الاستثناء اما أن يكون متصلا او منقطعا ، فان كان متصلا لم يجز
استثناء الكذب ولا امانى القلب من الكتاب ، وان كان منقطعا فالاستثناء
المنقطع انما يكون فيما كان نظير المذكور شيئا له من بعض الوجوه ، فهو من
جنسه الذي لم يذكر في اللفظ ؛ ليس من جنس المذكور ؛ ولهذا لا يصلح
المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ ، وذلك كقوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
الْمَوْتَ ﴾^(٦٣٦)

ثم قال : ﴿ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى ﴾ .
فهذا منقطع ؛ لانه يحسن ان يقال : ﴿ لَا يَذُوقُونَ إِلَّا الْمَوْتَةَ
الْأُولَى ﴾ .

(٦٣١)	سورة فصلت (٤١/٤٥) .	(٦٣٤)	سورة المائدة (١٨/٥) .
(٦٣٢)	سورة البقرة (٨٠/٢) .	(٦٣٥)	سورة البقرة (٧٨/٢) .
(٦٣٣)	سورة البقرة (١١١/٢) .	(٦٣٦)	سورة الدخان (٥٦/٤٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾^(٦٣٧).

لانه يحسن ان يقال : لا تاكلوا اموالكم بينكم الا ان تكون تجارة ، وقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(٦٣٨) .
يصلح ان يقال وما لهم الا اتباع الظن ، فهنا لما قال : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ .

يحسن ان يقال لا يعلمونه الا امانى ، فانهم يعلمونه تلاوة يقرأونها ويسمعونها ولا يحسن ان يقال لا يعلمون الا ما تمناه قلوبهم ، او لا يعلمون الا الكذب ، فانهم قد كانوا يعلمون ما هو صدق ايضا . فليس كل ما علموه من علمائهم كان كذبا ، بخلاف الذى لا يعقل معنى الكتاب ، فانه لا يعلم الا تلاوة .

وايضا فهذه الامانى الباطلة التى تمنوها بقلوبهم وقالوها بالسنتهم . كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾^(٦٣٩).

قد اشتركوا فيها كلهم فلا يخص بالذم الأميون منهم ، وليس لكونهم اميين مدخل في الذم بهذه ، ولا لنفى العلم بالكتاب مدخل في الذم بهذه ، بل الذم بهذه مما يعلم انها باطل اعظم من ذم من لا يعلم انها باطل ، ولهذا لما ذم الله بها ، عمم ولم يخص فقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ الآية .

وايضا فانه قال : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(٦٤٠) فدل على انه ذمهم على نفى العلم ، وعلى انه ليس معهم الا الظن ، وهذا حال الجاهل بمعانى الكتاب لا حال من يعلم انه يكذب ، فظهر ان هذا الصنف ليس هم الذين يقولون بافواههم الكذب والباطل ، ولو اريد ذلك ل قيل لا يقولون الا امانى ، لم يقل لا يعلمون الكتاب الا امانى ، بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويكتبون الكتاب بايديهم ليشتروا به ثمنا

(٦٣٩) سورة البقرة (١١١/٢) .

(٦٣٧) سورة النساء (٢٩/٤) .

(٦٤٠) سورة البقرة (٧٨/٢) .

(٦٣٨) سورة النساء (١٥٧/٤) .

قليلا ، فهم يحرفون معاني الكتاب ، وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه ، ويكذبون في لفظهم وخطهم .

وقد ثبت في الصحيحين^(٦٤١) عن النبي ﷺ انه قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقَذَى بِالْقَذَى حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ فَمَنْ ؟ » .

وفي الصحيحين^(٦٤٢) عن النبي ﷺ قال : « لَتَأْخُذَنَّ أُمَّتِي مَا خَذَ الْأَمَمُ قَبْلَهَا شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَارِسَ وَالرُّومَ ؟ قَالَ وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ » .

فهذا دليل على ان ما ذم الله به اهل الكتاب في هذه الآية يكون في هذه الامة من يشبههم فيه ، وهذا حق قد شوهد ، قال تعالى : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَقْبَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟ ! ﴾^(٦٤٣)

فمن تدبر ما اخبر الله به ورسوله رأى انه قد وقع من ذلك امور كثيرة ؛ بل اكثر الامور ، ودله ذلك على وقوع الباقي .



(٦٤١) رواه البخارى في الانبياء (١٤٤/٤) وفي الاعتصام (١٥١/٨) من حديث ابى سعيد وفيه « شبرا بشبر وذراعا بذراع » يدل حدو القذة بالقذة .

وأخرجه احمد ايضا (٩٤،٨٩،٨٤/٣) .
اما لفظ القذة بالقذة فورد في حديث مختصر من رواية شداد بن اوس عند احمد (١٢٥/٤) .

(٦٤٢) كذا في الاصل والحديث تفرد به البخارى عن ابى هريرة (١٥١/٨) وفيه « لاتقوم الساعة حتى تاخذ امتي .. » .

وأخرجه ابن ماجة (١٣٢٢/٣) رقم (٣٩٩٤) واحمد (٥٢٧،٥١١،٤٥٠،٣٢٧/٢) .

(٦٤٣) سورة فصلت (٥٣/٤١) .

فصل

فقد تبين ان الواجب طلب علم ما انزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ، ومعرفة ما اراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ، ومن سلك سبيلهم ، فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم ، فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا ، فكيف باصول التوحيد والايمان ؟ ثم اذا عرف ما بينه الرسول نظر في اقوال الناس ، وما ارادوه بها ، فعرضت على الكتاب والسنة ، والعقل الصريح دائما موافق للرسول ﷺ لا يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب ، والله انزل الكتاب بالحق والميزان ؛ لكن قد تقصّر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به ، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحااروا فيه ، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول ، فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم ، واما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك : ان يبتدع بدعة برأى رجال وتأويلاتهم ، ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعا لها ، ويحرف الفاظه ، ويتأول على وفق مصلوه .

وهؤلاء تجردم في نفس الامر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ، ولا يتلقون الهدى منه ، ولكن ما وافقهم منه قبلوه ، وجعلوه حجة لا عمدة ، وما خالفهم تأولوه ، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه او فوضوه ، كالذين لا يعلمون الكتاب الا امانى ، وهؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول : اما عجزا واما تفريطا ، فانه يحتاج الى مقدمتين :
ان الرسول قال كذا ، وانه اراد به كذا .

اما الاولى فعامتهم لا يرتابون في انه جاء بالقرآن وان كان من غلاة اهل البدع من يرتاب في بعضه ، لكن الاحاديث عامة اهل البدع جهال بها ، وهم يظنون ان هذه رواها آحاد يجوزون عليهم الكذب والخطأ ، ولا يعرفون من كثرة طرقها وصفات رجالها ، والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه اهل العلم بالحديث ؛ فان هؤلاء يقطعون قطعاً يقينا بعمامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع .

واما المقدمة الثانية : فانهم قد لا يعرفون معانى القرآن والحديث ، ومنهم من يقول : الادلة اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم ، وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك في غير هذا الموضع .

وكثير منهم انما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأول تأويلاتهم ، فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها ، والتي تخالفهم يتأولونها ، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الامر اتباع نص اصلا ، وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية ، فان الذى وضع الرفض كان زنديقا ابتداءً تعمّد الكذب الصريح الذى يعلم انه كذب ، كالذين ذكروا الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه اولئك ، وهم في شك منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝٦٤٤ ﴾ .

وكذلك الجهمية ليس معهم على نفى الصفات وعلو الله على العرش ، ونحو ذلك نص اصلا ، لا آية ولا حديث ، ولا أثر عن الصحابة ، بل الذى ابتداءً

(٦٤٤) سورة الشورى (١٤/٤٢) وفي الاصل « وان الذين اوتوا العلم » وهو خطأ .

ذلك لم يكن قصده اتباع الانبياء ، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الاوثان ، وغير ذلك من اديان الكفار ، مع علمهم بان ذلك مخالف للرسول ، كما ذكر عن مبدلة اليهود ، ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك .

وهذا بخلاف بدعة الخوارج ؛ فان اصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه ، ومقصودهم اتباع القرآن باطنا وظاهرا ، ليسوا زنادة .

وكذلك القدرية اصل مقصودهم تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد الذى جاءت به الرسل ، ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك ، فعمر بن عبيد وامثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول ﷺ كالذى ابتدع الرفض .

وكذلك الارجاء انما احدثه قوم قصدوا جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفارا ، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر .

وكذلك التشيع المتوسط — الذى مضمونه تفضيل على وتقديمه على غيره ، ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة ، بخلاف دعوى النص فيه والعصمة ، فان الذى ابتدع ذلك كان منافقا زنديقا ولهذا قال : عبد الله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرها :

اصول البدع اربعة : الشيعة ، الخوارج ، والقدرية ، والمرجئة . قالوا : والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة .

وكذلك ذكر ابو عبد الله بن^(٦٤٥) حامد عن اصحاب احمد في ذلك قولين ، هذا احدهما . وهذا ارادوا به التجهّم المحض الذى كان عليه « جهم » نفسه ومتبعوه عليه ، وهو نفى الاسماء مع نفى الصفات ، بحيث لا يسمى الله بشيء من اسمائه الحسنى ، ولا يسميه شيئا ولا موجودا ولا غير ذلك ، وانما نقل عنه انه كان يسميه قادرا — لأن جميع الاسماء يسمى بها الخلق ، فزعم انه يلزم منها التشبيه ، بخلاف القادر — فانه كان رأس الجبرية ، وعنده ليس للعبد قدرة ولا فعل ، ولا يسمى غير الله قادرا ؛ فلهذا نقل عنه انه سمي الله قادرا .

(٦٤٥) ابو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان ، البغدادي ، شيخ الحنابلة ومفتيهم . صنف كتاب « الجامع » في عشرين مجلدا في الاختلاف ، وهو اكبر تلامذة ابي بكر غلام الخلال . توفي سنة ٤٠٣ هـ . راجع ترجمته في تاريخ بغداد (٣٠٣/٧) طبقات الحنابلة (١٧١/٢ - ١٧٧) الوافي (٤١٥/١١) السير (٢٠٣/١٧) تاريخ التراث العربي (٢١٨/٢) .

وشر منه نفاة الاسماء والصفات ، وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة ، ولهذا كان هؤلاء عند الائمة قاطبة ملاحدة منافقين ، بل فيهم من الكفر الباطن ما هو اعظم من كفر اليهود والنصارى ، وهؤلاء لا ريب انهم ليسوا من الشنتين وسبعين فرقة ، واذا اظهروا الاسلام فغايتهم ان يكونوا منافقين ، كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، واولئك كانوا اقرب الى الاسلام من هؤلاء ، فانهم كانوا يلتزمون شرائع الاسلام الظاهرة ، وهؤلاء قد يقولون برفعها ، فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة ؛ لكن قد يقال : ان اولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة اكثر من هؤلاء .

واما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا فهؤلاء من امة محمد ﷺ بلا ريب .

وكذلك من هو خير منهم كالكلائية والكرامية .

وكذلك الشيعة المفضلين لعل ، ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده نبوة محمد ﷺ باطنا وظاهرا ، وظنه ان ما هو عليه هو دين الاسلام ، فهؤلاء اهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن امة محمد ﷺ ، بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وعامة هؤلاء ممن يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، كما ان من المنافقين والكفار من يفعل ذلك ، ولهذا قال طائفة من المفسرين :^(٦٤٦)
كالربيع بن انس : هم النصارى ، كنصارى نجران ؛ وقالت طائفة كالكلبي : هم اليهود ؛ وقالت طائفة كابن جريج : هم المنافقون . وقالت طائفة كالحسن : هم الخوارج ؛ وقالت طائفة كقتادة : هم الخوارج والشيعة ؛ وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾^(٦٤٧) .
يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم ، والسبائية نسبة الى عبد الله بن سبا رأس الرافضة .

(٦٤٦) اى فى تفسير قوله تعالى « فاما الذين فى قلوبهم زيغ » (٧/٣) وراجع اقوالهم فى تفسير ابن الجوزى (٣٥٣/١) وانظر تفسير الطبرى (١٧٧/٣ - ١٧٨) .

(٦٤٧) سورة آل عمران (٧/٣) وراجع تفسير الطبرى (١٧٨/٣) .

(٦٤٨) راجع فيها الفرق بين الفرق (٢٢٣ - ٢٢٦) والملل والنحل (١١/٢) .

فصل

والمعنى الصحيح الذى هو نفى المثل والشريك والندّ قد دل عليه قوله سبحانه ﴿ أَحَدٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .
وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمَ لَهُ سَمِيًّا ﴾ .^(٦٤٩)
وامثال ذلك فالمعاني الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة ، والعقل يدل على ذلك .

وقول القائل : الأحد أو الصمد أو غير ذلك هو الذى لا ينقسم ولا يتفرق ، أو ليس بمركب ونحو ذلك . هذه العبارات اذا عُنِيَ بها انه لا يقبل التفرق والانقسام فهذا حق ، واما ان عُنِيَ به انه لا يشار اليه بحال ، او من جنس ما يعنون بالجوهر الفرد انه لا يشار الى شيء منه دون شيء ، فهذا عند اكثر العقلاء يمتنع وجوده ، وانما يقدر فى الذهن تقديرا ، وقد علمنا ان العرب حيث اطلقت لفظ « الواحد » و « الأحد ﴾ نفيا واثباتا لم ترد هذا المعنى . فقوله تعالى : ﴿ وَ إِن أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ ﴾^(٦٥٠)

(٦٤٩) سورة مريم (٦٥/١٩)

(٦٥٠) سورة التوبة (٦/٩) .

لم يرد به هذا المعنى الذى فسروا به الواحد والأحد ، وكذلك قوله : ﴿ وَ
إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ ^(٦٥١)
وكذلك قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

فان المعنى لم يكن له احد من الآحاد كفوا له ، فان كان الأحد عبارة
عمالا يتميز منه شيء عن شيء ، ولا يشار الى شيء منه دون شيء ، فليس في
الموجودات ما هو احد الا ما يدعونونه من الجوهر الفرد ومن رب العالمين ،
وحينئذ لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات ان يكون كفوا للرب ؛ لأنه
لم يدخل في مسمى احد .

وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرا في المباحث العقلية والسمعية التى
يذكرها نفاة الصفات من الجهمية واتباعهم في كتابنا المسمى (بيان تلبيس
الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية) .

ولهذا لما احتجت الجهمية على السلف — كالامام أحمد وغيره — على نفي
الصفات باسم الواحد .

قال أحمد : قالوا : لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله
ولا شيء ، قلنا نحن تقول كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل
بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا ؟ وضربنا لهم فى ذلك مثلا : فقلنا :
أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخص وجمار
واسمها شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله — وله المثل
الأعلى — بجميع صفاته إله واحد ، لا تقول : انه قد كان فى وقت من الاوقات
ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا تقول قد كان فى وقت من الاوقات
لا يعلم حتى خلق له علما ، ولكن تقول لم يزل عالما قادرا مالكا ، لا متى
ولا كيف . وما يبين هذا ان سبب نزول هذه السورة الذى ذكره المفسرون يدل
على ذلك فانهم ذكروا أسبابا .

أحدها : ما تقدم عن ابى بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :
أنسب لنا ربك فنزلت هذه السورة .

والثاني : ان عامر بن الطفيل قال للنبي ﷺ : « الى مَ تدعوننا اليه يا محمد ؟ قال : الى الله . قال : فصِفْه لي ، أَمِنْ ذَهَبٍ هو ، أم من فضة ، أم من حديد ؟ فنزلت هذه السورة » وروى ذلك عن ابن عباس^(٦٥٢) من طريق ابى ظبيان ، وابى صالح عنه .

والثالث : ان بعض اليهود^(٦٥٣) قال ذلك ، قالوا : من أى جنس هو . ومَن ورث الدنيا . ولن يورثها ؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة والضحاك .

قال الضحاك وقتادة ومقاتل : « جاء ناس من احبار اليهود الى النبي ﷺ فقالوا : يا محمد : صِفْ لنا ربك ، لعلنا نؤمن بك ، فان الله أنزل نعتَه في التوراة ، فأخبرنا به من أى شيء هو ؟ ومن أى جنس هو : أَمِنْ ذَهَبٍ ؟ أم من نحاس ، هو أم من صَفِرٍ ؟ أم من حديد ؟ أم من فضة ؟ وهل ياكل ويشرب ؟ ومَن ورث الدنيا ؟ ولن يورثها ؟ فأنزل الله هذه السورة » وهى نسبة الله خاصة .

والرابع : ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ بسبعة أساقفة من بنى الحارث بن كعب : منهم السيد والعاقب ، فقالوا للنبي ﷺ : صِفْ لنا ربك من أى شيء هو ؟ قال النبي ﷺ : « ان ربي ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

فهؤلاء سألوا هل هو من جنس من اجناس المخلوقات ؟ وهل هو من مادة ، فبين الله تعالى انه أحد ، ليس من جنس شيء من المخلوقات ، وانه صمد ليس من مادة بل هو صمد . لم يلد ولم يولد . واذا نفى عنه ان يكون مولودا من مادة الوالد ؛ فلأن ينفى عنه أن يكون من سائر المواد اولى واخرى ، فان المولود من نظير مادته اكل من ما خلق من مادة اخرى ، كما خلق آدم من الطين ، فالمادة التى خلق منها اولاده افضل من المادة التى خلق منها هو ، ولهذا كان خلقه أعجب . فاذا نزه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلى أعظم تنزيها ، وهذا كما انه اذا كان منزها عن ان يكون احد كفوًا له ، فلأن يكون منزها عن ان يكون احد افضل منه اولى واخرى .

(٦٥٢) ذكره البغوى والخازن عن ابن عباس بدون سند (٣٢٠/٤) وراجع تفسير ابن الجوزى (٢٦٦/٩) .

(٦٥٣) راجع الطبرى (٣٤٢/٣٠) والدر المنثور (٦٧٠/٨ - ٦٧١) .

وهذا مما يبين ان هذه السورة اشتملت على جميع انواع التنزيه والتحميد ، على النفى والاثبات ، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن ، فالصدية تثبت الكمال المنافي للنقائص . والأحدية تثبت الانفراد بذلك وكذلك اذا نزه نفسه عن ان يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد ، فلأن ينزه نفسه عن أن يخرج منه مادة غير الولد بطريق الاولى والاحرى . واذا نزه نفسه عن ان يخرج منه مواد للمخلوقات فلأن ينزه عن أن يخرج منه فضلات لا تصلح ان تكون مادة بطريق الاولى والاحرى . والانسان يخرج منه مادة الولد ، ويخرج منه مادة غير الولد ، كما يخلق من عرقه ورطوبته القمل والدود وغير ذلك . ويخرج منه المخاط والبصاق وغير ذلك . وقد نزه الله أهل الجنة عن ان يخرج منهم شيء من ذلك ، وأخبر الرسول ﷺ انهم لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ، ولا يتمخطون ، وانه يخرج منهم مثل رشح المسك ، وانهم يجامعون بذكر لا يخفى ، وشهوة لا تنقطع ، ولا منى ، ولا منية ، واذا اشتهم أحدهم الولد كان حمله ووضعه في زمن يسير .

فقد تضمن تنزيه نفسه عن ان يكون له ولد ، وأن يخرج منه شيء من الاشياء ، كما يخرج من غيره من المخلوقات ، وهذا ايضا من تمام معنى « الصمد » . كما سبق في تفسيره : انه الذى لا يخرج منه شيء ، وكذلك تنزيه نفسه عن أن يولد — فلا يكون من مثله — تنزيه له ان يكون من سائر المواد بطريق الاولى والاحرى .

وقد تقدم في حديث أبي بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا سموت ، وليس شيء يموت إلا يُورث ، والله تعالى لا يموت ولا يورث ، وهذا رد لقول اليهود : ممن ورث الدنيا ، ولمن يورثها ؟ .

وكذلك ما نقل من سؤال النصارى : صف لنا ربك : من أي شيء هو ؟ فقال النبي ﷺ : « ان ربي ليس من شيء ، وهو بائن من الاشياء » .

وكذلك سؤال المشركين واليهود : أمن فضة هو ؟ أم من ذهب هو ؟ أم من حديد ؟ .

٢٥

(٦٥٤) روى بسند ضعيف - راجع مجمع الزوائد (١٠/٤١٦ - ٤١٧) .

(٦٥٥) أخرجه الترمذى في صفة الجنة (٤/٦٩٥) وقال حسن غريب ، والدارمى في الرقاق (ص٧٣٣) وابن ماجة في الزهد (٢/١٤٥٢) رقم (٤٣٣٧) واحد (٩/٣) .

وذلك لأن هؤلاء عهدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله يكون لها مواد صارت منها ، فعباد الاوثان تكون أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وغير ذلك .

وعباد البشر سواء كان البشر لم يأمرهم بعبادتهم ، أو أمرهم بعبادتهم ، كالذين يعبدون المسيح وعزيرا ، وكقوم فرعون الذين قال لهم ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾^(٦٥٦)

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾^(٦٥٧) وقال موسى : ﴿ لَئِنْ اتَّخَذْتُ آلِهَاتِي غَيْرِي لَا جُفْلَنُكَ مِنَ الْمَسْجُوعِ نِينَ ﴾^(٦٥٨) .
وكالذي آتاه الله نصيبا من الملك الذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت .

وكالرجال الذي يدعى الإلهية ، وما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال .

وكالذين قالوا : ﴿ لَا تَدْرُنَّ إِلَهَتَكُمْ وَ لَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَ لَا سَوَاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا ﴾^(٦٥٩) .

وقد قال غير واحد من السلف : إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم ، ثم بعد ذلك عبدوهم ، وذلك أول ما عبدت الأصنام ، وأن هذه الأصنام صارت إلى العرب ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه^(٦٦٠) عن ابن عباس ، قال : صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد . أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سَوَاع فكانت لهذيل ، وأما يَغُوث فكانت لمراد ؛ ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لِحِمَيْرَ لآل ذي الكلاع ؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت .

(٦٥٦) سورة النازعات (٢٤/٧٩) .

(٦٥٧) سورة القصص (٢٨/٢٨) .

(٦٥٨) سورة الشعراء (٢٩/٢٦) .

(٦٥٩) سورة نوح (٢٤/٧١) .

(٦٦٠) في التفسير (٧٣/٦) .

ونوح عليه السلام أقام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد ، وهو أول رسول بعثه الله الى أهل الارض ، كما ثبت ذلك في الصحيح^(٦٦١) ؛ ومحمد ﷺ خاتم الرسل ، وكلاً المرسلين بُعث الى مشركين يعبدون هذه الاصنام التي صورت على صور الصالحين من البشر ، والمقصود بعبادتها عبادة اولئك الصالحين .

وكذلك المشركون من أهل الكتاب ، ومن مبتدعة هذه الامة وضلالها ، هذا غاية شركهم ، فان النصارى يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الانس غير عيسى وأمه ؛ مثل مارجرجس وغيره من القداديس ، ويعبدون تلك الصور ، ويسألونها ويدعونها ويقربون لها القرابين ، وينذرون لها النذور ، ويقولون هذه تذكرنا بأولئك الصالحين . والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين : تارة بان يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعى ويُعبد فيظن داعيه انه قد اتي ، أو يظن ان الله صور ملكا على صورته ، فان النصراني مثلا يدعو في الأشر وغيره مارجرجس او غيره فيراه قد اتاه في الهواء ، وكذلك آخر غيره ، وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا كيف يوجد في هذه الاماكن ، فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه . وانما تلك شياطين أضلت المشركين .

وهكذا يحسب كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين الى هذه الامة ، فان أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت ، أو يستغيث به عند قبره ويسأله ، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك ، ويرى ذلك الشخص قد اتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره ، أو كلمه ببعض ما سأله عنه ، ونحو ذلك فيظنه الشيخ نفسه أتي ان كان حيا . حتى اني اعرف من هؤلاء جماعات يأتون الى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتام في الهواء فيذكرون ذلك له ، هؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، وهؤلاء يأتون الى هذا الشيخ ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية ، فان كان يحب الرياسة سكت وأوهم انه نفسه أتام وأغاثهم ، وان كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صورته الله على صورتي ، وجعل هذا من كرامات الصالحين ، وجعله عمدة لمن يستغيث

(٦٦١) في حديث الشفاعة « ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى الارض » .

اخرجه البخارى في التفسير (١٤٧/٥) ومسلم في الايمان (١٨٠/١) .

بالصالحين ، ويتخذهم اربابا ، وانهم اذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم
تغيث المستغيث بهم :

ولهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الاكابر الذين فيهم صدق وزهد وعبادة
لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصي مريديه يقول : اذا كانت
لأحدهم حاجة فليستغث بي ، وليستنجدني وليستوصني . ويقول : انا افعل بعد
موتى ما كنت أفعل في حياتى ، وهو لا يعرف ان تلك شياطين تصورت على
صورته لتضلّه ، وتضلّ اتباعه ، فتحسن لهم الاشرار بالله ، ودعاء غير الله ،
والاستغاثة بغير الله ، وانها قد تلقى في قلبه انا نفعل بعد موتك باصحابك ما
كنا نفعل بهم في حياتك ، فيظن هذا من خطاب الهى القى في قلبه ، فيأمر
أصحابه بذلك . وأعرف من هؤلاء من كان له شياطين تخدمه في حياته بانواع
الخدم مثل خطاب أصحابه المستغيثين به ، واعانتهم ، وغير ذلك ، فلما مات
صاروا يأتون أحدهم في صورة الشيخ ، ويشعرونه انه لم يميت ، ويرسلون الى
اصحابه رسائل بخطاب .

وقد كان يجتمع بي بعض اتباع هذا الشيخ ، وكان فيه زهد وعبادة ، وكان
يحبني ويحب هذا الشيخ ، ويظن ان هذا من الكرامات ، وان الشيخ لم يميت ،
وذكر لي الكلام الذى ارسله اليه بعد موته فقرأه فاذا هو كلام الشياطين
بعينه ، وقد ذكر لي غير واحد ممن اعرفهم انهم استغاثوا بي فأروني في الهواء وقد
أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد ، مثل من احاط به النصارى الارمن
ليأخذوه ، وآخر قد احاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين لو
اطلعوا على ما معه لقتلوه ، ونحو ذلك ، فذكرت لهم اني ما دريت بما جرى
أصلا ، وحلفت لهم على ذلك حتى لا يظنوا أني كتمت ذلك كما تكتم الكرامات ،
وانا قد علمت ان الذى فعلوه ليس بمشروع ، بل هو شرك وبدعة ، ثم تبين لي
فيا بعد ، وبيئت لهم ان هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به .

وحكى لي غير واحد من اصحاب الشيوخ انه جرى لمن استغاث بهم مثل
ذلك ، وحكى خلق كثير انهم استغاثوا بأحياء وأموات فأروا مثل ذلك ،
واستفاض هذا حتى عرف ان هذا من الشياطين ، والشياطين تغوى الانسان
بحسب الامكان ، فان كان ممن لا يعرف دين الاسلام اوقعته في الشرك

الظاهر ، والكفر المحض ، فأمرته أن لا يذكر الله ، وأن يسجد للشيطان ،
ويذبح له ، وأمرته أن يأكل الميتة والدم ويفعل الفواحش .

وهذا يجري كثيرا في بلاد الكفر المحض وبلاد فيها كفر وإسلام ضعيف ،
ويجري في بعض مدائن الإسلام في المواضع التي يضعف إيمان أصحابها ، حتى قد
جری ذلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها ، وهو في أرض الشرق قبل
ظهور الإسلام في التتار كثير جدا ، وكلما ظهر فيهم الإسلام وعرفوا حقيقة قلة
آثار الشياطين فيهم .

وان كان مسلما يختار الفواحش والظلم اعانتة على الظلم والفواحش ، وهذا
كثير جدا أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلها إسلام وجاهلية ، وبر ،
وفجور . وان كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولكن عنده قلة معرفة بحقيقة ما
بعث الله به رسوله ﷺ ، وقد عرف من حيث الجملة أن لأولياء الله كرامات ،
وهو لا يعرف كمال الولاية ، وأنها الإيمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظاهرا ،
ولا يعرف ذلك مجمل ولا يعرف من حقائق الإيمان الباطن وشرائع الإسلام
الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية ، وبين النفسانية والشيطانية ، كما أن
الرؤيا ثلاثة أقسام . رؤيا من الله ، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة
فيراها في المنام ، ورؤيا من الشيطان .

فكذلك الأحوال . فإذا كان عنده قلة معرفة بحقيقة دين محمد ﷺ أمرته
الشياطين بأمر لا ينكره ، فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون به بعرفات ثم
يعيدونه إلى بلده ، وهو لا بس ثيابه لم يحرم حين حاذى المواقيت ، ولا كشف
رأسه ، ولا تجرد عما يتجرد عنه المحرم ، ولا يدعونه بعد الوقوف يطوف طواف
الافاضة ويرمى الجمار ويكمل حجه ، بل يظن أن مجرد الوقوف — كما فعل —
عبادة ، وهذا من قلة علمه بدين الإسلام ، ولو علم دين الإسلام لعلم أن هذا
الذي فعله ليس عبادة لله ، وأنه من استحل هذا فهو مرتد يجب قتله ، بل اتفق
المسلمون على أنه يجب الأحرام عند الميقات ، ولا يجوز للإنسان المحرم اللبس في
الأحرام إلا من عذر ، وأنه لا يكتفى بالوقوف ، بل لابد من طواف الافاضة
باتفاق المسلمين ، بل وعليه أن يفيض إلى المشعر الحرام ، ويرمي جرة العقبة ،
وهذا مما تنوزع فيه هل هو ركن ، أو واجب يجبره دم ؟ وعليه أيضا رمي

الجمار ايام منى باتفاق المسلمين .

وقد تحمل احدهم الجن فتزوره بيت المقدس وغيره ، وتطير به في الهواء ،
وتمشي به الماء ، وقد تريه انه قد ذهب به الى مدينة الاولياء ، وربما ارتبه انه
ياكل من ثمار الجنة ، ويشرب من انهارها .

وهذا كله وأمثاله مما أعرفه قد وقع لمن أعرفه ؛ لكن هذا باب طويل ليس
هذا موضع بسطه .

وانما المقصود ان اصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين ،
وعبادة تماثيلهم ، وهم المقصودون . ومن الشرك ما كان اصله عبادة الكواكب ،
إما الشمس وإما القمر وإما غيرها ، وصورت الاصنام طلاس لتلك الكواكب ،
وشرك قوم ابراهيم — والله اعلم — كان من هذا ، او كان بعضه من هذا ؛ ومن
الشرك ما كان اصله عبادة الملائكة او الجن ، وضعت الاصنام لأجلهم ، والا
فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها ، بل لأسباب اقتضت ذلك ، وشرك العرب
كان اعظمه الأول ، وكان فيه من الجميع .

فان عمرو بن لُحَيٍّ هو اول من غيّر دين ابراهيم — عليه السلام — وكان
قد اتي الشام ورآهم بالبلقاء لهم اصنام يستجلبون بها المنافع ، ويدفعون بها
المضار ، فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة ولاة البيت قبل قريش ،
وكان هو سيد خزاعة .

وفي الصحيحين^(٦٦٢) عن النبي ﷺ انه قال : « رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن
خندف يَجُرُّ قُصْبَةً في النار — اي امعاءه — وهو اول من غيّر دين ابراهيم ؛
وسيّب السوائب ، وبجرّ البحيرة » .

وكذلك — والله اعلم — شرك قوم نوح ، وان كان مبدؤه من عبادة
الصالحين ، فالشيطان يجرّ الناس من هذا الى غيره ؛ لكن هذا اقرب الى الناس ؛
لأنهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه ، فيعكفون على قبره ، ويقصدون
ذلك منه ، فتارة يسألونه ، وتارة يسألون الله به ، وتارة يصلون ، ويدعون
عند قبره ظانين ان الصلاة والدعاء عند قبره افضل منه في المساجد والبيوت .

(٦٦٢) أخرجه البخاري في المناقب (١٦٠/٤) وفي التفسير (١٩١/٥) ومسلم في الجنة (٢١٩١/٣ - ٢١٩٢) واحمد في مسنده
(٢٧٥/٢ - ٣٦٦) وراجع الدر المنثور (٢١٠/٣) .

ولما كان هذا مبدأ الشرك سدَّ النبي ﷺ هذا الباب ، كما سد باب الشرك بالكواكب ، ففي صحيح مسلم عنه انه قال قبل ان يموت بخمس : « ان مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » .

وفي الصحيحين عنه انه ﷺ ذكر له كنيسة بأرض الحبشة ، وذكر من حسناتها وتصاوير فيها فقال : « ان أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفي الصحيحين عنه انه قال ﷺ في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا » قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره ان يتخذ مسجدا .

وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه انه قال ﷺ : « ان من شرار الناس من تذرهم الساعة وهم احياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » .

وفي سنن أبي داود وغيره عنه انه قال ﷺ : « لاتتخذوا قبري عيداً وصلوا علىّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني » .

وفي موطأ مالك عنه انه قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب —

(٦٦٣) في الجنائز من حديث جندب (٣٧٧/١ - ٣٧٨) .

(٦٦٤) أخرجه البخاري في الصلاة (١١٠/١ - ١١١) ومسلم في المساجد (٣٧٦/١) والنسائي (٤٢/٢) .

(٦٦٥) رواه البخاري عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة في الصلاة (١١٢/١) وفي الجنائز (٩٠/٢ - ١٠٦) وفي الانبياء (١٤٤/٤) وفي المغازي (١٣٩/٥) ومسلم في المساجد (٣٧٦/١ - ٣٧٧) .
وراجع ابوداود (٥٥٣/٣) والترمذي (٣٢٢٧) والنسائي (٩٦/٤، ٤١/٢) والدارمي (٣٢٧) واحمد (٢١٨/١) .
(٢٧٥، ٢٧٤، ٢٥٥، ٢٥٢، ٢٢٩، ١٤٦، ١٢١، ٨٠، ٣٤/٦ ، ٥١٨، ٤٥٤، ٣٩٦، ٣٦٦، ٢٨٥، ٢٨٤/٢) .

(٦٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود في المسند (٤٥٤، ٤٣٧، ٤٠٥/١) .

(٦٦٧) في المناسك (٥٣٤/٢) رقم ٢٠٤٢ وأخرجه احمد في المسند (٣٦٧/٢) ،

(٦٦٨) أخرجه عن عطاء بن يسار مرسل (١٧٢) ووصله احمد عن أبي هريرة (٢٤٦/٢) .

(٦٦٩) في الجنائز (٦٦٦/١) وأخرجه ابوداود في الجنائز (٥٤٨/٣) رقم ٣٢١٨ والترمذي (٣٦٦/٣) والنسائي (٨٨/٤) واحمد (١٤٥، ١٢٩، ٩٦/١) .

رضى الله عنه — : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله : أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويتُهُ ، ولا تمثالاً إلا طمسْتُهُ .

فأمره بمحو التمثالين : الصورة المثلثة على صورة الميت ، والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره ، فإن الشرك يحصل بهذا ، وبهذا .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب^(٦٧٠) — رضى الله عنه — أنه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، انهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل ، والا فليض .

وبلغه أن قوماً يذهبون إلى الشجرة التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها فأمر بقطعها .

وارسل إليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بتستر قبر دانيال ، وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون ، قد ذكر فيه أخبار المسلمين ، وأنهم إذا اجذبوا كشفوا عن القبر فطروا ، فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً ، ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس ؛ لئلا يفتنوا به ، فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله ، وإن لم يبن عليها مسجداً كان بناء المساجد عليها أعظم .

كذلك قال العلماء : يحرم بناء المساجد على القبور ، ويجب هدم كل مسجد بنى على قبر ، وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته ، فإن الشرك إنما يحصل إذا ظهرت صورته ، ولهذا كان مسجد النبي ﷺ أولاً مقبرة للمشركين ، وفيها نخل وخرب ، فأمر بالقبور فنُبِشتْ ، وبالنخل فقطع وبالخرب فسُوِّيتْ ، فخرج عن أن يكون مقبرة ، فصار مسجداً .

(٦٧٠) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٥٦٩/١) .

(٦٧١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف . راجع الدر المنثور (٥٢٣/٧) .

(٦٧٢) أخرجه البخاري في الصلاة (١١١/١) وفي الفضائل المدينة (٢٢٠/٢) ومناقب الانصار (٢٦٦/٤) ومسلم في المساجد (٣٧٣/١) وأخرجه أبو داود (٣١٢/١) رقم (٤٥٣) والنسائي (٤٠/٢) واحد (٢١٢/٣) .

(٦٧٣) أخرجه البخاري في باب الصلاة في مسجد مكة (٥٦/٢ - ٥٨) وفي كتاب جزاء الصيد (٢٢٠/٢) وفي الصوم (٢٥٠/٢) ومسلم في الحج (١٠١٥، ١٠١٤، ٩٧٦/١) .

وأخرجه أبو داود (٥٢٩/٢) رقم (٢٠٣٣) والترمذي (١٤٨/٢) والنسائي (٣٧/٢) وابن ماجه (٤٥٢/١) رقم (١٤٠٩) واحد (٧٨، ٧٧، ٧١، ٦٤، ٥٣، ٥١، ٤٥، ٣٤، ٧/٣ ٥٠٦، ٢٧٨، ٢٣٨، ٢٣٤/٢) .

ولما كان اتخاذ القبور مساجد ، وبناء المساجد عليها محرما ، ولم يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ، ولم يكن يعرف قط مسجد على قبر ، وكان قبر الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها ، وهي مسدودة لا أحد يدخل إليها □ ولا تشد الصحابة الرحال لا إليه ولا إلى غيره من المقابر ؛ لأن في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال : ^(٦٧٤) « لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » .

فكان يأتي من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه ، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ، ولا غيرها وكانت مغارة الخليل مسدودة ، حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة ، ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ، ثم لما فتح المسلمون البلاد اتخذها بعض الناس مسجدا ، وأهل العلم ينكرون ذلك .

والذي يرويه بعضهم في حديث الأسراء انه قيل للنبي ﷺ : هذه طيبة أنزل فصل ، فنزل فصل ، هذا مكان إبيك أنزل فصل ، كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة ، كما ثبت ذلك في الصحيح ، ولا نزل إلا فيه .

ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم إلا الله ، وقدمها عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس ، وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة ، وقدمها مرة ثالثة حتى وصل إلى سرغ ، ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فلم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل ، ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام ، لا بيت المقدس ، ولا بدمشق ، ولا غير ذلك ، مثل الآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون ، في غريبه الربوة المضافة إلى عيسى عليه السلام ، وفي شرقيه المقام المضاف إلى الخليل عليه السلام ، وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة إلى هابيل لما قتله قابيل ، فهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ، ولا يزورونها ، ولا يرجون منها بركة ، فانها محل الشرك .

(٦٧٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور من رواية النسائي وابن مردويه عن انس (١٨٥/٥) ومن رواية البزار وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن شداد بن اوس (١٩٠/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤ - ٧٣/١) بعد ما عزاه للبزار والطبراني . وفيه اسحق بن ابراهيم بن العلاء وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائي . راجع حديث انس في صحيح مسلم (١٤٥/١) .

ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا ، وقد رآهم غير واحد على صورة الانس ، ويقولون لهم رجال الغيب ، يظنون انهم رجال من الانس غائبين عن الابصار ، وانما هم جن ، والجن يسمون رجالا . كما قال الله تعالى : ﴿ وَ اِنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِّنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادَهُمْ رَهَقًا ﴾^(١٧٦)

والانس سموا انسا لانهم يؤنسون أى يرون . كما قال تعالى : ﴿ اِنِّى اَنْتَ نَارًا ﴾^(١٧٧) أى رأيتهما .

والجن سموا جنا لاجتنانهم ، يجتنون عن الابصار أى يستترون . كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾^(١٧٨) أى استولى عليه فغطاه وستره ، وليس أحد من الانس يستتر دائما عن أبصار الانس ، وانما يقع هذا لبعض الانس فى بعض الأحوال : تارة على وجه الكرامة له . وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ، ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر .

والمقصود ههنا : ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يبنوا قط على قبر نبي ، ولا رجل صالح مسجدا ، ولا جعلوه مشهدا ومزارا ، ولا على شيء من آثار الأنبياء ، مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل فيه شيئا من ذلك ، لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الأنبياء والصالحين ، ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة فى مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه ، بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقا ، بل كان أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهى عن قصد الصلاة فى مكان صلى فيه رسول الله ﷺ اتفاقا لا قصدا ، وانما نقل عن ابن عمر ^(١٧٩) خاصة انه كان يتحرى أن يسير حيث سار رسول الله ﷺ ، وينزل حيث نزل ، ويصلى حيث صلى ، وان كان النبي ﷺ لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل ، بل حصل اتفاقا ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما رجلا صالحا شديد الاتباع ، فرأى هذا من الاتباع ، وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان وعلى وسائر

(١٧٦) سورة الجن (١٧/٢١) .

(١٧٧) سورة النمل (٢٧/٢٧) .

(١٧٨) سورة الانعام (٦٧/٦) .

(١٧٩) اخرج ابن سعد فى طبقاته (١٤٥/٤) عن عائشة قالت :

ماكان احد يتبع آثار النبي ﷺ فى منازله كما كان يتبعه ابن عمر .

راجع الحلية (٣١٠/١) وانظر باب المساجد التى على طرق المدينة والمواقع التى صلى فيها النبي ﷺ من

صحيح البخارى - (فتح البارى ٥٦٧/١ - ٥٧١) .

العشرة وغيرهم ، مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر ، وقول الجمهور أصح .

وذلك ان المتابعة ان يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذى فعل ، لأجل انه فعل . فاذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة في ذلك المكان متابعة له ، وأما إذا لم يقصد تلك البقعة فان قصدها يكون مخالفة لا متابعة له .

مثال الاول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له ، وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كان فعل ذلك متابعة له ، وكذلك لما صعد على الصفا والمروة للذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له ، وقد كان سلمة بن الأكوع^(٦٨٠) يتحرى الصلاة عند الاسطوانة ، قال : (لاني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها) فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة .

وكذلك لما أراد عتبان بن مالك أن يبني مسجدا لما عمى فأرسل الى رسول الله ﷺ قال له : (اني احب ان تأتيني تصلى في منزلي فاتخذته مصلى) — وفي رواية فقال : (تعال فخط لي مسجدا) فأتى النبي ﷺ ومن شاء من اصحابه ، وفي رواية : « ففدا على رسول الله ﷺ وابوبكر الصديق حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله ﷺ فاذنت له ، فلم يجلس حتى دخل البيت ، فقال : اين تحب أن أصلي من بيتك ؟ فاشرت له الى ناحية من البيت ، فقام رسول الله ﷺ فقمنا وراءه فصلى ركعتين ، ثم سلم » الحديث .

فإنه قصد ان يبني مسجدا وأحب أن يكون أول من يصلي فيه النبي ﷺ ، وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه ، فالمقصود كان بناء المسجد ، وأراد أن يصلي النبي ﷺ في المكان الذي يبنيه ، فكانت الصلاة مقصودة لأجل المسجد ، لم يكن بناء المسجد مقصودا لأجل كونه صلى فيه اتفاقا ، وهذا المكان مكان قصد النبي ﷺ الصلاة فيه ليكون مسجدا فصار قصد الصلوة فيه متابعة له ، بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد ، وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس

(٦٨٠) أخرجه البخارى في الصلاة (١٢٧/١) ومسلم (٣٦٤/١ - ٣٦٥) وابن ماجه (٤٥٩/١) رقم (١٤٣٠) واحمد (٤٨/٤) .

(٦٨١) راجع البخارى في الصلاة (١١٠/١) ومسلم في الايمان (٦٢/١) وابن ماجه في المساجد (٢٤٩/١) رقم (٧٥٤) .

بالصوم متابعة لأنه قصد صوم هذين اليومين ، وقال في الحديث الصحيح^(٦٨٢) « انه تفتح ابواب الجنة في كل خميس وإثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

وكذلك قصد اتيان مسجد قباء متابعة له ، فانه قد ثبت عنه في الصحيحين^(٦٨٣) : (انه كان يأتي قباء كل سبت راكبا و ماشيا) .

وذلك ان الله انزل عليه : (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه) وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف ، وقد ثبت في الصحيح^(٦٨٤) أنه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال : « هو مسجدى هذا » يريد انه اكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ، ومسجد قباء ايضا أسس على التقوى ، وبسببه نزلت الآية^(٦٨٥) : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ .

وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء . تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ، ولم تكن العرب تفعل ذلك ، فاراد النبي ﷺ وآله وسلم ان لا يظن ظان ان ذاك هو الذى أسس على التقوى دون مسجده ، فذكر ان مسجده أحق بان يكون هو المؤسس على التقوى ، فقلوله : (لمسجد أسس على التقوى) يتناول مسجده ومسجد قباء ، ويتناول كل مسجد أسس على التقوى ، بخلاف مساجد الضرار .

ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك ، ويرون العتيق أفضل من الجديد ؛ لان العتيق أبعد عن أن يكون بني ضرار من الجديد الذى يخاف

(٦٨٢) أخرجه مسلم في البر من حديث ابى هريرة (١٩٨٧/٢) .
وأخرجه أيضا ابوداود في الادب (٢١٦/٥) رقم ٤٩١٦) والترمذى في البر (٣٧٢/٤) رقم ٢٠٢٣) واحمد (٤٦٥،٤٠٠،٣٧٩،٣٦٨/٢) .
وانظر شعب الايمان للبيهقى .

(٦٨٣) أخرجه البخارى في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٥٧/٢) ومسلم في الحج في باب فضل مسجد قباء (١٠١٦/١) والنسائى في المساجد (٣٧/٢) .

(٦٨٤) راجع مسلم في الحج (١٠١٥/١) .
وأخرجه أيضا الترمذى (٢٨٠/٥) والنسائى (٣٦/٢) واحمد في المسند (٨/٣، ١١٦/٥، ٣٣٥، ٣٣١) وانظر الدر المنثور (٢٨٧/٤) .

(٦٨٥) أخرجه الترمذى (٢٨٠/٥) وابوداود (٣٩/١) رقم ٤٤) وابن ماجه (١٢٨/١) رقم ٣٥٧) وانظر الدر المنثور (٢٨٩/٤) .

ذلك فيه ، وعشق المسجد مما يحمد به ؛ ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^(٦٨٦) .

وقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾^(٦٨٧) .

- فان قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه ايضا ، وذلك يقتضى زيادة فضله ، ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المساجد والمزارات التى بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ وآله وسلم الا مسجد قباء ؛ لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدا بعينه يذهب اليه إلا هو . وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار مسجد ، لكن ليس فى قصده دون امثاله فضيلة ، بخلاف مسجد قباء ، فانه اول مسجد بنى بالمدينة على الاطلاق ، وقد قصده الرسول ﷺ بالذهاب اليه . وصح عنه ﷺ انه قال : « من توضأ فى بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة » .
- ٥ .
- ١٠ .

ومع هذا فلا يسافر اليه : لكن اذا كان الانسان بالمدينة أتاه ، ولا يقصده انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد الثلاثة لقوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، ومسجدى هذا » .

١٥ .

- ولهذا لو نذر السفر الى مسجد قباء لم يوف بنذره عند الائمة الاربعة وغيرهم ، بخلاف المسجد الحرام فانه يجب الوفاء بالنذر اليه باتفاقهم ، وكذلك مسجد المدينة ، وبيت المقدس ، فى أصح قوليه . وهو مذهب مالك وأحمد والشافعى فى أحد قوليه ، وفى الآخر وهو قول أبى حنيفة ليس عليه ذلك ؛ لكنه جائز ومستحب ، لأن من أصله انه لا يجب بالنذر إلا ما كان واجبا بالشرع ، والاكثر من يقولون يجب بالنذر كل ما كان طاعة لله ، كما ثبت فى صحيح البخارى^(٦٩٠) عن عائشة عن النبي ﷺ انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .
- ٢٠ .

(٦٨٦) سورة الحج (٣٢/٢٢) .

(٦٨٧) سورة آل عمران (٩٦/٣) .

(٦٨٨) رواه أبى ماحه (٤٥٣/١) رقم (١٤١٢) والسائى (٣٧/٢) والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٤٨/٥) ورواه أحمد والحاكم ايضا .

(٦٨٩) قد مر قريبا .

(٦٩٠) فى كتاب الايمان والنذور (٢٣٣/٧ - ٢٣٤) .

وأخرجه ايضا ابوداود (٥٩٣/٣) رقم (٣٢٨٩) والترمذى (١٠٤/٤) رقم (١٥٢٦) والسائى (١٧/٧) وابن ماحه (٦٨٧/١) رقم (٣١٣٦) .

ويستحب ايضا زيارة قبور أهل البقيع ، وشهداء أحد ؛ للدعاء لهم والاستغفار ؛ لأن النبي ﷺ كان يقصد ذلك ، مع أن هذا مشروع لجميع موتي المسلمين ، كما يستحب السلام عليهم والدعاء لهم ، والاستغفار . وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة ، وسواء في ذلك قبور الانبياء والصالحين وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا ابا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف .

وأما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم ، أو دعائهم والاقسام بهم على الله ، أو ظن ان الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت ، فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق أئمة المسلمين ، ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ، ولا كانوا اذا سلموا على النبي ﷺ يقفون يدعون لأنفسهم ، ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء ، وقالوا انه من البدع التي لم يفعلها السلف ، واتفق العلماء الاربعة وغيرهم من السلف على انه اذا اراد ان يدعو يستقبل القبلة ، ولا يستقبل قبر النبي ﷺ ، وأما اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا : يستقبل القبر ، قاله مالك والشافعي وأحمد ، وقال ابو حنيفة : بل يستقبل القبلة ايضا ، ويكون القبر عن يساره ، وقيل : بل يستدبر القبلة .

ومما يبين هذا الأصل ان رسول الله ﷺ لما هاجر هو وابوبكر ذهابا الى الغار الذي بجبل ثور ، ولم يكن على طريقهما بالمدينة ، فانه من ناحية اليمن ، والمدينة من ناحية الشام ، ولكن اختبأ فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين ، فلا يعرفون اين ذهبا ، فان المشركين كانوا طالبين لهما ، وقد بذلوا في كل واحد منهما ديته لمن يأتي به ، وكانوا يقصدون منع النبي ﷺ ان يصل الى أصحابه بالمدينة ، وان لا يخرج من مكة ، بل لما عجزوا عن قتله ارادوا حبسه بمكة ، فلو سلك الطريق ابتداء لأدركوه ، فاقام بالغار ثلاثا لأجل ذلك ، فلو اراد المسافر من مكة الى المدينة ان يذهب الى الغار ، ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبا بل مكروها ، والنبي ﷺ في الهجرة سلك طريق الساحل وهي طويلة ، وفيها دورة ، وأما في عمره وحجته فكان يسلك الوسط ، وهو اقرب الى مكة ، فسلك

(٦٩١) أخرجه البيهقي في سننه (٢٤٥/٥) .

(٦٩٢) انظر قصة الهجرة في صحيح البخاري كتاب مناقب الانصار (٢٥٤/٤ - ٢٥٨) .
وراجع دلائل النبوة للبيهقي (٤٧١/٢ - ٤٨٢) .

في الهجرة طريق الساحل ؛ لأنها كانت أبعد عن قصد المشركين ، فان الطريق الوسطى كانت أقرب الى المدينة ، فيظنون انه سلكها ، كما كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها .

- وهو ﷺ لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر منها ، ولما صده المشركون عن مكة حل بالحديبية ، وكان قد انشأ الاحرام بالعمرة من ميقات المدينة ذي الحليفة ، ولما اعتمر من العام القابل عمرة القضية اعتمر من ذي الحليفة ، ولم يدخل الكعبة في عمره ولا حجته وانما دخلها عام الفتح ، وكان بها صورة مصورة فلم يدخلها حتى محيت تلك الصور ، وصلى بها ركعتين^(٦٩٥) ، وصلى يوم الفتح ثمان ركعات وقت الضحى ، كما روت ذلك أم هاني ، ولم يكن يقصد الصلاة وقت الضحى الا لسبب مثل ان يقدم من سفر^(٦٩٦) ، فيدخل المسجد فيصلى فيه ركعتين ، ومثل ان يشغله نوم أو مرض عن قيام الليل فيصلى بالنهار ثني عشرة ركعة ، وكان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ، فصلى ثني عشرة ركعة شفعا لفوات وقت الوتر ، فانه ﷺ قال : « المغرب وتر صلاة النهار ، فاوتروا صلاة الليل » .

- وقال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا »^(٧٠٠)
 وقال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة »^(٧٠١)

- (٦٩٣) راجع دلائل النبوة (٢٠١/٥) .
 (٦٩٤) راجع البخارى في الحج (١٦١/٢) وانظر دلائل النبوة (٧٢/٥ - ٧٣) .
 (٦٩٥) اخرجه البخارى في الصلاة . راجع فتح البارى (٥٠٠/١) رقم (٣٩٧) .
 (٦٩٦) اخرجه البخارى في الصلاة (٩٤/١) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٤٩٨/١) . وراجع دلائل النبوة (٨٠/٥ - ٨١) والسنن الكبرى للبيهقى (٤٨/٣) .
 (٦٩٧) روى ذلك في حديث اخرجه مسلم (٤٩٦/١) وابوداود (٦٤/٢) .
 (٦٩٨) راجع مسلم في صلاة المسافرين (٥١٥/١) .
 (٦٩٩) رواه احمد عن ابن عمر (١٥٤،٨٣،٤١،٣٠/٢) وكذا الطبرانى في الكبير والوسط . وقال الالبانى : صحيح راجع صحيح الجامع الصغير (٥٦٩٦) .
 (٧٠٠) رواه البخارى (١٢١/١) ومسلم (٥١٧/١) واحمد (١٥٠،٣٩/٢) عن ابن عمر .
 (٧٠١) روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة . وحديث ابن عمر اخرجه البخارى في الوتر (١٢/٢) وفي التهجد (٤٥/٢) ومسلم في صلاة المسافرين (٥١٦/١) وابوداود في التطوع (٨٠/٢) رقم (١٣٢٦) والترمذى (٣٠١/٢) رقم (٤٣٧) والدارمى (٣٤٠) والنسائى (٢٢٧/٣ - ٢٣٣) ومالك في الموطأ (١٢٣) واحمد في مسنده (١٥٥،١٤٨،١٤١،١٣٤،١٣٣،١١٩،٨٣،٨١،٧٩،٧٧،٧٦،٧١،٦٦،٥٨،٤٩،٤٤،٤٠،٣٣،٣٠،١٠/٢) .

والمأثور عن السلف انهم اذا ناموا عن الوتر كانوا يوترون قبل صلاة الفجر ،
ولا يؤخرونه الى ما بعد الصلاة .

وفي الصحيحين عن عائشة^(٧٠٢) — رضى الله عنها — انها قالت : ما صلى رسول
الله ﷺ سبعة الضحى قط ، واني لا سبحها ، وان كان ليدع العمل ، وهو يحب
ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم .

وقد ثبت عنه في الصحيح^(٧٠٣) انه أوصى بركعتي الضحى لأبي هريرة ، ولأبي
الدرداء ، وفيها أحاديث ، لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بعض
العلماء صلاة الضحى .

وقال آخرون : لم يصلها الا يوم الفتح ، فعلم انه صلاحها لأجل الفتح ،
وكانوا يستحبون عند فتح مدينة ان يصلى الامام ثمانى ركعات شكرا لله ،
ويسمونها صلاة الفتح ، قالوا : لان الاتباع يعتبر فيه القصد والنبي ﷺ لم

يقصد الصلاة لأجل الوقت ، ولو قصد ذلك لصلى كل يوم ، أو غالب الايام ،
كما كان يصلى ركعتي الفجر كل يوم ، وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين ،
وقبلها ركعتين أو اربعا ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاها بعد العصر ، وهو

ﷺ لما نام هو واصحابه عن صلاة الفجر في غزوة خيبر^(٧٠٤) فصلوا بعد طلوع
الشمس ركعتين ، ثم ركعتين ، لم يقل أحد ان هذه الصلاة في هذا الوقت سنة
دائما ؛ لأنهم انما صلوها قضاء ، لكونهم ناموا عن الصلاة ، ولما فاتته العصر في

بعض ايام الخندق فصلوها بعد ما غربت الشمس^(٧٠٥) ، وروى^(٧٠٦) ان الظهر فاتته ايضا
فصلى الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، لم يقل أحد انه يستحب ان يصلى بين
العشاءين احد عشر ركعة ، لأن ذلك كان قضاء ، بل ولا تقل عنه أحد انه

خص ما بين العشاءين بصلاة .

(٧٠٢) أخرجه البخارى في التهجد (٥٤،٥٣،٤٢/٢) ومسلم في صلاة المسافرين (٤٩٧/١) وأحمد (٨٥،٣١/٦) .

(٧٠٣) راجع البخارى (٥٤) ومسلم (٤٩٩/١) .

(٧٠٤) رواه مسلم (٤٧١/١) وانظر دلائل النبوة (٣٧٣/٤) .

(٧٠٥) انظر البخارى في المغازى (٤٩/٥) وفي المواقيت (١٤٧/١ - ١٤٨) وفي الاذان (١٥٧/١) ومسلم (٤٣٨/١) والترمذى
(٣٣٨/١ - ٣٣٩) .

(٧٠٦) رواه الترمذى (٣٣٧/١) وأحمد (٣٧٥/١ - ٤٢٣) .

وقوله تعالى: ﴿فَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾^(٧٠٧) عند أكثر العلماء هو اذا قام الرجل بعد نوم ليس هو اول الليل ، وهذا هو الصواب ؛ لأن النبي ﷺ هكذا كان يصلي ، والأحاديث بذلك متواترة^(٧٠٨) عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن يقوم بين العشاءين ..

وكذلك اكله ما كان يجد من الطعام ، ولبسه الذى يوجد بمدينته طيبة مخلوقا فيها ، ومجلوبا اليها من اليمن وغيرها ، لانه هو الذى يسره الله له ، فأكله التمر ، وخبز الشعير ، وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والقثاء ، ولبس ثياب اليمن ، لأن ذلك هو كان أيسر في بلده من الطعام والثياب ، لا لخصوص ذلك ، فمن كان يولد آخر وقوتهم البر والذرة ، وفاكهتهم العنب والرمان ، ونحو ذلك ، وثيابهم مما ينسج بغير اليمن القز لم يكن اذا قصد ان يتكلف من القوت والفاكهة واللباس ما ليس في بلده — بل يتعسر عليهم — متبعا للرسول ﷺ ، وان كان ذلك الذى يتكلفه تمرا او رطبيا أو خبز شعير . فعلم انه لا بد في المتابعة للنبي ﷺ من اعتبار القصد والنية : « فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » .

فعلم ان الذى عليه جمهور الصحابة وأكابرهم هو الصحيح ، ومع هذا فابن عمر رضى الله عنهما لم يكن يقصد ان يصلى الا في مكان صلى فيه النبي ﷺ ، لم يكن يقصد الصلاة في موضع نزوله ومقامه ، ولا كان أحد من الصحابة يذهب الى الغار المذكور في القرآن للزيارة والصلاة فيه — وان كان النبي ﷺ وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس — ولا كانوا ايضا يذهبون الى حراء وهو المكان الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه نزل عليه الوحي اولا ، وكان هذا مكانا يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء أعلى جبل كان هناك ، فلما جاء الاسلام ذهب النبي ﷺ الى مكة مرات بعد أن أقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ، ومع هذا فلم يكن هو ولا اصحابه يذهبون الى حراء .

(٧٠٧) سورة المزمل (٦/٧٢) .

(٧٠٨) راجع البخارى كتاب التهجد (٤٧/٢) ومسلم كتاب صلاة المسافرين (٥١٠/١) واحد (١٠٢/٦ - ٢٥٢) .

(٧٠٩) أخرجه البخارى في بدء الوحي (٢/١) وفي الايمان (٢٠/١) وفي مواضع اخرى من صحيحه ومسلم في الامارة (١٥١٥/٢) كما أخرجه ابوداود في الطلاق (٦٥١/٢) رقم (٢٢٠١) والترمذى (١٧٩/٤) رقم (١٦٤٧) والسنائى (١٥٨/٦) وابن ماجه (١٤١٢/٢) رقم (٤٢٢٧) واحد (٢٥/١ - ٤٣) .

ولما حج النبي ﷺ استلم الركنين اليمانيين ، ولم يستلم الشاميين ؛ لأنها لم يبنيا على قواعد ابراهيم ، فان أكثر الحجر من البيت ، والحجر الاسود استلمه وقبله ، واليماني استلمه ولم يقبله ، وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه ، ولم يقبله ، فدل ذلك على ان التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الاسود ليس بسنة ، ودل على ان استلام مقام ابراهيم وتقبيله ليس بسنة ، واذا كان هذا نفس الكعبة ، ونفس مقام ابراهيم بها ، فعلوم ان جميع المساجد حرمتها دون الكعبة ، وان مقام ابراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الأنبياء دون المقام الذي قال الله فيه : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٢١٠)

فعلم ان سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها ، كما لا يحج الى سائر المشاهد ، ولا يتمسح بها . ولا يقبل شيء من مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصخرة ولا غيرها ، ولا يقبل ما على وجه الأرض إلا الحجر الاسود .

وايضا فالنبي ﷺ لم يصل بمسجد بمكة إلا المسجد الحرام ، ولم يأت للعبادات الا المشاعر : منى ، مزدلفة ، وعرفة فلهذا كان أئمة العلماء على انه لا يستحب ان يقصد مسجدا بمكة للصلاة غير المسجد الحرام ، ولا تقصد بقعة للزيارة غير المشاعر التي قصدها رسول الله ﷺ ، واذا كان هذا في آثارهم ، فكيف بالمقابر التي لعن رسول الله ﷺ من اتخذها مساجد ، واخبر انهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ؟ ! .

ودين الاسلام انه لا تقصد بقعة للصلاة الا ان تكون مسجدا فقط ، ولهذا مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك ، لا للصلاة فلا صلاة بعرفة ، وانما صلى النبي ﷺ الظهر والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ، ثم بعد الصلاة ذهب الى عرفات ، فوقف بها ، وكذلك يذكر الله ويدعى بعرفات وبمزدلفة على قزح ، وبالصفا والمروة ، وبين الجمرات ، وعند الرمي ، ولا تقصد هذه البقاع للصلاة . وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة لا للصلاة ، ولا للذكر ، ولا للدعاء ، بل يصلى المسلم حيث أدركته الصلاة ، الا حيث

نهى ، ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير قصد تخصيص بقعة بذلك ، وإذا اتخذ بقعة لذلك كالمشاهد نهى عن ذلك ، كما نهى عن الصلاة في المقبرة ، إلا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت من الدعاء له والمسلمين ، كما يفعل مثل ذلك في الصلاة على الجنازة ، فإن زيارة قبر المومن من جنس الصلاة على جنازته ، يفعل في هذا من جنس ما يفعل في هذا ، ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا .

وما يشبه هذا ان الانصار بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة بالوادى الذى وراء جرة العقبة ؛ لانه مكان منخفض قريب من منى ، يستر من فيه ، فان السبعين الانصار كانوا قد حجوا مع قومهم المشركين ، وما زال الناس يحجون الى مكة قبل الاسلام وبعده ، فجاءوا مع قومهم الى منى ؛ لأجل الحج ؛ ثم ذهبوا بالليل الى ذلك المكان لقربه وستره لالفضيلة فيه ، ولم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه .

ولهذا لما حج النبي ﷺ هو واصحابه لم يذهبوا اليه ، ولا زاروه ، وقد بنى هناك مسجد ، وهو محدث ، وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام محدث ، ومنى نفسها لم يكن بها على عهد النبي ﷺ مسجد مبنى ، ولكن قال منى ^(٧١١) مناخ لمن سبق ، فنزل بها المسلمون ، وكان يصلى بالمسلمين بمنى ، وغير منى ، وكذلك خلفاؤه من بعده ، واجتماع الحجاج بمنى أكثر من اجتماعهم بغيرها ، فانهم يقيمون بها اربعا ، وكان النبي ﷺ وابوبكر وعمر يصلون بالناس بمنى وغير منى ، وكانوا يقصرون الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة ، ويجمعون بين الظهر والعصر بعرفة ، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ، ويصلى بصلاتهم جميع الحجاج من اهل مكة وغير اهل مكة ، وكلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر ، وكلهم يجمعون بعرفة ومزدلفة .

وقد تنازع العلماء فى اهل مكة ونحوهم هل يقصرون او يجمعون فقليل : لا يقصرون ، ولا يجمعون ، كما يقول ذلك من يقوله من اصحاب الشافعى وأحمد ، وقيل يجمعون ولا يقصرون ، كما يقول ذلك ابو حنيفة وأحمد ومن وافقه من اصحابه وأصحاب الشافعى ، وقيل يجمعون ويقصرون كما قال ذلك مالك وابن عيينة واسحق بن راهويه وبعض اصحاب أحمد وغيرهم ، وهذا هو الصواب

(٧١١) أخرجه ابوداود فى المناسك (٥٢٢/٢) رقم ٢٠١٩) والترمذى (٢٢٨/٢) رقم ٨٨١) وابن ماجه (١٠٠٠/٢) رقم ٣٠٠٦) والدارمى (٤٦٩) واحد (١٨٧/٦) (٢٠٧) .

بلا ريب ، فانه الذى فعله أهل مكة خلف النبي ﷺ بلا ريب ، ولم يقل النبي ﷺ قط ولا ابوبكر ولا عمر بنى ولا عرفة ولا مزدلفة: يا أهل مكة اتقوا صلاتكم ، فانا قوم سفر ، ولكن ثبت^(٧١٢) ان عمر قال ذلك فى جوف مكة .

وكذلك فى السنن^(٧١٣) عن النبي ﷺ انه قال ذلك فى جوف مكة فى غزوة الفتح ، وهذا من أقوى الأدلة على ان القصر مشروع لكل مسافر ، ولو كان سفره بريدا . فان عرفة من مكة بريد : اربع فراسخ .

ولم يصل النبي ﷺ ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد ؛ بل ولا صلى فى اسفاره قط صلاة العيد ، ولا صلى بهم فى اسفاره صلاة جمعة يخطب ثم يصل ركعتين ، بل كان يصل يوم الجمعة فى السفر ركعتين ، كما يصل فى سائر الايام .

وكذلك لما صلى بهم الظهر والعصر بعرفة صلى ركعتين ، كصلاته فى سائر الايام ، ولم ينقل احد انه جهر بالقراءة يوم الجمعة فى السفر .

فعلم ان الصواب ما عليه سلف الامة وجماهيرها من الائمة الاربعة وغيرهم ، من ان المسافر لا يصلى جمعة ولا غيرها ، وجهورهم ايضا على انه لا يصلى عيدا ، وهو قول مالك وابى حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين ، وهذا هو الصواب ايضا ، فان النبي ﷺ وخلفاؤه لم يكونوا يصلون العيد الا فى المقام ، لا فى السفر ، ولم يكن يصلى صلاة العيد الا فى مكان واحد مع الامام يخرج بهم الى الصحراء فيصلى هناك ، فيصلى المسلمون كلهم خلفه صلاة العيد ، كما يصلون الجمعة ولم يكن أحد من المسلمين يصلى صلاة عيد فى مسجد قبيلته ولا بيته ، كما لم يكونوا يصلون جمعة فى مساجد القبائل ، ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصلى صلاة عيد على عهد النبي ﷺ وخلفائه بل عيدهم بمنى بعد افاضتهم من المشعر الحرام ، ورمى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر أهل الامصار يرمون ثم ينحرون وسائر أهل الأمصار يصلون ثم ينحرون ، والنبي ﷺ لما أفاض من منى نزل بالمحصب ، فاختلف اصحابه هل التحصيب سنة لاختلافهم فى قصده هل قصد النزول به او نزل به لانه كان اسمح لخروجه . وهذا مما يبين ان المقاصد كانت معتبرة عندهم فى المتابعة .

(٧١٢) أخرجه مالك فى الموطا (٤٠٢، ١٤٩) والبيهقى فى سننه (١٥٧/٣) .

(٧١٣) أخرجه ابوداود (٢٤/٢ رقم ١٢٢٩) والبيهقى فى سننه (١٥٧/٣) .

ولما اعتمر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تفتح بعد ، وكان المشركون قد قالوا : يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ، وقعد المشركون خلف قعيقمان ، وهو جبل المروة ينظرون اليهم ، فامر النبي ﷺ اصحابه ان يرملوا ثلاثة اشواط من الطواف ، ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ، وروى انه دعا لمن فعل ذلك ، ولم يرملوا بين الركنين ؛ لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب ، فكان المقصود بالرمل اذ ذاك من جنس المقصود بالجهاد . فظن بعض المتقدمين انه ليس من النسك ، لأنه فعل لقصد وزال ؛ لكن ثبت في الصحيح^(٧١٥) : (ان النبي ﷺ واصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الاسود الى الحجر الاسود فكلوا الرمل بين الركنين) .

- وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية ، وفعل ذلك في حجة الوداع مع الأمن العام ، فانه لم يحج معه الا مؤمن ، فدل ذلك على ان الرمل صار من سنة الحج ، فانه فعل اولا لمقصود الجهاد ، ثم شرع نسكا كما روى في سعى هاجر ، وفي رمى الجمار ، وفي ذبح الكبش : انه فعل اولا لمقصود ، ثم شرعه الله نسكا وعبادة ، لكن هذا يكون اذا شرع الله ذلك ، وأمر به ، وليس لأحد ان يشرع ما لم يشرعه الله ، كما لو قال قائل : انا استحب الطواف بالصخرة سبعا ، كما يطاف بالكعبة ، او استحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى صلى ، كما امر الله ان يتخذ من مقام ابراهيم صلى ، ونحو ذلك ، لم يكن له ذلك ، لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الأعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه ، اما لمعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم ، وإما لمحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم ، كما خص الكعبة بأن يحج اليها ويطاف بها ، وكما خص عرفات بالوقوف بها ، وكما خص منى برمي الجمار بها ، وكما خص الاشهر الحرم بتحريمها ، وكما خص شهر رمضان بصيامه ، وقيامه ، الى امثال ذلك .

(٧١٤) أخرجه البخارى في كتاب الحج (١٦١/٢) وفي المغازى (٨٦/٥) ومسلم (٩٢٢/١) وابوداود (٤٤٥/٢) - ٤٤٦ رقم ١٨٨٥ - ١٨٨٦ وابن ماجه (١٨٤/٢) رقم ٢٩٥٣ واحد (٢٢٢٩، ٢٢٣٠، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٥٦، ٣٧٣) وانظر دلائل النبوة (٣٢٥/٤ - ٣٢٧) .

(٧١٥) راجع البخارى (١٦١/٢) ومسلم (٩٢٢/١ - ٩٢٣) كما أخرجه ابوداود (٤٤٥/٢) والترمذى (٢١١/٣ - ٢١٢) رقم ٨٥٦ - ٨٥٧ والنسائى (٢٣٠/٥) وابن ماجه (٩٨٣/٢) رقم ٢٩٥١ ومالك في الموطا (٣٦٤) واحمد في المسند (١٥٧، ١٥٥، ١٢٣، ١١٤، ١٠٠، ٧١، ٥٩، ٤٠/٢)

وابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله ، فانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا »^(٧١٦) . وقد ثبت في الصحيح^{٧١٧} : « ان رجلا قال للنبي ﷺ : يا خير البرية ! قال : « ذاك ابراهيم » .

فابراهيم افضل الخلق بعد محمد ﷺ . وقوله : « ذاك ابراهيم » تواضع منه ، فانه قد ثبت عنه ﷺ في الصحيح انه قال : « انا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر »^(٧١٨) .

الى غير ذلك من النصوص المبينة انه افضل الخلق ، وأكرمهم على ربه ، وابراهيم هو الامام الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾^(٧١٩) .

وهو الامة اى القدوة الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾^(٧٢٠) .

وهو الذى بوأه الله مكان البيت ، وأمره ان يؤذن فى الناس بالحج اليه ، وقد حرم الله الحرم على لسانه ، واسماعيل بنائه معه ، وهو الذبيح الذى بذل نفسه لله وصبر على المحنة ، كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة فى غير هذا الموضع ، وامه هاجر هى التى أطاعت الله ورسوله ابراهيم فى مقامها مع ابنها فى ذلك الوادى الذى لم يكن به أنيس ، كما قال الخليل : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾^(٧٢١) .

وكان لابراهيم ولآل ابراهيم من محبة الله وعبادته والايان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم ، فخصهم الله بأن جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد

^(٧١٦) جاء فى مسلم بلفظ ان صاحبكم خليل الله — و « قد اتخذ الله صاحبكم خليلا » . فى فضائل الصحابة (١٨٥٥/٢) وانظر دلائل النبوة (٤٨٥/٥) .

^(٧١٧) اخرجه مسلم فى الفضائل (١٨٣٩/٢) وابوداود فى السنة (٥٤/٥) رقم (٤٦٧٢) والترمذى (٢٤٦/٥) رقم (٢٣٥٢) واحمد (١٧٨/٣ - ١٨٤) .

^(٧١٨) لم يرد فى الصحيح بهذا اللفظ انما اخرجه احمد (٢٢/٣) والترمذى (٥٨٧/٥) وابن ماجه فى الزهد (١٤٤٠/٢) رقم (٤٣٠٨) وروى ابن حبان بنحوه (٢١٣٧ موارد) وله شواهد راجع الصحيحة (١٥٧١) .

^(٧١٩) سورة البقرة (١٢٤/٢) .

^(٧٢٠) سورة النحل (١٢٠/١٦) .

^(٧٢١) سورة ابراهيم (٢٧/١٤) .

لغيره ، وجعل ما جعله من أفعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونها فيها ،
ولا ريب أن الله شرع لإبراهيم السعى ورمى الجمار والوقوف بعرفات بعد ما
كان من أمر هاجر وإسماعيل وقصة الذبح وغير ذلك ما كان ، كما شرع لمحمد
الرملة في الطواف حيث أمره أن ينادى في الناس بحج البيت ، والحج مبناه على
الذل والخضوع لله ، ولهذا خص باسم النسك ، و « النسك » في اللغة العبادة .

قال الجوهري : النسك العبادة ، والناسك العابد ، وقد نسك وتنسك أى
تعبد ، ونسك بالضم أى صار ناسكا ، ثم خص الحج باسم النسك لأنه أدخل في
العبادة والذل لله من غيره ، ولهذا كان فيه من الأفعال مالا يقصد فيه إلا مجرد
الذل لله ، والعبادة له ، كالسعى ورمى الجمار . قال النبي ﷺ : « إنما جعل
رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لاقامة ذكر الله » . رواه الترمذي .

وخص بذلك الذبح الفداء أيضا دون مطلق الذبح ؛ لأن أراقة الدم لله ابلغ
في الخضوع والعبادة له ، ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون قربان ؛ بل تأتي
نار من السماء فتأكله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا
أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴾ .

وكذلك كانوا إذا غنوا غنية جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم
محضا لله لا للمغنم ، ويكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم ، وأمة محمد
ﷺ وسع الله عليهم لكمال يقينهم وإخلاصهم ، وإنهم يقاتلون لله ولو أكلوا
المغنم ، ويذبحون لله ولو أكلوا قربان ، ولهذا كان عباد الشياطين والأصنام
يذبحون لها الذبائح أيضا ، فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له .

ولهذا لم يحز الذبح لغير الله ، ولا أن يسمى غير الله على الذبائح ، وحرم
سبحانه ما ذبح على النصب ، وهو ما ذبح لغير الله ، وما سمي عليه غير اسم
الله ، وإن قصد به اللحم لا قربان ، ولعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله ، ونهى
عن ذبائح الجن ، وكانوا يذبحون للجن ، بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه
مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع .

(٧٢٢) راجع اللسان « نسك » . (٧٢٣) في الحج (٢٤٦/٣) ورواه أبو داود (٤٤٧/٢) رقم (١٨٨٨) والدارمي (٤٤٦) .
(٧٢٤) سورة آل عمران (١٨٣/٣) .

٨ . وقد قال تعالى : ﴿ قَصَلْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ (٧٢٥) أى انحر لربك ، كما قال الخليل : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٩ . وقد قال هو واسماعيل اذ يرفعان القواعد من البيت : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنا ﴾ .

فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها . كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ .

١٠ . وقيل تعالى : ﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ .

وقال : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ تَتَقَوَّى مِنْكُمْ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ وَ مَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَتَقَوَّى الْقُلُوبِ ﴾ (٧٢١) .

١٥ . فالمقصود تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له ، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والاخلاص ، وهذه ملة (٧٢٢) ابراهيم الخليل ، وهذا كله مما يبين ان عبادة القلوب هي الأصل ، كما قال ﷺ : « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

والنية والقصد هما عمل القلب ، فلا بد في المتابعة للرسول ﷺ من اعتبار النية والقصد .

(٧٢٦) سورة الانعام (١٦٣/٦)

(٧٢٥) سورة الكوثر (٢/١٠٨)

(٧٢٧) سورة النقرة (١٢٧/٢ - ١٢٨)

(٧٢٨) سورة الحج (٦٧/٢٢)

(٧٢٩) سورة الحج (٣٤/٢٢)

(٧٣٠) سورة الحج (٣٧/٢٢)

(٧٣١) سورة الحج (٣٢/٢٢)

(٧٣٢) رواه البخارى في الايمان (١٩/١) ومسلم في المساقاة (١٢٢٠/٢) عن النعمان بن بشير كما احرجه ابن ماجة (١٣١٨/٢ رقم ٣٩٨٤) والدارمى (٦٤١) واحمد (٢٧٠/٤ - ٢٧٤)

ومن هذا الباب ان النبي ﷺ لما احتجم وأمر بالحجامة . وقال في الحديث الصحيح : « شفاء أمي في شرطة محجم ، او شربة عسل ، او كية بنار ، وما أحب أن اكتبى »^(٧٣٣) .

- كان معلوما ان المقصود بالحجامة اخراج الدم الزائد الذي يضر البدن ، فهذا هو المقصود ، وخص الحجامة لأن البلاد الحارة يخرج الدم فيها الى سطح البدن فيخرج بالحجامة ، فلهذا كانت الحجامة في الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استفراغ الدم ، وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها الى العروق فيحتاجون الى قطع العروق بالفصاد ، وهذا أمر معروف بالحس والتجربة ، فانه في زمان البرد تسخن الأجواف وتبرد الظواهر ، لأن شبيه الشيء منجذب اليه ، فاذا برد الهواء برد ما يلاقيه من الابدان والأرض ، فيهرب الحر الذي فيها من البرد المضاد له الى الأجواف فيسخن باطن الأرض ، وأجواف الحيوان ، ويأوى الحيوان الى الأكنان الدافئة . ولقوة الحرارة في باطن الانسان يأكل في الشتاء وفي البلاد الباردة أكثر مما يأكل في الصيف وفي البلاد الحارة ؛ لأن الحرارة تطبخ الطعام وتصرفه ، ويكون الماء النايح في الشتاء سخنا لسخونة جوف الارض ، والدم سخن فيكون في جوف العروق لا في سطح الجلد ، فلوا احتجم لم ينفعه ذلك بل قد يضره ، وفي الصيف والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون البواطن باردة فلا ينهمض الطعام فيها كما ينهمض في الشتاء ، ويكون الماء النايح باردا لبرودة باطن الأرض ، وتظهر الحيوانات الى البرارى لسخونة الهواء ، فهؤلاء قد لا ينفعهم الفصاد ، بل قد يضرهم ، والحجامة أنفع لهم .

- وقوله : « شفاء أمي » اشارة الى من كان حينئذ من امته وهم كانوا بالحجاز ، كما قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة »^(٧٣٤) لأن هذا كان قبلة أمي حينئذ : لأنهم كانوا بالمدينة وما حولها ، وهذا كما انه في آخر الأمر بعد ان فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاث مواقيت للمدينة ولنجد وللشام ، ولما

(٧٣٣) رواه البخارى في الطب عن ابن عباس (١٢-٧) ولفظه « الشفاء في ثلاث » .

واخرجه ايضا ابن ماجة (١١٥٥/٢) رقم (٣٤٩١) واحمد (٢٤٥/١ - ٢٤٦) .

وله شاهد من حديث جابر اخرجه البخارى (١٦، ١٥، ١٢/٧) ومسلم (١٧٢٩/٢) واحمد (٣٤٣/٣) وراجع الصحيحة للالبانى رقم (١١٥٤) .

(٧٣٤) اخرجه الترمذى في الصلاة (١٧٢/٢) رقم (٣٤٤) وقال : حسن صحيح ، واخرجه ايضا النسائى في الصيام

(١٧٢/٤) وابن ماجة في الاقامة (٢٢٣/١) رقم (١٠١١) .

فتح اليمن وقت لهم يللم ، ثم وقت ذات عرق لأهل العراق ، وهذا كما انه فرض^(٧٣٥) صدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير عن كل صغير وكبير ذكرا وانثى من المسلمين ، وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة ؛ لأن الشعير والتمر كان قوتهم ، ولهذا كان جماهير العلماء على انه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته ، وهو احدى الروایتين عن أحمد ، وهل يجزيه ان يخرج التمر والشعير اذا لم يكن يقتاته ، فيه قولان للعلماء .

وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة التي تشبه قوس الندف ، وفتح الله لهم بها البلاد ، وقد رويت آثار في كراهة الرمي بالقوس الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار ، فاما بعد ان اعتادها المسلمون وكثرت فيهم وهي في انفسها أنفع في الجهاد من تلك القوس ، فلا تكره في اظهر قولي العلماء ، أو قول أكثرهم ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾^(٧٣٦) .

والقوة في هذا أبلغ بلا ريب . والصحابة لم تكن هذه عندهم فعدلوا عنها الى تلك ؛ بل لم يكن لهم غيرها ، فينظر في قصد الرمي أكان لحاجة اليها اذ ليس لهم غيرها ؟ أم كان لمعنى فيها ؟ ومن كره الرمي بها كرهه لمعنى لازم ، كما يكره الكفر وما يستلزم الكفر ، أم كرهها لكونها من شعائر الكفار فكره التشبه بهم ؟ .

وهذا كما أن الكفار من اليهود والنصارى اذا لبسوا ثوب الغيار من أصفر وأزرق نهى عن لباسه لما فيه من التشبه بهم ، وان كان لو خلا عن ذلك لم يكره ، وفي بلاد لا يلبس هذه الملابس عندهم الا الكفار فنهى عن لبسها ، والذين اعتادوا ذلك من المسلمين لا مفسدة عندهم في لبسها .

ولهذا كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان في لباسه تشبه بمن يظلم أو يعين على الظلم ، وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم ، فاما اذا لم يكن فيه مفسدة لم ينه عنه .

(٧٣٥) راجع البخارى (١٢٨/١) ومسلم (٦٧٧/١) والترمذى (٦١/٣) والنسائى (٤٦/٥) واحمد (٦٢/٢) والبيهقى في سننه (١٦١/٤ - ١٦٢) .

(٧٣٦) سورة الانفال (٦٠/٨) .

وكره من كره من الصحابة والتابعين بيع الأرض الخراجية ، لأن المسلم المشتري لها اذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة في التزام الجزية ، فان الخراج جزية الأرض ، وان لم يؤدها ظلم المسلمين باسقاط حقهم من الأرض ، لم يكرهوا بيعها لكونها وقفا ، فان الوقف انما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف ، ولهذا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، والأرض الخراجية تنتقل الى الوراث باتفاق العلماء ، وتجوز هبتها ، والمتهب المشتري يقوم فيها مقام البائع فيؤدي ما كان عليه من الخراج ، وليس في بيعها مضرة لمستحقى الخراج كما في بيع الوقف . وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها لكونها وقفا ، واشتبه عليهم الأمر ، لأنهم رأوا الآثار مروية في كراهة بيعها ، وقد عرفوا ان عمر جعلها فيئا لم يقسمها قط ، وذلك في معنى الوقف ، فظنوا ان بيعها مكروه لهذا المعنى ، ولم يتأملوا حق التأمل فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع المنهى عنه في الوقف ، فان هذه يصرف مغلها الى مستحقها قبل البيع وبعده ، وعلى حد واحد ، ليست كالدار التي اذا بيعت تعطل نفعا عن أهل الوقف وصارت للمشتري .

وأعجب من ذلك أن طائفة من هؤلاء قالوا : مكة انما كره بيع رباها لكونها فتحت عنوة ، ولم تقسم ايضا ، وهم قد قالوا مع جميع الناس ان الأرض العنوة التي جعلت ارضا فيئا يجوز بيع مساكنها ، والخراج انما جعل على المزارع لا على المساكن ، فلو كانت مكة قد جعلت أرضها للمسلمين ، وجعل عليها خراج لم يمتنع بيع مساكنها لذلك ، فكيف ومكة أقرها النبي ﷺ بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا ؛ ولهذا قال من قال : انها فتحت صلحا ، ولا ريب انها فتحت عنوة . كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة ، لكن النبي ﷺ أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل الا من قاتله ، ولم يسب لهم ذرية ، ولا غنم لهم مالا ، ولهذا سمو الطلقاء .

وأحمد وغيره من السلف انما عللوا ذلك بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين . كما قال تعالى : ﴿ هُوَ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (٧٣٧)

وهذه هي العلة التي اختصت بها مكة دون سائر الامصار ، فان الله أوجب حجها على جميع الناس ، وشرع اعتارها دائما فجعلها مشتركة بين جميع عبادته . كما قال : (سواء العاكف فيه والباد) ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان فهو أحق به حتى ينتقل عنه ، كالمساجد ، ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو أحق به ، والانسان أحق بمسكنه مادام محتاجا اليه وما استغنى عنه المنافع فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج ، وغيرهم ، ولهذا كانت الأقوال في اجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة .

قيل : لا يجوز لا هذا ، ولا هذا . وقيل : يجوز الأمران . والصحيح انه يجوز بيع رباعها ، ولا يجوز اجارتها ، وعلى هذا تدل الآثار المنقولة في ذلك عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضی الله عنهم ، فان الصحابة كانوا يتبايعون دورها ، والدور تورث وتوهب ، واذا كانت تورث وتوهب جاز ان تباع بخلاف الوقف ، فانه لا يباع ولا يورث ولا يوهب . وكذلك أم الولد من لم يجوز بيعها لم يجوز هبتها ولا أن تورث .

وأما اجارتها فقد كانت تدعى السوائب — على عهد النبي ﷺ ، وإبي بكر ، وعمر رضی الله عنهما من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن ؛ لأن المسلمين كلهم محتاجون الى المنافع ، فصارت كمنافع الأسواق والمساجد والطرق التي يحتاج اليها المسلمون ، فمن سبق الى شيء منها فهو أحق به ، وما استغنى عنه أخذه غيره بلا عوض ، وكذلك المباحات التي يشترك فيها الناس ، ويكون المشتري لها استفاد بذلك أنه أحق من غيره مادام محتاجا ، واذا باعها الانسان قطع اختصاصه بها وتوريثه اياها ، وغير ذلك من تصرفاته ، ولهذا له أن لا يبذله الا بعوض ، والنبي ﷺ من على أهل مكة ، فان الأسير يجوز المن عليه للمصلحة ، وأعطاهم مع ذلك ذراريهم وأموالهم ، كما من على هوازن لما جاءوا مسلمين باحدى الطائفتين : السبي أو المال ، فاختاروا السبي فأعطاهم السبي وكان ذلك بعد القسمة ، فعوض عن نصيبه من لم يرض بأخذه منهم ، وكان قد قسم المال فلم يردده عليهم ، وقریش لم تحاربه كما حاربه هوازن ، وهو انما من على من لم يقاتله منهم كما قال^(٧٣٨) : « من اغلق بابيه فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(٧٣٨) رواه مسلم في الجهاد (١٤٠٧/٢) وابوداود (٤١٨/٣) رقم (٣٠٢٤) واحمد (٥٣٨، ٢٩٢/٢) .

فلما كف جمهورهم عن قتاله ، وعرف انهم مسلمون أطلقهم ، ولم يغنم أموالهم ولا حريمهم ، ولم يضرب الرق لا عليهم ولا على أولادهم بل ساءم الطلقاء من قريش ، بخلاف ثقيف فانهم سموا العتقاء ، فانه أعتق أولادهم بعد الاسترقاق والقسمة ، وكان في هذا ما دل على ان الامام يفعل بالأموال والرجال والعقار والمنقول ما هو أصلح ، فان النبي ﷺ فتح خيبر فقسمها بين المسلمين ، وسبى بعض نسائها ، وأقر سائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعد ذلك ، فلم يسترقهم ، ومكة فتحها عنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة .

وقد تنازع العلماء في الأرض اذا فتحت عنوة هل يجب قسمها كخيبر لأنها مغنم ، أو تصير فيئا كما دلت عليه سورة الحشر ، وليست الأرض من المغنم ، أو يخير الامام فيما بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال ، وأكثر العلماء على التخيير ، وهو الصحيح ، وهو مذهب ابي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وغيرهما .

ولو فتح الإمام بلدا وغلب على ظنه ان اهله يسلمون ويجاهدون جاز أن يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ، كما فعل النبي ﷺ بأهل مكة ، فانهم أسلموا كلهم بلا خلاف ، بخلاف أهل خيبر فانه لم يسلم منهم أحد ، فأولئك قسم أرضهم لأنهم كانوا كفارا مصرين على الكفر ، وهؤلاء تركها لهم لأنهم كلهم صاروا مسلمين ، والمقصود بالجهاد ان تكون كلمة الله هي العليا ، وان يكون الدين كله لله ، وقد كان النبي ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الاسلام ، فكيف لا يتألفهم بابقاء ديارهم وأموالهم .

وهم لما حضروا معه حنينا اعطاهم من غنائم حنين ما تألفهم به ، حتى عتب بعض الأنصار ، كما في الصحيحين^(٧٣٩) عن انس بن مالك « ان ناسا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من اموال هوازن ما أفاء ، فطفق رسول الله ﷺ يعطى رجالا من قريش المائة من الابل . فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم — قال انس : فحدث ذلك النبي ﷺ من قولهم ، فأرسل رسول الله ﷺ الى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : (ما حديث بلغني

(٧٣٩) رواه البخاري في المحسن (٥٩/٤) وفي المغازي (١٠٤/٥) ومسلم في الزكاة (٧٣٤/١ - ٧٣٦) كما أخرجه احمد في مسنده (١٦٦/٣) .

عنكم ؟ !) فقال له فقهاء الانصار : أما ذوورأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئا ،
وأما أناس منا حديثه اسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله يعطى قریشا
ویرتکنا وسیوفنا تقطر من دمائهم .

فقال رسول الله ﷺ (فانی أعطی رجالا حدیثی عهد بکفر أتألفهم ، أفلا
ترضون أن یذهب الناس بالأموال وترجعون الی رحالکم برسول الله ؟ !
فوالله لما تنقلبون به خیر مما ینقلبون به) قالوا بلی یارسول الله ! قد رضینا .
قال : فانکم ستجدون بعدی أثره شديدة فاصبروا حتی تلقوا الله ورسوله ،
فانی علی الحوض قالوا : سنصبر — .

وفي رواية — لوسلك الناس واديا أو شعبا وسلكت الأنصار واديا أو شعبا
لسلكت وادی الأنصار وشعبهم ، الناس دثار ، والأنصار شعار ، ولولا الهجرة
لکنت أمراً من الانصار ، وحدثهم حتی بکوا رضی الله تعالی عنهم » .

فهذا كله بذل وعطاء لأجل اسلام الناس ، وهو المقصود بالجهاد .

ومن قال : ان الامام يجب علیه قسمة العقار والمنقول مطلقا ، فقوله في
غاية الضعف مخالف لكتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر ، وليس معه حجة
واحدة توجب ذلك ، فان قسمة النبی ﷺ خیر تدل علی جواز ما فعل ، لا تدل
على وجوبه ، اذ الفعل لا يدل بنفسه على الوجوب ، وهو لم يقسم مكة ولا شك
انها فتحت عنوة ، وهذا يعلمه ضرورة من تدبر الأحاديث ، وكذلك المنقول :
من قال : انه يجب قسمة كله بالسوية بين الغانين في كل غزاة فقوله ضعيف ،
بل يجوز فيه التفضيل للمصلحة ، كما كان النبی ﷺ يفضل في كثير من
المغازي .

والمؤلفة قلوبهم الذين اعطاهم النبی ﷺ من غنائم خیر فيما أعطاهم
قولان : أحدهما أنه من الخمس ، والثاني أنه من أصل الغنمية ، وهذا اظهر . فان
الذي أعطاهم اياه هو شيء كثير لا يحتله الخمس ، ومن قال العطاء كان من
خمس الخمس فلم يدر كيف وقع الأمر ، ولم يقل هذا أحد من المتقدمين ، هذا مع
قوله : ^(٧٤٠) « ليس لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود عليكم » وهذا

(٧٤٠) أخرجه مالك في الموطأ مرسلًا (٤٥٨) ورواه النسائي في الفتي (١٣١/٧) وأحمد في مسنده (٣٢٦، ٣١٩، ٣١٦/٥)
عن عبادة بن الصامت .

لأن المؤلف قلوبهم كانوا من العسكر ، ففضلهم في العطاء للمصلحة كما كان يفضلهم فيما يقسمه من الفىء للمصلحة .

وهذا دليل على ان الغنية للامام ان يقسمها باجتهاده كما يقسم الفىء باجتهاده ، اذا كان امام عدل قسمها بعلم وعدل ، ليس قسمتها بين الغانين كقسمة الميراث بين الورثة ، وقسمة الصدقات في الأصناف الثمانية ، ولهذا قال في الصدقات : « ان الله لم يرض فيها بقسمة نبي ولا غيره ، ولكن جعلها ثمانية أصناف ، فان كنت من تلك الأصناف أعطيتك »^(٧٤١) .

فعلم ان ما أفاء الله من الكفار بخلاف ذلك ، وقد قسم النبي ﷺ من خير لأهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ، ولم يقسم لأحد غاب عنها غيرهم ، وقسم من غنائم بدر لطلحة والزبير ولعثمان ، وكان قد اقام بالمدينة ، وهؤلاء الذين كانوا يريدون القتال وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها في جهاد .

وأيضاً أهل السفينة وطلحة والزبير وعثمان لم يكونوا كغيرهم ، والقتال لم يكن لأجل الغنية ، فليست الغنية كمباح اشترك فيه ناس مثل الاحتشاش والاحتطاب والاصطياد ، فان ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال ، بخلاف الغنية ، بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهداً في سبيل الله ، ولهذا لم تبح الغنائم لمن قبلنا واييحت لنا معونة على مصلحة الدين .

فالغنائم اييحت لمصلحة الدين وأهله ، فمن كان قد نفع المجاهدين بنفع استعانوا به على تمام جهادهم جعل منهم وان لم يحضر ، ولهذا قال النبي ﷺ « المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم ادناهم ، ويرد متسريهم على قاعدتهم »^(٧٤٢) فان المتسرى انما تسرى بقوة القاعد ، فالمعاونون للمجاهدين من المجاهدين ، ولبسط هذه الامور موضع اخر .

والمقصود هنا : ذكر متابعة النبي ﷺ ، وهو انه يعتبر فيه متابعة في قصده ، فاذا قصد مكانا للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة ، واما اذا صلى فيه اتفاقاً من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة ، ولهذا لم يكن جمهور

(٧٤١) رواه ابوداود عن زياد بن الحارث الصائبي (٢٨٢/٣ رقم ١٦٣٠) وذكره الالباني في ضعيف الجامع الصغير

(١٦٤٣) .

(٧٤٢) أخرجه ابوداود من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (٦٧٠/٤ رقم ٤٥٣١) .

وأخرجه ابن ماجة بنحوه (٨٩٥/٢ رقم ٢٦٨٥) .

الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك ، وابن عمر رضوا الله عنهما مع انه كان يحب مشابهته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة إلا في الموضع الذي صلى فيه لافي كل موضع نزل به ، ولهذا رخص أحمد بن حنبل في ذلك اذا كان شيئاً يسيراً ، كما فعله ابن عمر ونهى عنه رضى الله عنه اذا كثّر لأنه يفضى الى المفسدة ، وهى اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهى التى تسمى المشاهد .

وما أحدث في الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثه في الاسلام ، من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام ، وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وسد ابواب الشرك التى يفتحها الشيطان لبني آدم ، ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد واخلاص الدين لله ومعرفة دين الاسلام هم اكثر تعظيماً لمواضع الشرك ، فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه اولى بالتوحيد واخلاص الدين لله ، وأهل الجهل بذلك أقرب الى الشرك والبدع .

ولهذا يوجد ذلك في الرافضة اكثر مما يوجد في غيرهم ، لأنهم أجهل من غيرهم ، واكثر شركاً وبدعاً ، ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ، ويخربون المساجد اكثر من غيرهم ، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، ولا يصلون فيها ان صلوا الا أفذاذاً ، وأما المشاهد فيعظمونها اكثر من المساجد ، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ، ويسمون بها الحج الاكبر ، وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه : « مناسك حج المشاهد » وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال مالا يوجد في سائر الطوائف ، وان كان في غيرهم ايضاً نوع من الشرك والكذب والبدع ؛ لكن هو فيهم اكثر ، وكلما كان الرجل اتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله واخلاصاً له في الدين ، واذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك ، فاذا كثّر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو اقرب منه الى اتباع الرسول .

(٧٤٣)

ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى . يعرف بابن المعلم . محقق امامى . انتهت اليه رئاسة الشيعة في وقته . كثير التصانيف في الاصول والكلام والفقه . توفى سنة ٤١٣ هـ .

انظر تاريخ بغداد (٢٣١/٣) الميزان (٣٠/٤) السير (٣٤٤/١٧) الوافي (١١٦/١) اعيان الش (٢٦ - ٢٠/٤٦) الاعلام (٢١/٧) معجم المؤلفين (٣٠٦/١١) .

فبين الله تعالى ان المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، وبين انما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، وهذه صفة أهل التوحيد واخلاص الدين لله الذين لا يخشون الا الله ، ولا يرجون سواه ، ولا يستعينون الا به ، ولا يدعون الا اياه ، وعمار المشاهد يخافون غير الله ، ويرجون غيره ، ويدعون غيره ، وهو سبحانه لم يقل انما يعمر مشاهد الله ، فان المشاهد ليست بيوت الله ، انما هي بيوت الشرك ، ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد ، ولا عن النبي ﷺ في ذلك حديث ، وانما ذكره الله عن كان قبلنا انهم بنوا مسجدا على قبر أهل الكهف ، وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال ﷺ في الحديث الصحيح^(٧٥٠) : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » .

ففى هذا الحديث ذم أهل المشاهد ، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة ، كما قال : « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا » . وقال : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .
ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدم او اكثرها كذب ، فان الشرك مقرون بالكذب في كتاب الله كثيرا . قال تعالى : ﴿ وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾^(٧٥١) .
وقال النبي ﷺ : « عدلت شهادة الزور الاشرار بالله »^(٧٥٢) قالها ثلاثا .
وذلك كالمشهد الذى بنى بالقاهرة على رأس الحسين ، وهو كذب باتفاق أهل العلم ، ورأس الحسين لم يحمل الى هناك أصلا ، وأصله من عسقلان . وقد قيل انه كان رأس راهب ، ورأس الحسين لم يكن بعسقلان ، وانما أحدث هذا فى اواخر دولة الملاحدة بنى عبید .

(٧٥٠) راجع ص هذه الاحاديث .

(٧٥١) سورة الحج (٣١/٢٢) .

(٧٥٢) أخرجه الترمذى فى الشهادات(٥٤٧/٤) عن ائمن بن خريم وعن خريم بن فاتك . وقال هذا اصح . وأخرجه ابن ماجه (٧٩٤/٣) رقم (٢٣٧٢) وابوداود (٢٤/٤) رقم (٣٥٩٩) واحد (٢٢٢، ٢٢١، ٢٣٢، ١٧٨/٤) .

وكذلك مشهد على — رضى الله عنه — انما أحدث في دولة بنى بويه ،
وقال محمد بن عبد الله^(٧٥٣) مَطَّيْن الحافظ وغيره : انما هو قبر المغيرة بن شعبه رضى
الله عنه ، وعلى رضى الله عنه انما دفن بقصر الامارة بالكوفة ، ودفن معاوية
بقصر الامارة بدمشق ، ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر ، خوفا عليهم
اذا دفنوا في المقابر البارزة ان ينبشهم الخوارج المارقون ، فان الخوارج كانوا
تعاهدوا على قتل الثلاثة ، فقتل ابن ملجم عليا ، وجرح صاحبه معاوية ،
وعمر بن الخطاب كان استخلف رجلا اسمه خارجة فقتله الخارجي . وقال : اردت عمرا
وأراد الله خارجة . فسارت مثلا .

فالمقصود ان هذا المشهد انما أحدث في دولة الملاحدة دولة بنى عبيد ، وكان
فيهم من الجهل والضلال ومعاضدة الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة والرافضة
أمور كثيرة ، ولهذا كان في زمنهم قد تضعع الاسلام تضععا كثيرا ، ودخلت
النصارى الى الشام ، فان بنى عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم غرض في الايمان
بالله ورسوله ، ولا في الجهاد في سبيل الله ، بل في الكفر والشرك ومعاذاة
الاسلام بحسب الامكان ، واتباعهم كلهم أهل بدع وضلال ، فاستولت النصارى
في دولتهم على اكثر الشام ، ثم قبيض الله من ملوك السنة مثل : نور الدين ،
وصلاح الدين ، واخوته واتباعهم ففتحوا بلاد الاسلام ، وجاهدوا الكفار
والمنافين .

ونهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، لأن
المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها ، وان كان المسلم المصلى
لا يقصد السجود لها ، لكن سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشركين في بعض الامور
التي يختصون بها فيفيض الى ما هو شرك ؛ ولهذا نهى عن تحرى الصلاة في هذين
الوقتين ، هذا لفظ ابن عمر الذي في الصحيحين^(٧٥٤) . فقصد الصلاة فيها منهى
عنه .

وأما اذا حدث سبب تشرع الصلاة لأجله : مثل تحية المسجد ، وصلاة

(٧٥٣) ابو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي ، الملقب بمطّين .

الحافظ ، الصدوق ، محدث الكوفة . توفي سنة ٢٩٧ هـ .

ترجمته في طبقات الحنابلة (٣٠٠/١ - ٣٠١) التذكرة (٦٦٢/٢) السير (٤١/١٤) الوافي (٣٤٥/٣) تاريخ التراث
(٣١٩/١) .

(٧٥٤) أخرجه البخاري في المواقيت (١٤٥/١ - ١٤٦) ومسلم في صلاة المسافرين (٥٦٧/١ - ٥٦٨) وأخرجه ايضا احمد في
مسنده (١٠٦، ٦٢، ٣٦، ٣٣، ١٩، ١٢/٢) وهو عند مالك في الموطأ (٢٢٠) .

- ١١ - تفسير الطبري :
مصطفى البابي الحلبي ط ٣ - القاهرة .
- ١٢ - تفسير ابن كثير :
المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٣ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي :
المكتب الاسلامي / بيروت .
- ١٤ - تفسير القرطبي :
دار احياء التراث العربي / بيروت ١٩٦٧ .
- ١٥ - تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن .
- ١٦ - تفسير الخازن :
دار الفكر / بيروت .
- ١٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني .
- ١٨ - سلسلة الاحاديث الضعيفة للالباني .
- ١٩ - تقريب التهذيب لابن حجر :
دار المعرفة / بيروت .
- ٢٠ - تهذيب التهذيب لابن حجر :
حيدرآباد .
- ٢١ - سير اعلام النبلاء للذهبي :
مؤسسة الرسالة / بيروت .
- ٢٢ - الوافي بالوفيات للبصفي :
المانيا .
- ٢٣ - تاريخ التراث العربي لفواد سزكين (الترجمة العربية) :
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض .
- ٢٤ - تاريخ الادب العربي لبروكلمن (الترجمة العربية) :
دار المعارف بمصر .
- ٢٥ - الاعلام للزركلي :
دار العلم للملايين / بيروت .

- ٢٦ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة :
دار احياء التراث / بيروت .
- ٢٧ - كشف الظنون لحاجي خليفة :
دار العلوم الحديث / بيروت .
- ٢٨ - ميزان الاعتدال للذهبي :
دار المعرفة / بيروت .
- ٢٩ - شعب الايمان للبيهقي (بتحقيقنا) .
- ٣٠ - طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى :
دار المعرفة / بيروت .
- ٣١ - الملل والنحل للشهرستاني .
- ٣٢ - الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم :
دار الفكر / بيروت .
- ٣٣ - الفرق بين الفرق :
دار الآفاق الجديدة / بيروت ١٤٠٠ هـ .
- ٣٤ - الرد على الزنادقة والجهمية : للامام احمد بن حنبل
الدار السلفية للنشر - الكويت ١٤٠٣ هـ

☆☆☆

الصفحة : السطر :			
٥١	١	في النسختين	« وهذا الاسناد »
٥١	٧	» »	« بشار »
٥٣	١٠	» »	« ابي الشعثاء بن أنس » وهو خطأ .
٥٤	٤	» »	« الحلم ، أوقال : الكرم »
٥٥	١٣		كذا في النسختين وهو الصواب . وفي الفتاوى : رجل صم .
			وفي اللسان : رجل صَم ، وصِمِم ، وصِمَّام ، وصِمَّامة ،
			وصَمِم ، وصَمَّام ؛ مصم . قال ابو عبيد : الصمم (بالكسر)
			الغليظ من الرجال . وكذا قال ابن الاثير في النهاية . والصَّم
			من أسماء الاسد . والصَّمة : الرجل الشجاع .
٥٦	٣	في النسختين	« مقصود له واليه » .
٥٦	٥	»	« يعلق »
٥٧	١٢	»	« كما قيل في السديد » .
٥٨	٢	»	« في الاكثر من المواضع » .
٥٨	١٠	»	« في ان الصمت السكوت » .
٥٨	١٣	»	« البُهم » وهو خطأ . راجع اللسان
			« صمت » .
٥٩	١	»	« ومما يناسب هذه المعاني معنى
			« الصبر » .
٦١	٤		قوله « الا الله تعالى » سقط من النسختين .
٦١	٥	في النسختين :	« ماجاءني احد الا اكرمه » .
٦١	٧	»	« احدى عشر » .
٦٨	٢٠	»	« دين المسلمين »
٦٩	٩		الجملة من قوله « وهم يقولون » — الى قوله — « ما يمتنع
			عليه » سقطت من النسختين .

الصفحة . السطر :

« سَمَوِهَا مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التي هي عندهم الجسم ، وهذه المفارقات عندهم ما لا يكون جسماً » .	في النسختين :	١٨	١٤٧
« فمن جعل الملائكة والارواح ونحو ذلك جسماً بالمعنى اللغوي » . ولعل الصواب ما اثبتناه .	»	٢٥	١٤٧
« اصله من الدار » .	»	١٧	١٤٨
« بدعة في الشرع باطلا في الشرع » .	»	٢٦	١٤٩
سقط من النسختين من الحديث قوله « فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك » .		٢	١٥٦
« معنى هذه النصوص » .	في النسختين:	٤	١٦٠
سقط قوله « إلا الله » من النسختين .		١٩	١٦١
« يتمسكون بما يحدثونه في كلام الائمة » .	في النسختين:	٧	١٦٣
التأويل « مكان » الطعام « ولعله الصواب .	»	٢٠	١٦٤
« لابلغة العرب » .	»	١٢	١٦٦
« فالكيفية هي التأويل » .	»	٢	١٧٢
هذه الآية غير موجودة في النسختين .		٢٠	١٧٢
« لكن الذي ثبت منه » .	في النسختين :	١٩	١٧٥
« التعليق » .		١٥	١٧٦
سقطت من النسختين العبارة من قوله « واما ترك الانكار مطلقا » — الى قوله — « ويحشر المكره على نيته » .		١	١٧٩

الصفحة :السطر :

٧	١٨٢	في الفتاوى « ليس بشيء » مكان « وليس بالضبي » وهو خطأ .
١٦	١٨٢	سقط من النسختين « واما التفسير الوالى عن ابن عباس » .
٢	١٨٤	في النسختين : « في موضعين معينين » .
٢١	١٨٥	في الفتاوى : « وليس معناه قاطع » والتصحيح من النسختين .
٦	١٨٩	في النسختين : « ليتفقهن اولئك فقها » .
٨	١٨٩	» « قال بقية استهدى ابن عيينة » .
٦	١٩٦	» « كان ترك هذا الوصف اقرب في ذمهم من غيره » .
١٠	١٩٧	هذا سقط كبير في النسختين ففيهما : ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، بل الثابت عن الصحابة ان المتشابه يعلمه الراسخون . وما ذكر من قراءة ابن مسعود وابى بن كعب ليس لها اسناد .
١	١٩٨	في النسختين : « رواه الناس عامة اهل الحديث والتفسير » .
١٩	١٩٨	سقطت كلمة « تقتضى » من النسختين .
٣	١٩٩	تعليق : « عبد الله بن ابى نجيح المكي . روى التفسير عن مجاهد قال الذهبي : هو من اخص الناس بمجاهد روى بالقدر و هو من الائمة الاثبات
		قال على بن المدينى : اما التفسير فهو فيه ثقة يعلمه قد قفز القنطرة واحتج به ارباب الصحاح .
		قال الذهبي : ولعله رجع عن البدعة . وقد رأى القدر جماعة من الثقات واخطأوا . نسأل الله العفو راجع سير اعلام النبلاء (١٢٦/٦)
٦	٢٠٠	في النسختين : « فأى شيء من هذا مما يدل » .
٣	٢٠١	» « مما ينصرون به المتشابه » .

الصفحة :السطر :

« لا تقول أنه قد كان في وقت من الاوقات ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة » .	سقط من النسختين :	٢٠	٢٢٨
« انعت لنا ربك » . ولكن لفظ الحديث عند احمد والترمذي « أنسب » .	في النسختين :	٢٥	٢٣١
« كالرجل » مكان « كالدجال » وهو تصحيف .	»	١١	٢٣٤
« خطاب الهى القى اليه » .	»	٩	٢٣٦
« ويعرف من حقائق الايمان الباطن » . والصواب « لا يعرف » كما في النسختين .	في الفتاوى :	١٣	٢٣٧
« والا من استحل هذا » .	في النسخيتين :	٢٣	٢٣٧
سقط من النسختين قوله « وتارة يصلون » .		٢٤	٢٣٨
سقط من النسختين « قد ذكر اخبار المسلمين » .		١٢	٢٤٠
« وكان الخليل عليه السلام في المغارة » .	وفي النسختين :	٣	٢٤١
يضاف في التعليق (٦٨٢) : وروى ابن ماجة عن ابي هريرة ان النبي ﷺ كان يصوم الاثنين ف قيل يا رسول الله ! انك تصوم الاثنين والخميس ؟ فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا متهاجرين يقول دعها حتى يصطلحا (١/٥٥٣ رقم ١٧٤٠) .			٢٤٤
وقال في الزوائد : اسناده صحيح ، غريب . ومحمد بن رفاعه ذكره ابن حبان في الثقات ، تفرد بالرواية عنه الضحاك بن مخلد ، وباقي اسناده على شرط الشيخين .			
وله شاهد من حديث اسامة بن زيد رواه ابوداود (٢/٨١٤ رقم ٢٤٢٦) والنسائي (٤/٢٠٢) .			
(قلت) لفظ الحديث عند النسائي :			

الصفحة :السطر :

قال اسامة بن زيد : قلت يا رسول الله ! انك تصوم حق لا تكاد
تفطر ، وتفطر حق لا تكاد ان صتصوم الا يومين ان دخلا في
صيامك ، والاصحتها ؟ قال اى يومين ؟

قلت : يوم الاثنين والخميس .

قال : ذاك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين ، فأحب ان
يعرض على وانا صائم .

« لم يقصد مسجدا بعينه يذهب
اليه هو » . وظاهر انه خطأ . ٧ في النسختين : ٢٤٥

« ويستحب زيارة قبور البقيع » . ١ . ٢٤٦

« ولا يقبل وجه الارض » . ١٢ . ٢٥٠

« يوم الجمعة في السفر لا بعرفة
ولا بغيرها ، ولا انه خطب بغير
عرفة يوم الجمعة في السفر » . ١١ - ٢٥٢

حديث « لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله » ٢٤ ٢٥٥

اخرجه مسلم في كتاب الاضاحى (١٥٦٧/٢) والنسائى في
الضحايا (٢٣٢/٧) واحمد في مسنده (١٠٨/١، ١١٨، ١٥٢) من
حديث على بن ابى طالب ، ولفظه « لعن الله من ذبح لغير
الله » .

كما اخرجه احمد من مسند ابن عباس (٣١٧، ٣٠٩/١) .

حديث « نهى النبي ﷺ عن ذبائح الجن » ٢٥ ٢٥٥

اخرجه البيهقى في سننه (٣١٤/٩) من حديث ابى هريرة .
وذكره ابن الجوزى في الموضوعات ، و وافقه عليه الالبانى .
راجع الضعيفة رقم (٢٤٠) .

في النسختين وهذه مسألة ابراهيم . ١٥ ٢٥٦

« وتظهر الحيوانات الى البرأى
لسخونة الهواء » . ١٨ ٢٥٧

« افراداً » . ١٦ ٢٦٤

وفي الفتاوى :

فهرس المباحث

٢٧	١	كلمة الناشر
٢٧	٢	ترجمة المؤلف
٢٧	٣	تفسير سورة الاخلاص (تقديم)
٢٩	٤	فضائل « قل هو الله احد »
٣٠	٥	معنى كونها تعدل ثلث القرآن
٣١	٦	هل القرآن بعضه افضل من بعض
٣٥	٧	تفسير « قل هو الله أحد »
٣٦	٨	معنى « الصمد »
٤٥	٩	الآثار الواردة في تفسير « الصمد »
٤٨	١٠	سبب نزول سورة الاخلاص
٥٢	١١	معنى « السيد »
٥٧	١٢	معنى « الاشتقاق » وانواعه
٦١	١٣	القول في « احد » و « الصمد »
٦٢	١٤	حديث معلول في صحيح مسلم
٦٦	١٥	معنى كونه « لم يلد ولم يولد »
٦٧	١٦	معنى الولادة والتوليد
٧٢	١٧	هل النجاسة تطهر بالاستحالة
٧٣	١٨	كيف تكون النشأة الثانية ؟
٨٤	١٩	التولد لابدله من اصلين
٨٥	٢٠	معنى « فنفخنا فيه من روحنا »
٨٨	٢١	التولد يكون من انفصال جزء من الاصل
٩٠	٢٢	تنزيه الله سبحانه عن ان يكون له ولد
٩٥	٢٣	تفنيد قول العرب ان الملائكة بنات الله
٩٦	٢٤	قول النصارى في المسيح

٢٥	معنى « الكلمة »	٩٨
٢٦	كلام الرب لا يسمى « ابنا » له	١٠١
٢٧	الرد على دعوى الفلاسفة بقدوم العالم	١٠٧
٢٨	احتجاج الكرامية بسورة الاخلاص على ان الله تعالى جسم ،	
	واحتجاج الجهمية على عكس ذلك	١١٤
٢٩	اثبات الصفات للرب تعالى مذهب السلف	١١٦
٣٠	قول أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية	١١٧
٣١	كراهية وصف الله تعالى بالالفاظ المحدثه	١٢١
٣٢	وجوب رد مسائل النزاع الى الله والرسول	١٢٦
٣٣	معنى « الجسم » في اللغة ، وفي اصطلاح الفلاسفة والمتكلمين	١٢٨
٣٤	رد كلام الفلاسفة	١٣٨
٣٥	رد كلام المتكلمين	١٤٥
٣٦	تحقيق معنى « التحيز »	١٤٨
٣٧	عدم جواز استخدام كلمة « المركب » و « المؤلف » وغير ذلك	
	في حق الله تعالى	١٥٤
٣٨	ضرورة فهم معنى التوحيد	١٥٥
٣٩	هل كان الرسول يعرف معاني التشابه من القرآن	١٥٩
٤٠	تفسير قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله »	١٦٠
٤١	نقد ابي حامد الغزالي	١٦٢
٤٢	معنى « التأويل »	١٦٤
٤٣	معنى « الاستواء »	١٧٢
٤٤	معنى « التشابه »	١٧٧
٤٥	تفسير المحكم والتشابه	١٨١
٤٦	العلماء يعرفون معنى التشابه	١٨٤
٤٧	الصحابه يفسرون التشابه	١٨٩
٤٨	تفسير الامام احمد للآيات التشابه	٢٠٣
٤٩	الراسخون في العلم يعلمون التأويل	٢١١

٢١٨	تفسير قوله تعالى « الا امانى »	٥٠
٢١٩	تحقيق معنى « الأمتى »	٥١
٢٢٦	ان الرسول ﷺ بين كل ما يحتاج الناس اليه في دينهم	٥٢
٢٢٧	اصناف اهل البدع والضلال	٥٣
٢٣٠	نفى المثل والشريك عن الله	٥٤
٢٣١	سبب نزول سورة الاخلاص	٥٥
٢٣٥	الاستغاثة بغير الله	٥٦
٢٣٨	بدء الشرك في العالم من عبادة البشر	٥٧
٢٣٩	النهى عن اتخاذ القبور مساجد	٥٨
٢٤١	النهى عن السفر الا الى ثلاثة مساجد	٥٩
٢٤٢	معنى متابعة النبي ﷺ في افعاله	٦٠
٢٤٦	زيارة قبور الانبياء والصالحين	٦١
٢٥٥	الذبح لغير الله	٦٢
٢٥٦	لابد من اعتبار النية والقصد في متابعة الرسول	٦٣
٢٦٣	تعظيم المشاهد ليس من الاسلام	٦٤
٢٦٩	اهم المصادر والمراجع	٦٥
٢٧٢	استدراكات وتصويبات	٦٦